



# فِرَاءُ أَبِي فِي فِكْرِكُ أَبِي نَحْوَ سَائِنْ

حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي  
احتفاء بذكرى العلامة المرحوم أبي نيهان

الفترة من: ٤ إلى ٦ شعبان ١٤١٧ هـ

الموافق: ١٤ إلى ١٦ ديسمبر ١٩٩٦ م

الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م





# فِرَاءُ عِرَابٍ فِي فِكْرٍ أَبِي نَبْهَانٍ

حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي  
احتفاءً بذكرى العلامة المرحوم أبي نبهان

---

الفترة من: ٤ إلى ٦ شعبان ١٤١٧ هـ  
الموافق: ١٤ إلى ١٦ ديسمبر ١٩٩٦ م

---

أعدّه للطبع: محمد علي الصليبي

---

الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

---



## هذا الإصدار

الحمد لله القائل في محكم كتابه: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ونصلي  
ونسلم على سيدنا محمد النبي الصادق الأمين، وارض اللهم عن صحابته  
الطاهرين ومن قام بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فقد أدرك علماء عمان المخلصون البررة على مَرِّ الحقب والأجيال بأن العلم  
إيمان وعمل وان صدارة العلم لها مسؤولياتها وتكاليفها، فتسلحوا - يرحمهم  
الله - بأسلحة العقيدة التي تمثلت بالعلم الذي نفذ إلى أعماقهم وقوي في أفئدة  
الدهماء من أمتهم، ورنّا إليه الناس على مختلف طبقاتهم وأجناسهم، فأقبلوا  
عليه لينهلوا من معينه العذب ما استطاعوا، فكانوا في انقطاعهم للعلم وطلبه  
إنما يمثلون لأوامر الله - سبحانه وتعالى - ورسوله الكريم - عليه أفضل  
الصلوات والتسليم -، حيث توالى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تترى  
تشيد بالعلم وتمجده، وترفع من شأن العلماء وتقرن شهادتهم بشهادة الملائكة،  
وتصفهم بأنهم أهل الخشية، فانطلقوا - يدفعهم إيمان راسخ - إلى تحصيله  
وخدمة أهدافه النبيلة، لما فيه فلاح الإنسانية قاطبة في الحال والمآل.

ولقد كان العلامة المحقق الشيخ الرئيس جاعد بن خميس الخروصي من  
العلماء الأجلاء الذين وضعوا نصب أعينهم تقوى الله فيما ينقله عن غيره من  
العلماء، يرجح الأقوى ولا يتابع أحدا على رأي مهما علا شأنه إلا بعد التوثيق،  
وكان يتحوط من خطأ الثقات لخطورته كتحوطه من خطأ الضعفاء، فكان دقيقاً  
في نقله منصفاً في حكمه مع غزارة في الإنتاج وسعة في الاطلاع ورجاحة في  
العقل، وعمق في التفكير، فكان - يرحمه الله - ممن أسهموا بحق في إعلاء شأن  
الدين الإسلامي ونشر الثقافة العمانية العربية الإسلامية، ولا غرابة أن يكون  
محجة طالبى العلم ومريديه.

وانطلاقاً من اعتزاز السلطنة بتراثها، وحفاظها عليه، ورغبة من وزارة  
التراث القومي والثقافة ممثلة في المنتدى الأدبي في احياء ذكرى هؤلاء العلماء  
الكرام والتوقف ملباً عند سيرتهم العطرة، ومسيرتهم العلمية الجادة  
ومنهجيتهم وأمانتهم، يسرها أن يكون هذا الإصدار حول فكر المرحوم أبي  
نهبان ثمرة خيرة للندوة العلمية التي أقامها المنتدى مجسدة الجهود الكبيرة  
التي بذلتها نخبة من العلماء المشاركين فيها.

والله ولي التوفيق



(١)

# السيرة الذاتية للشيخ أبي نبهان

إعداد

بدر بن حمود بن راشد بن محمد الخروصي

## مقدمة البحث :

الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على نبي الأمة الهادي الأمين  
محمد بن عبدالله.. وبعد :-

فإن التاريخ العماني زاهر بالعديد من الشخصيات التي برزت وأبدعت في  
شئى العلوم والميادين ، ومشاركة منى للاخوة الباحثين في تناول شخصية  
الشيخ الرئيس أبي نهبان جاعد بن خميس الخروصي ذلك العلامة النحرير  
كان اختياري لمحور السيرة الذاتية للشيخ الرئيس والذي تناولت فيه عدداً  
من النقاط البحثية بدءاً باسم الشيخ ونسبه وكنيته ولقبه ثم نشأته وطلبه  
للعلم وصولاً إلى شيوخه وتلاميذه وبعض من ملامح سيرته على الصعيدين  
الاجتماعي والسياسي وانتهاءً إلى أهم أعماله الانشائية وإثبات أخير  
لمؤلفات الشيخ الرئيس .

هذا ولا يخفى على القارئ الكريم ندرة الدراسات المتعلقة بهذا الجانب  
ولكن ولله الحمد . استطعنا وبجهد تلك الأقلام الناضجة المخلصة أن نكون  
فكرة مبسطة عن سيرة الشيخ الذاتية وهي الأقلام التي أفدت منها في هذا  
المقام كثيراً.

## تعريف بالشيخ أبي نبهان

اسمه ونسبه :

هو الشيخ العالم الرباني أبو نبهان جاعد بن خميس بن مبارك بن يحيى بن عبدالله بن ناصر ابن محمد بن حيان\* بن زيد بن منصور بن الخليل بن\*\* شاذان بن الصلت بن مالك بن عبدالله بن مالك الخروصي الأزدي القحطاني<sup>(١)</sup>.

كنيته :

كما هو الشائع والغالب أن يكنى الرجل بأكثر أبنائه فإن كنية الشيخ التي اشتهر بها هي أبو نبهان، ونبهان هذا هو أكبر أولاد الشيخ جاعد بن خميس .

لقبه :

اشتهر الشيخ بلقب «الشيخ الرئيس» حتى انه كان الوحيد المعروف بهذا اللقب<sup>(٢)</sup>، عرفه بذلك العامة والخاصة وذلك للمكانة العلمية العالية التي احتلها الشيخ، ناهيك عن دوره الفاعل على المسرح السياسي والاجتماعي على حد سواء ولذا كان استحقاق الشيخ الرئيس لهذا اللقب فهو الذي «أصبح كعبة القصاد لمختلف المأرب الدينية والدنيوية»<sup>(٣)</sup> حسبما يعبر عن ذلك الشيخ سالم بن حمود السيابي -رحمة الله عليه - في مؤلفه (عمان عبر التاريخ).

وفاته :

توفي الشيخ الرئيس -رحمة الله عليه - في نصف نهار يوم الخميس الثالث من ذي الحجة عام ١٢٣٧هـ. وذلك عن عمر ناهز التسعين عاماً ودفن في بلدة العليا من وادي بني خروص وهي نفس البلدة التي كان فيها مولده ونشأته رضوان الله عليه<sup>(٤)</sup>.

### نشأة الشيخ الرئيس

ولد الشيخ أبو نبهان جاعد بن خميس في بلدة العليا من بلدان وادي بني خروص «وهي من آخر بلدان بني خروص في هذا الوادي من جهة الجنوب عند سفح الجبل الأخضر شمالاً»<sup>(٥)</sup>. كان مولد الشيخ في عام ١١٤٧هـ وهو التاريخ الذي أجمعت عليه كل المراجع التي تمكنا من الوقوف عليها .

ترعرع الشيخ في بلدة العليا ونشأ في صباه محباً للرمي والصيد ويبدو أن هاتين الهوايتين لازمتا

\* وجدت في بعض المراجع حياً بحذف النون  
\*\* واضح هنا أن هناك سقطاً في التنسب حيث أن الإمام الصلت توفي عام ٢٧٥هـ فهو من أئمة القرن الثالث بينما الإمام الخليل من الأئمة المتأخرين في القرن الخامس الهجري كما هو معروف ولهذا نذكر بعض المراجع هنا اسم ورد .

١ - حميد بن محمد بن رزيق الفتح المين في سيرة السادة البوسعيدين وزارة التراث القومي والثقافة ط ٢ ص ١٤٦ ، ١٤٧ .  
٢ - مبارك بن عبدالله الراشدي . جريدة عمان ٩ ديسمبر ١٩٩٤م ، عدد (٤٩٤٤) « عرف العالم والطبيب المسلم بهذا اللقب قديماً وهو ابن سينا .  
٣ - الشيخ سالم بن حمود السيابي . عمان عبر التاريخ ج ٤ ، وزارة التراث القومي والثقافة ط ٢ ، ١٩٨٦م ص ٢١٥ .  
٤ - المورخ حميد بن محمد بن رزيق النخلي ، «الصحيفة القحطانية» مخطوط ص ٥٥٦ .  
٥ - الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي . ترجمة لحياة الشيخ أبي نبهان ؛ بحث غير منشور ص ٦ ، د. مبارك الهاشمي . مرجع سابق .

الشيخ فترة ليست بالقصيرة كيف لا، وهي هوابيات الأفذاذ وأبناء الزعماء ذلك أن والده الشيخ خميس بن مبارك كان زعيماً لقبيلة بني خروص آنذاك، كما كان مرجع العامة والخاصة في تسيير أمور الناس وحلّ مشكلاتهم بناء على تلك المرتبة الراقية التي كان يحتلها<sup>(١)</sup>.

وعلى العموم كان لأسرة الشيخ وزنها ومكانتها ليس على مستوى الصعيد القبلي وحسب، بل إن هذه الأسرة تخطت هذا الإطار الضيق إلى علاقات متعددة ومتنوعة في عمان بأكملها.

وهذا الأمر يتضح من خلال علاقات ربّ هذه الأسرة الشيخ خميس بن مبارك مع أئمة اليعاربة الذين عاصرهم وكانوا على قمة الهرم السياسي في عمان فكان الشيخ خميس بن مبارك على علاقة قوية بعدد من أئمة اليعاربة بدءاً من عهد الإمام سلطان بن سيف الثاني (١٧١١ - ١٧١٨م) ومن جاء بعده، وتشير بعض المراجع إلى قوة هذه العلاقة بحيث إن هؤلاء الأئمة كانوا يولكون للشيخ العديد من المهام في بلده نيابة عن الأئمة كالإصلاح الزراعي والاهتمام بشؤون الري<sup>(٢)</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أيضاً أن والد الشيخ الرئيس كانت له العديد من المسائل الفقهية والمراسلات التي كانت تدور بينه وبين علماء عصره<sup>(٣)</sup>.

وهذا كله يقودنا إلى حقيقة مفادها أن والد الشيخ أبي نبهان كان يتمتع بدرجة وإطلاع واسعين لا سيما على الصعيد السياسي، كما أن هذا الجانب ساهم في بلورة الشيخ الرئيس كشخصية علمية لها وزنها وأهميتها على مختلف الأصعدة وإن كانت الأقدار قد قضت بوفاة الشيخ خميس بن مبارك والد الشيخ أبي نبهان في عام ١١٥٦هـ والشيخ الرئيس لم يتجاوز سن التاسعة<sup>(٤)</sup>.

من جهة أخرى كان لآخوة الشيخ الرئيس دور كبير في تلك التربية الأخلاقية العالية التي ظهر بها الشيخ أبو نبهان حيث كان للشيخ الرئيس سبعة\* من الآخوة وكان هو ثامنهم<sup>(٥)</sup>.

ولا شك أن آخوة الشيخ قد تعهدوا بالعناية والرعاية في وقت كانوا هم ورثة المسؤوليات التي كانت مناطة بوالدهم والدليل على ذلك ما نستخلصه من الرسالة التي أوردها الشيخ السالمي في التحفة والتي كانت من أخ الشيخ أبي نبهان وكانت موجهة إلى الإمام بلعرب بن حمير بخصوص تغريق أموال سيف ابن سلطان تم تاريخها بعام ١١٦٠هـ<sup>(٦)</sup>.

ويبدو أن كفاية آخوة الشيخ الرئيس في تسيير الأمور جعلت الشيخ ينشأ في صباه مهتماً بالعلم والدراسة وممارساً لهواياته بعيداً إلى حدّ ما عن تلك الالتزامات المعروفة لأبناء الأسر العريقة والموسرة في نفس الوقت؛ في وقت كانت فيه الزراعة تمثل مصدر الرزق الأول للسكان آنذاك.

١ - نفس المرجع السابق ص ١٣

٢ - الشيخ مهنا بن خلفان - مرجع سابق - ص ١٣

٣ - الشيخ كهلان بن نبهان الخروصي (الشيخ أبو نبهان - دراسة وتحقيق) بحث غير منشور - ص ١٣

٤ - الشيخ مهنا بن خلفان - مرجع سابق - ص ١٣

٥ - وهم كاتاني: ناصر ومبارك وسام ومحمد وعبدالله وسعيد ورملة.

٥ - الشيخ مهنا بن خلفان بن عثمان الخروصي - المرجع السابق.

٦ - الشيخ كهلان بن نبهان الخروصي - مرجع سابق .

## الشيخ الرئيس وطلب العلم

إن المتتبع لإنجازات الشيخ العلمية طوال حياته يدرك مدى الجهد الذي بذله في سبيل العلم والتحصيل ويدرك مدى علو الهمة التي كانت تلازم الشيخ الرئيس؛ وشهادة الشيخ السالمي خير دليل على ذلك في هذا المقام . إذ يقول رضوان الله عليه ما نصه التالي :- (إن أبا نبهان كان المتقدم على أهل زمانه بالعلم والفضل والشرف واتخذته الناس في مرشد دينهم ومصالح دنياهم وقلده الأفاضل أمرهم لما علموا من علمه وورعه)<sup>(١)</sup>.

إن رحلة الشيخ أبي نبهان في طلب العلم لم تكن بالهينة اليسيرة كما أنها لم تكن وليدة موقف معين<sup>(٢)</sup>، كما دأبت المراجع على ذكر أن الشيخ الرئيس قد بدأ طلبه للعلم في سن متأخرة وبعد التقائه بشيخه وأستاذه الشيخ سعيد بن أحمد الكندي في بلدة الهجار من أعمال وادي بني خروص.

وحتى نستطيع أن نؤكد ما ذهبنا إليه في البداية نورد الرواية كاملة كما روتها المراجع وهي :-  
أن الشيخ أبا نبهان لما شب وترعرع ولع بالرمي على البندقية واصطياد الوحش على الصحاري وقمم الجبال حتى ناهز الأربعين عاماً أو كاد ، وأن للعناية الرحمانية أن ترسم على جبين ذلك القطب الذي كان على موعد مع القدر السعيد صافد ان جاء الشيخ أبو نبهان إلى شيخ العلم والامعية الفقيه العلامة سعيد بن أحمد الكندي .

المقيم يومئذ ببلدة الهجار المجاورة لوطن الشيخ أبي نبهان من وادي بني خروص بعد أن انتقل إليها الشيخ الكندي من نزوى ، جاء ليكتب إليه شيئاً من آيات الله البينات ما يعينه على جلب الصيد ليضع المكتوب على بندقيته<sup>(٣)</sup> فيقوى بها على مهنته التي ما زال يمارسها بكل شعوره وقواه ، ولكن ذلك العلامة الفطن وقد تلمح من أبي نبهان فرط الذكاء والنبيل وقابليته للعلم قال له في جواب حكيم : يا هذا إن لي بندقية لا تخطيء الهدف ولا تعدو الثغرة قرب المرمى أو بعداً ، فكان لهذا المقال أثره البالغ في نفس أبي نبهان ، فقال له : أرني بندقيتك ، فذهب الشيخ الكندي مسرعاً فجاء بكتاب ضخّم فوضعه بين يديه وقال له : هذه بندقيتي فإن كنت ترغب في الإصابة والتي لا تخطيء هدفاً ما حببت فلهم أعلمك الرماية بها . فقال : هيا<sup>(٤)</sup>.

هذا فيما يتعلق بهذه الرواية وهي الرواية التي نتحفظ عليها بناء على ما يلي :-  
أولاً: إن صاحب الصحيفة القحطانية أورد رواية مشابهة على حد كبير للرواية السابقة من حيث المضمون ومنها يتضح أن هذه الحادثة لم تكن مع الشيخ الكندي بل أن ابن رزيق يذكرها مع الشيخ حبيب بن سالم أمبوسعيدى ونص ما ذكره صاحب الصحيفة ما يلي :-  
« .. وحكى لي الشيخ الفقيه القاضي مبارك بن عبد الله فقال : لقد وفد على الشيخ العالم حبيب

١ - العلامة الشيخ نور الدين السالمي . تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ج ٢ ص ١٨١ .

٢ - أشار إلى هذه القضية الشيخ كهكان بن نبهان في بحثه المشار إليه آنفاً وبعض وجهات النظر في هذه القضية هنا تعود إليه

٣ - تسمية العامة «قال»

٤ - الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي . مرجع سابق . ص ١٣

ابن سالم الشيخ الرئيس جاعد بن خميس الخروصي أيام طلبه للعلم الشريف وفي يد الشيخ أبي نيهان بندق وهو الذي تسميه العامة التفق فلما سلم ورد عليه وجلس لديه وقعت يد الشيخ حبيب في بندق الشيخ أبي نيهان فجعل يقلبه بيده ثم قال له : أهذا التفق لك ؟ قال : نعم . فقال الشيخ حبيب : هل يصيب به الرامي الغرض إذا رمى ؟ قال : فعلى ما عهدت أن إصابته أكثر من خطئه فقال له : أفخطئ تارة كما يصيب تارة ؟! فقال الشيخ الرئيس أبو نيهان : نعم ؛ فقال الشيخ حبيب : ان عندي بندقا لا يخطئ أبداً - إن شاء الله - فقال له الشيخ أبو نيهان في الحال : لعلك تعني كتاب بيان الشرع فقال : نعم ؛ فقال الشيخ أبو نيهان : أحضره لي ؛ فأحضروا له أجزاءه الموجودة فقال : أقرأه علي سِفْراً سِفْراً حتى يكمل ؛ فلما أتممناهم ؛ قال : أعيذوا قراءتهن علي ثانية فلما صنعنا ذلك ؛ قال : لقد حفظت - ولله الحمد - ما فيه من المختلف والمؤتلف وكان بعد هذا لم يحتاج الى قراءته إذا حضر لديه ..<sup>(١)</sup>.

**ثانياً :** ان الرواية الأولى تثبت أن لقاء الشيخ الرئيس بالعلامة الكندي كان في بلدة الهجار ومنها بدأ الشيخ مشواره في طلب العلم وفي هذا مغالطة كبيرة فالثابت أن الشيخ الكندي لم ينتقل الا في سن متأخرة نسبياً من عمر الشيخ الرئيس من نزوى الى الهجار التي سكن فيها وقام بالتدريس فيها لفترة من الزمن انتقل بعدها إلى مدينة نخل حيث توفي هناك ، ونحن نقول : ان انتقال الشيخ الكندي إلى الهجار كان في فترة متأخرة من عمر الشيخ الرئيس إذ انه من الثابت أن الشيخ الكندي كان في نزوى حتى عام ١١٩٨ هـ .

حيث كانت حادثة نزوى الشهيرة حسبما أرخ لها الشيخ السالمي وعلى هذا الأساس فان عمر الشيخ الرئيس واحد وخمسون عاماً أي تجاوز سن الأربعين الذي نتحدث عنه الرواية فكيف بنا إذا أدركنا أن الشيخ الكندي الذي كان مقيماً في نزوى حتى هذه الفترة هو الذي أرسل إلى الشيخ الرئيس لحل القضية الواقعة بنزوى<sup>(٢)</sup>.

**ثالثاً :** هنالك ما يدل على أن الشيخ الرئيس كان مهتماً بالعلم والتحصيل منذ صغره وليس في سن متأخرة حسبما تشير إليه الرواية ومن ذلك أن الشيخ قام بنسخ كتاب التعليق على كتاب «الاشراف» «لابن المنذر» الذي كتب تعليقاته الشيخ ابو سعيد الكندي وكان عمره حسب ما أثبت في حدود الثانية والعشرين سنة<sup>(٣)</sup> .

**رابعاً :** كيف لنا أن نتصور أن شخصاً مثل الشيخ لا يولي العلم جلّ اهتمامه في صغره وهو الرجل الغد متوقد الذكاء والذي كان يخبر عن أشياء حدثت له وهو لا يزال ابن أيام ناهيك عن تلك البيئة التي كان يعيش فيها الشيخ في بيئة توفر العلم والعلماء فكم من عالم وأديب خرجوا من وادي بني خروص فهو الوادي الذي ظل شرياناً هاماً يغذي عمان بالعلماء والأدباء في معظم فترات تاريخها . وعليه فإننا نؤكد هنا على أن الشيخ قد بدأ ينهل من معين العلم منذ صغره وليس في فترة متأخرة من عمره كما شاع لدى الكثيرين .

١ - ابن رزيق . الصحيفة القحطانية . ص ١٩٤

٢ - الشيخ السالمي . مرجع سابق . ص ١٨٦

٣ - الشيخ كهلان بن نيهان الخروصي . مرجع سابق . ص ١٦٠

## أساتذة الشيخ أبي نيهان

نهّل الشيخ أبو نيهان العلم من لدن عدد من المشايخ والذين اسهموا دون شك في إثراء معارفه العلمية المتنوعة وقبل أن استعرض هؤلاء الأساتذة أؤكد هنا على حقيقة هامة وهي أن إقبال الشيخ على العلم ورغبته فيه جعلته باحثاً عن العلم بذاته فكان جانب كبير من دراسة الشيخ وتعلمه نابع من سنده الذاتية في الإطلاع علاوة مع مراسلاته العديدة مع علماء عصره.

وفيما يلي أسماء أشهر أساتذة الشيخ الرئيس والذين دأبت المراجع على ذكرهم :-

### أولاً : الشيخ سعيد بن أحمد الكندي :

ولد هذا الشيخ في مدينة نزوى في حلة الردة وأخذ العلم عن علامة زمانه آنذاك الشيخ الضرير سعيد بن بشير الصبحي ويعد الشيخ الكندي من علماء النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري<sup>(١)</sup>.

ويمكننا القول إن الشيخ أبا نيهان قد أفاد كثيراً من الشيخ الكندي حتى يمكننا أن نعهده من أكبر شيوخه ولا غرابة في أن يتصل الشيخ أبو نيهان بالعلامة الكندي إذ أنه وحسبما يفهم من بعض النصوص أن الشيخ الكندي كان عالم أهل نزوى<sup>(٢)</sup> في فترة الشيخ ومعروف أن نزوى هي عاصمة العلم والعلماء منذ القديم مما يعكس لنا في ذات الوقت مكانة الشيخ سعيد بن أحمد الكندي وقدراته العلمية الفلذة .

### ثانياً : الشيخ حبيب بن سالم امبوسعيدى :

والشيخ من ذوي العلم المشهورين في فترة الشيخ أبي نيهان وتبدو استفادة الشيخ الرئيس من الشيخ حبيب من خلال كثير من الأجوبة الفقهية التي نقلها الشيخ أبو نيهان من لدن الشيخ امبوسعيدى ، وتشير المراجع إلى أن استفادة الشيخ كانت تتم عن طريق المراسلات<sup>(٣)</sup> وما كان يوجهه من أسئلة إلى الشيخ حبيب ذلك أنه لم يثبت أن الشيخ الرئيس كان يحضر مجالس العلم التي كان الشيخ حبيب يقيمها بصفة منتظمة والدليل على أن صاحب الرواية التي أشرنا إليها سابقاً وهو القاضي مبارك بن عبدالله كان من تلاميذ الشيخ حبيب لم يشر في ثانياً روايته إلى أن الشيخ الرئيس كان يحضر مجالس العلم عندهم بصفة منتظمة وإنما كان يسرد مجرد حادثة عابرة تمت بين الشيخين.

### ثالثاً : الشيخ هلال بن عبدالله بن مسعود العدوي :

وهو الآخر من شيوخ الفترة وكان على علاقة وطيدة بالشيخ سعيد بن أحمد الكندي الذي مرّ معنا ذكره ونحسب أن هذا الشيخ قد توفي في العقد الأول من القرن الثالث عشر الهجري وذلك اعتماداً على القول الذي يشير إلى أن وفاة العلامة الكندي والشيخ العدوي كانت في نفس العام<sup>(٤)</sup>.

١ - الشيخ أحمد بن سعود السيابي . ترجمة لحياة الشيخ سعيد بن أحمد الكندي.

٢ - الشيخ سالم بن حمود السيابي . المرجع السابق . ص ٢١٥ .

٣ - الشيخ كهلان بن نيهان الخروصي . مرجع سابق . ص ٢٠ .

٤ - الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي . مرجع سابق . ص ١٤ .

٥ - الشيخ كهلان بن نيهان الخروصي . مرجع سابق . ص ٢١ هامش الصفحة .

**رابعاً :الشيخ : ناصر بن سليمان بن عبدالله الخليلي الخروصي :**  
كان هذا الشيخ على درجة عالية من الإطلاع والمعرفة ومما يؤكد أن هذا الشيخ كان من أساتذة الشيخ الرئيس ما جاء في إحدى المخطوطات القديمة التي تناولت ترجمة للشيخ ناصر<sup>(٥)</sup> . هذا ما وقفنا عليه من الأسماء والتي ذكرت المراجع أن الشيخ الرئيس قد أفاد من أصحابها خلال فترة طلبه للعلم.

### تلاميذ الشيخ أبي نهبان

لما كان للشيخ الرئيس من المكانة العلمية العالية التي ذاعت واشتهرت في كل أرجاء عمان كان من البديهي أن يتسابق طلاب العلم ومحبيه للاستفادة من هذا الشيخ الجليل الذي سبر أعماق العلوم وتبحر فيها فبز الأقران وأنجز في ميادين التأليف ما عجز عنه الكثيرون وسنذكر فيما يلي عدداً من تلاميذ الشيخ الذين أخذوا عنه فيما ثبت وهم كالتالي :-

#### أولاً : أولاده وأقاربه:

فقد أخذ عنه أولاده جميعاً وعددهم ١٣ ابناً، عشرة منهم من الذكور وهم نهبان، وعبدالله، وسليمان، وسالم، وخلفان، وسعيد، وناصر، ومحمد، وماجد، وخميس، أما الإناث فهن شيخة، وأسية، ونصره<sup>(٦)</sup>. ومن أشهر أبنائه الذين أخذوا منه العلم :-

#### أ - الشيخ ناصر بن أبي نهبان :

وتستطيع القول بسبب الصلة التي تربطه بالشيخ أنه كان من أكثر الملازمين للشيخ الرئيس وهذا يتضح من خلال نقل الشيخ ناصر لكثير من آراء ومباحثات والده ، ولقد اشتهر الشيخ ناصر بعلم السر وصناعة الكيمياء وله عدد كبير من المؤلفات، ومن أشهر مؤلفاته ما أسماه «الحق المبين والحق اليقين»<sup>(٧)</sup> وجاءت وفاة الشيخ ناصر في زنجبار التي انتقل إليها بعد أن ترك موطن أبيائه في الهجار وكان ذهابه الى زنجبار بصحبة السيد سعيد بن سلطان ووافاه الأجل المحتوم في عام ١٢٦٢هـ<sup>(٨)</sup> .

#### ب - ابنه الشيخ خميس بن أبي نهبان :

وكان على درجة عالية من العلم والورع والمكانة بين أهل العلم وليس أدل على ذلك مما ذكره الشيخ السالمي في تحفته من أن الشيخ خميس قد عرضت عليه الإمامة من قبل الشيخ المحقق سعيد بن خلفان الخليلي ولكنه أبى قبولها وقد توفي الشيخ خميس في سنة ١٣٠٧هـ حسبما أورده الشيخ السالمي رضوان الله عليه<sup>(٩)</sup>.

١ - الشيخ مهنا بن خلفان . مرجع سابق . ص ١٠.

٢ - الشيخ كحلان بن نهبان الخروصي . مرجع سابق . ص ٢٤.

٣ - ابن رزيق . الفتح المبين . مرجع سابق . ص ١٥٠.

٤ - الشيخ العلامة عبدالله بن حميد السالمي . تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ج ٢ . ص ٢١٩ .

٥ - الشيخ كحلان بن نهبان الخروصي . مرجع سابق . ص ٢٥.

٦ - الشيخ مهنا بن خلفان . مرجع سابق . ص ٣٤.

ج - ابن أخيه : الشيخ منصور بن محمد بن ناصر بن خميس بن مبارك :  
وكان على درجة كبيرة من الدراية والإطلاع «يشهد له بذلك قيامه بشرح لامية العلامة ابن  
النضر العماني في مناسك الحج علاوة على نسخه كتباً فقهية أخرى<sup>(١)</sup>.  
ومن تلاميذه الذين هم من غير أسرته :

أ : الشيخ أبي محمد عبدالله بن ناصر بن محمد بن بشير السوني الخروصي :  
«شهد له الشيخ الرئيس وأثنى عليه وقال : أنه أفضل رجل في عمان يستحق أن يبايع بالإمامة  
لأن شروطها فيه ظاهرة<sup>(٢)</sup>».

ومن الأدباء الشعراء الذين لازموا الشيخ أبي نهبان :  
الشيخ سعيد بن محمد بن راشد الخروصي المعروف بالغشري : ومما يدل على ملازمته للشيخ  
الرئيس تلك القصيدة التي اشتركا في نظمها معاً والتي تناولت ذكر أئمة بني خروص وديوان  
الغشري الذي تضمن قصائد رثاء لوالد الشيخ أبي نهبان علاوة على الإقامة في مكان واحد وهو  
وادي بني خروص<sup>(٣)</sup>.

هذا وقد دأبت المراجع أيضاً على ذكر أسماء أخرى تعلمت على يد الشيخ مثل الشيخ حسن بن  
درويش الخروصي ولده الشيخ سعيد وغيرهم<sup>(٤)</sup>.

## ملاحم من سيرة الشيخ الرئيس على الصعيدين الإجتماعي والسياسي

لقد كان للشيخ أبي نهبان حضور فاعل ومؤثر على كافة الأصعدة وهو الأمر الذي تجلّى  
بوضوح من خلال الأحداث المختلفة التي سنعرض بعضاً منها في هذا المقام .  
فالشيخ الرئيس كان مصلاً اجتماعياً من الطراز الأول فهو زعيم قومه ومرجع لكثير من أهل  
عمان في حلّ معضلاتهم وما كان يطرأ عليهم في أمور دينهم ودنياهم ويتجلى لنا بوضوح  
محاولات الشيخ المتكررة والدؤوبة لاستئصال الأمراض الاجتماعية التي كان يعاني منها المجتمع  
العماني والتي كان على رأسها العصبية القبلية فهناك العديد من النصوص التي تثبت نبذ الشيخ  
لهذا الداء ومحاوله علاجه ومن هذه النصوص ما قاله في حادثة نزوى الشهيرة عام ١٨٩٨م  
وأورده الشيخ السامي «... كلا والذي يعلم السر وأخفى أنني لم أقصد إلى معين من الناس فأضعه  
على العناد فوق العباد وإنما القصد كله مع الظفر بمقل المسلمين أن يكون الأمر لأهل الحلم من  
أهل العلم من المؤمنين لمن يختارونه من حبشي أو يمني أو قرشي لأنني لهم أتبع ولقولهم أسمع  
ولا أرضى أن أكون المستبد برأي عنهم فضلاً أن أخرج منهم وعلى هذا اعتمدنا فيما له قصدنا  
والله يعلم أنني لا أفرق بين أهل الطاعة من الفريقين جميعاً إلا من حيث المنازل فإن منزلة هي التي

١ - الشيخ كهلان بن نهبان الخروصي - مرجع سابق ص ٢٥ .

٢ - الشيخ مهنا بن خلفان . مرجع سابق ص ٣٤ .

٣ - الشيخ مهنا بن خلفان - مرجع سابق ص ٣٤ .

٤ - ابن رزيق الصحيفة القحطانية ٦٦٨ .

بها أنزل نفسه .. (١).

ومما جاء من قوله - رحمه الله - في هذا الصدد أيضاً :-

« .. أما بعد فإنني جئت مع نفسي لا مع عبري ولا ريامي ولا كندي ، ولا مع غيرهم بل جئت مع الحق ، والحق مع من أتبع الهدى وله أردت .. » (٢).

وكان الشيخ الرئيس حريصاً على الإصلاح وإسداء النصيحة لأهل الأمر لأن صلاح أولي الأمر يعني صلاح المجتمع وهو الأمر الذي نستخلصه من الرسالة التي توجه بها إلى السيد محمد بن الإمام أحمد بن سعيد ، ومما جاء في هذه الرسالة ما نصه التالي « .. ويا معشر القادرين من أهل دعوة الحق كونوا لدين الله ناصرين ولمن قام به فيكم مؤازرين ويا من طغى في البلاد وبغى على العباد فأكثروا أنواع الفساد توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا كافرين فإن عذاب الله شديد وما هو من الظالمين ببعيد هذا ما قدره الله أن أقوله للجميع العاصي والمطيع ولكن أين من صدع بأمر الله في دينه الذي شرع ونهض فذعن إليه من قدر عليه فاتبع أو أبى فامتنع .. » (٣).

ويبدو أن الشيخ الرئيس مثلما كان بحراً في علوم الدين فإنه أيضاً كان على اطلاع بعلم الطب وبعض العلاجات وهو الأمر الذي ندركه من تلك الرسالة التي أرسلت إليه من شخص يطلب فيها وصفاً لعلاج داء الرمد وجاء أن هذا الشيخ هو الشاعر الغشيري حيث أجابه الشيخ بالتالي :-

أقول وبوص النفس يشهد أنني جهول قيم الطب لسني أغوصه  
ولكنني أحكي الذي قد وجدته من مقول واضح لا أحيصه  
فيؤخذ فيما قال درهم راسخ ودرهم ملح أبيض البوص بوصه (٤)

وعليه ندرك مدى سمو الإسهام الاجتماعي للشيخ كما ندرك تلك المكانة العالية الرفيعة التي تبوأها في هذا المقام.

وإذا كنا نود الحديث عن إسهامات الشيخ وسيرته في المجالات المختلفة فلا بد من أن ندرك أن الأحداث مترابطة ومتشابكة فيما نعه حدثاً سياسياً هو في واقعه مصحوب بنكهة اجتماعية أيضاً والعكس صحيح .

فلقد كان الشيخ الرئيس نقطة ارتكاز لكثير من أحداث عصره السياسية ذلك العصر الذي شهد الكثير والكثير من الفتن والقلال الداخلي والخارجي على حد سواء ونحن في هذا المقام ندرك مكانة الشيخ العلمية وهي المكانة التي جعلته في خضم الأحداث والمتغيرات الجارية على الساحة بعمان .

هذا ولقد مزج الشيخ الرئيس حياته الاجتماعية والعلمية على حد سواء بطابع التواضع الذي

١ - الشيخ السامي . تحفة الأعيان ج ٢ ص ١٨٤ .

٢ - الشيخ السامي . مرجع سابق ج ٢ ص ١٧٩ .

٣ - مخطوط الرسالة ذاتها . وتوجد لدينا منها صورة .

٤ - الشيخ محمد بن راشد الخصيبي . شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، ج ٢ ص ٢٢٩ .

كان ميزة وسمة فيه جعلت القلوب تنجذب له احتراماً وتقديراً ، ومن الأمثلة على تواضع الشيخ رده على أستاذه الشيخ سعيد بن أحمد الكندي عندما أثنى الأخير ذات مرة عليه إذ قال: أحسنت فلاني دونك في العلم والفهم .. فما كان من الشيخ الرئيس إلا أن قال له «إنك في العلم أنت المنتهي وأنا المبتدئ» وشتان بينهما<sup>(١)</sup>.

هكذا كان الشيخ عالماً ومربياً ومصلحاً ينشد الخير في حركاته وسكناته جعل إصلاح الأمة والسير بها إلى طريق الهداية هدفاً يسعى إليه متى وافته الفرصة وتحمل في سبيل ذلك العنت والايذاء في نفسه وماله وأولاده\* راجياً من الخالق الثواب الجزيل والأجر الوفير رحمه الله وطيب ثراه وأسكنه فسيح جناته.

## أهم الأعمال الإنشائية التي قام بها الشيخ الرئيس

قام الشيخ الرئيس ببناء عدد من المنشآت والتي ما زالت إلى يومنا هذا رموزاً باقية تشهد للشيخ بعلو الهمة وقوة الإرادة ومن هذه الأعمال :-

### ١ - بيت الرأس :

«وهو بيت الشيخ الرئيس الذي بناه ببلدة العليا بوادي بني خروص وهو البيت الذي أقام فيه هو وأولاده وهو بيت كبير حصين»<sup>(٢)</sup>. ولا يزال هذا البيت قائماً إلى يومنا هذا<sup>(٣)</sup>.

### ٢ - حصن العوابي :

وكان إنشاء الشيخ أبي نهبان لهذا الحصن راجعاً إلى ما كانت تتعرض إليه عمان آنذاك من اعتداءات خارجية استهدفت. عمان وهددت الكثير من مدن الداخل فيها<sup>(٤)</sup>.

ومما قيل في وصف هذا الحصن من الأشعار ما قاله الشيخ علي بن خميس بن عامر الجبري في قصيدة طويلة يخاطب فيها الشيخ الرئيس :-

شيدت قصراً في بلادك عالياً      سوني السقديمة لاله أوصال  
حراسه يوماً ملائكة ألو      بأساً معاً والأسد والأبطال<sup>(٥)</sup>

### ٣ - مكتبة الشيخ الرئيس :-

«وهي الموجودة بالبيت الذي أسسه بالعليا من وادي بني خروص وكانت هذه المكتبة تعد من أضخم المكتبات العمانية على الإطلاق حتى يقال ان محتوياتها بلغت ثمانية آلاف كتاب»<sup>(٦)</sup>.

١ - ابن رزيق الصحيفة القحطانية ص ٥٤٧ وص ٥٤٨.

٢ - الشيخ مهنا بن خلفان . مرجع سابق ص ٣٠.

٣ - المرجع السابق ص ٣٠.

٤ - الشيخ كهلان بن نهبان الخروصي . مرجع سابق ص ٣١.

٥ - الشيخ مهنا بن خلفان . مرجع سابق ص ٣١.

٦ - عبدالله بن سالم بن حميد الحارثي . أضواء على بعض أعلام عمان ص ٣٣.

## إثبات لمؤلفات الشيخ الرئيس والتي ثبتت نسبتها إليه

لقد كان للشيخ الرئيس مؤلفات عديدة في شتى المعارف والفنون ، ولقد رأينا أنه من المناسب جداً عرض هذه المؤلفات ليتبين القارئ مدى الجهد الذي بذله الشيخ الرئيس في ميدان التأليف . والمؤلفات التالية حصر الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي وهي :-

- ١ - كتاب «دقاق أعناق أهل النفاق» .
- ٢ - كتاب في أركان المساجد والمدارس .
- ٣ - كتاب «إيضاح البيان فيما يحل ويحرم من الحيوان» .
- ٤ - كتاب في أحكام البيوع والرهن والشفعة .
- ٥ - كتاب في أحكام التزويج والنكاح والطلاق .
- ٦ - كتاب في العدد .
- ٧ - كتاب في فقه الدين من الطهارات إلى الحج .
- ٨ - موسوعة فقهية شاملة ومتعددة الأجزاء في مسائل منثورة .
- ٩ - موسوعة في أصول التوحيد والفقه .
- ١٠ - كتاب شرح حياة المهج .
- ١١ - كتاب خلاصة النهج في مناسك الحج .
- ١٢ - كتاب مقاليد التنزيل لإدراك حقائقه بالتأويل .
- ١٣ - كتاب المغانم في الخلاص من المظالم .
- ١٤ - القضايا في حلّ عويص الوصايا .
- ١٥ - كتاب يحتوي على وصايا ونصائح وترغيب وترهيب من الكتاب والسنة .
- ١٦ - كتاب الصناعة الإلهية .
- ١٧ - زيادة على كتاب الأشراف .
- ١٨ - كتاب في القصاص والديانات .
- ١٩ - كتاب المستطاب .
- ٢٠ - كتاب تفليس ابليس .
- ٢١ - كتاب جامع أبي نيهان .

هذا كما يوجد للشيخ الرئيس عدد من القصائد الطنانة والتي توضح بجلاء تلك الملكة الشعرية العالية والأصيلة عند الشيخ . ومن هذه القصائد :-

- ١ - قصيدته المعروفة باسم «النونية» .
- ٢ - قصيدة له تعرف باسم «حياة المهج» قام بشرحها شرحاً وافياً<sup>(١)</sup> .

---

١ - موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب . دليل أعلام عمان . ١٩٩١ . ص ٤٥

## خاتمة البحث

إن هذه القراءات السريعة في سيرة الشيخ العلامة جاعد بن خميس تكشف لنا بجلاء تلك الهمة العالية وتلك النفس الزكية التي عشقت العلم وتبحرت فيه فكانت فيض خير ورحمة على العلم وطلابه في كافة الأوقات .

إن الشيخ الرئيس - دون شك - كان نابغة عصره وفريد زمانه يشهد له بذلك كل عاقل عرف العلم وقدر العلماء كما تشهد له بذلك تلك المكتبة الضخمة التي خلفها لطلبة العلم والتي تنتظر جهود المخلصين من أبناء هذا البلد المعطاء حتى تكون في متناول أيدي الجميع ومن هنا تأتي الدعوة إلى تحقيق ونشر كتب الشيخ فهي - دون شك - تستحق العناية والاهتمام .

ولا يخفى على أحد أن دراسة حياة الشيخ والاهتمام بسيرته سوف تساعد على إثراء المكتبة العمانية اعتماداً على طول الفترة الزمنية التي قضاها الشيخ الرئيس على وجه هذه العمورة والتي ناهزت التسعين عاماً وهي الفترة المليئة بالأحداث والمتغيرات على كافة الأصعدة والمستويات وفي وقت كان فيه الشيخ محور العديد من هذه الأحداث .

## أسماء المصادر والمراجع

- ١ - أحمد بن سعود السيabi . ترجمة لحياة الشيخ سعيد بن أحمد الكندي . مقال غير منشور .
  - ٢ - حميد بن محمد بن رزيق . الصحيفة القحطانية . مخطوط تابع لمكتبة الشيخ أحمد بن سعود السيabi (نسخة مصورة من جامعة أكسفورد) .
  - ٣ - حميد بن محمد بن رزيق . الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين . وزارة التراث القومي والثقافة . ١٩٨٦ . ط ٢ .
  - ٤ - سالم بن حمود السيabi . عمان عبر التاريخ ج ٤ . ط ٢ . وزارة التراث القومي والثقافة . ١٩٨٦ م .
  - ٥ - عبدالله بن حميد السالمي . تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان . ج ٢ مكتبة الإستقامة .
  - ٦ - عبدالله بن سالم الحارثي . أضواء على بعض أعلام عمان قديماً وحديثاً العالمية ١٩٩٤ م .
  - ٧ - كهلان بن نبهان الخروصي . الشيخ جاعد بن خميس دراسة وتحقيق .. بحث غير منشور .
  - ٨ - د . مبارك بن عبدالله الراشدي . مقال بجريدة عمان . عدد ٤٩٤٤ . ٤ ديسمبر ١٩٩٤ .
  - ٩ - محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي . شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان ج ١ . وزارة التراث القومي والثقافة . ١٩٨٤ م .
  - ١٠ - مخطوط كتاب المستأنف . جامعة السلطان قابوس . غرفة عمان .
  - ١١ - مهنا بن خلفان الخروصي . ترجمة لحياة الشيخ جاعد بن خميس الخروصي بحث غير منشور .
  - ١٢ - موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب . دليل أعلام عمان .
- زيادات الاشراف وهو تعقيبات وتعليقات على كتاب الاشراف لابن المنذر النيسابوري المتوفى سنة ٣١٧هـ في أربعة أجزاء .



(٢)

الحصر الذكي عاش فيه الشيخ الرئيس  
أبو نبهان جاعد بن خميس الخروصي

(١١٤٧ هـ / ١٧٣٥ م - ١٢٣٧ هـ / ١٨٢١ م)

إعداد:

سعيد بن سليمان بن سبيح الظفري

في عمق التنافس الأوروبي على منطقة الخليج العربي للسيطرة على أوضاعه بما يخدم مصالح الدول الأوروبية السياسية والاستراتيجية والتجارية، والذي شهد الذروة في نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، وفي المرحلة الانتقالية التي حملت عمان من أحضان الدولة اليعربية التي احتضنتها لفترة تاريخية استمرت ١٢٠ سنة تقريبا ورعتها حق الرعاية حتى شب عودها وقهرت خصومها ثم لترجعها إلى شيخوخة محتومة وضعف مرتقب وتنقلها إلى أحضان دولة جديدة تولي فيها أبناء واحة أدم حملها ورعايتها منذ ١٧٤٩م ليجهدوا أنفسهم في إخراجها من غرفة العمليات السياسية والاجتماعية المحلية والخليجية والدولية لتصير مولودا ينشر اسم عمان في كل الجهات ويجعل مجدها خفاقا يرفرف على طول سواحل الخليج العربي الشرقية والغربية ليعانق جوف الهند ويلثم الزهور اليانعة في سهول شرق أفريقيا وليسير معها إلى وقتنا الحاضر. من بين كل ذلك تزهّر أزهار بلدة العليا في وادي بني خر وص بأينع وردة زكا طيبها وسما أصلها وجل محتدها لتقاوم ظروف عصرها لتعيش فيه أبنية فواحة تمد خيرها لمن حولها لمدة تسعين سنة امتدت من ١١٤٧ هـ إلى ١٢٣٧ هـ مما دفعنا إلى الغور في أعماقها لنكشف بعضا من أسرارها مقرونا بظروف طبيعة عصرها.

وهكذا جاء هذا البحث في شخصية أبي نبهان الشيخ الرئيس جاعد بن خميس الخروصي دراسة وافية في العصر الذي عاشت فيه هذه الشخصية بتناول مختلف أوجه الحياة في ذلك العصر مركزين على الأوضاع الاجتماعية والفكرية والعلمية والسياسية ما أمكن.

وقد حاولت في هذا البحث أن أضع للقارئ تصورا شاملا لحقيقة الأوضاع المحلية والدولية لننظر إلى شخصية الشيخ من خلال مرآة مجتمعه وليعین تلك الشخصية على سطح خارطة الأحداث لتكتمل الصورة في ذهنه على افتراض اطلاعه على سيرة أبي نبهان ورغم ذلك فتداركاً منا للاحتمالية عدم تحقق ذلك فقد صدرنا بحثنا بنبذة مختصرة عن سيرة الشيخ الرئيس ومكانة بني خروص على صفحة التاريخ العماني.

وأشير هنا إلى أن القارئ قد يجد بعض الروايات المختلفة في تواريخ الأحداث الخاصة بعمان وخاصة الهجرية وهو راجع إلى اختلاف المصادر في رواياتها وتضاربها وقد حاولت تحاشي مثل ذلك فليُنظر القارئ إلى طبيعة العصر والروايات الخاصة به ويعذرنا عن التقصير وقلة المعرفة والإطلاع.

والله نسأل التوفيق،،،

## تمهيد

### نسب الشيخ أبي نيهان:

هو الشيخ الرئيس العالم العلامة الحبر الفهامة القطب المجتهد الجهيدة جاعد بن خميس بن مبارك ابن يحيى بن عبدالله بن ناصر بن الإمام الخليل الذي يعود في نسبه إلى شاذان بن الإمام الصلت بن مالك بن بني خروص بن شاري بن محمد الأزدي القحطاني العماني<sup>(١)</sup>. ولد شيخنا في سنة (١١٤٧هـ / ١٧٣٥ م) في بلدة العليا من وادي بني خروص وتوفي نصف النهار في يوم الخميس الثالث من ذي الحجة سنة (١٢٣٧هـ / ١٨٢١م) بقريته وقبره لا يزال هناك وقد لم نجمه وبزغ فجره في أواخر القرن الثاني عشر الهجري النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي ولقب بالشيخ الرئيس<sup>(٢)</sup> ولم يتلقب به غيره وكنيته أبو نيهان<sup>(٣)</sup>.

### مكانته العلمية:

تتجلى مكانة الشيخ العلمية في سيرته التي تجسد تلك المكانة العالية فيبعد أن تلقى العلم على يد أساتذته<sup>(٤)</sup>، أتقن مطلبه فاجاده وفاق أساتذته، وأصبح قطب زمانه فحق له لقبه «الشيخ الرئيس» كما ملك علم الأسرار وأبحر فيه. أضاف إلى ذلك أثره على تلاميذه فضلا عن مؤلفاته التي تزيد عن عشرين مصنفا نثرا وشعرا وقد تم نشر بعضها ومن أهم هذه المؤلفات<sup>(٥)</sup>:

- ١- كتاب دقاق أعناق أهل النفاق.
  - ٢- كتاب في أحكام المساجد والمدارس.
  - ٣- كتاب إيضاح البيان فيما يحل ويحرم من الحيوان.
  - ٤- كتاب شرح حياة المهج.
  - ٥- كتاب المسائل المنثورة.
  - ٦- كتاب مقاليد التنزيل لأدراك حقائقه بالتأويل.
  - ٧- كتاب المغامر في الخلاص من المظالم.
- وغيرها كثير فضلا عن مراسلاته وأشهر ما ورد عنه رسالة إلى محمد بن الإمام أحمد سيرد ذكرها إن شاء الله.

### الفكر الإباضي وعلمائه :

المتبع للتاريخ العماني منذ بزوغ فجر الإسلام وتبلور الوجود العماني المتنقل على يد بني الجلندي واستقبال عمان لتعاليم المذهب الإباضي وتشبعها به ليجد أن الفكر الإباضي الذي قام على معالجة

- ١- حميد بن محمد بن رزيق : الصحيفة القحطانية صورة من مخطوط بمكتبة أكسفورد للشيخ أحمد بن سعود (صفحة ٥٥٦).
- ٢- نفس المصدر والصفحة، / محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي: شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان ج ١ (صفحة ١٣٩).
- ٣- مبارك بن عبدالله الراشدي / لقاء في جريدة عمان العدد ٤٩٤٤ عن الشيخ أبي نيهان.
- ٤- سيرد ذكر أسماء أساتذة أبي نيهان في الفصل الخاص بالحياة الفكرية والعملية.
- ٥- مهنا بن خلفان الخروصي / بحث غير منشور عن أبي نيهان (صفحة ٧-٩).

قضية سياسية وهي مسألة الخلافة يلعب دورا كبيرا في صياغة التاريخ العماني منذ قيام الإمامة الاباضية الأولى في أواخر سنة ١٢٢هـ إلى العصر الذي عاش فيه أبو نبهان.

وقد اقتصرت بكل ذلك بروز دور علماء الاباضية في الدولة العمانية وكيف كانوا يرسمون خطوطها وينسجونها نسجا يتفق والنظرية الاباضية في الحياة السياسية والتي تستمدّها من السنة النبوية، لذلك وجدنا لهم الفضل الأكبر في استقرار الأوضاع داخل عمان تحت ظل الإمامة الاباضية ومكانتهم العظيمة حتى أصبح من المسلم به بان انفراط عقد الإمامة من يد هؤلاء النخب كان معناه تدهورها فتبرز ببروز دور المدرسة الاباضية والعكس صحيح طوال الفترات التاريخية ولم يكن باستطاعة الإمام أن ينفرد بالحكم دون مشورة العلماء .

لذلك كله احتل هؤلاء العلماء مكانتهم بين العمانيين على اختلاف مستوياتهم بما وفرته لهم مدرسة الاستقامة وحافظت لهم عليه ليبرز في كل عصر مجموعة من العلماء يتزعمهم أنبغهم وافقههم ليقودهم لمساعدة صرح الإمامة، ومن ألمع الأسماء في ذلك الشيخ موسى بن أبي جابر الأزكوي (ت ١٨١ هـ) والشيخ موسى بن علي بن عزرة (ت ٢٣٤ هـ).

### بنو خروص وتوجيه التاريخ العماني:

عندما تولى الإمام محمد بن أبي عفان اليميني الإمامة في سنة ١٧٧هـ وخلفه الإمام الوارث بن كعب الخروصي (١٧٩ - ١٩٢ هـ) كان ذلك بداية مجد بناء بنو خروص لانفسهم فخدموا الإمامة بنبع لا ينضب حتى لم تكن الإمامة تخرج منهم عن جدارة واقتدار لا عن تسلط واستحواذ وفيهم يقول أحد العلماء «وتسلطت فيهم السيادة ولم تأفل شمسهم فهم بين إمام مجاهد وعلامة مجتهد أو أمير مطاع وهم بمجمعهم على هضبات الشرف الرفيع» ويقول «وهم مع هذا لا يسودون بالعنف ولا يحكمون بالقهر ولا يزيلون النهج القويم وغير ذلك مما وصفهم به المؤرخون».

كما نبغ منهم العلماء العالمون والأعلام المجتهدون فأصبح العمانيون لا يرضون غيرهم للإمامة ولا تنقاد قبائلهم لسواهم حتى إذا ما خرجت لغيرهم اضطرب عقدها وتناثر درها والمتبّع لائمة عمان يجد أن الإمامة خروصية ناصعة لذلك ارتفعت مكانة أفرادها وارتقوا سماء المجد بفضلهم على اختلاف فروعهم لذلك لا عجب أن نجد الشيخ أبا مسلم البهلاني يقف عندهم وقفة التدبر في توثيقه<sup>(١)</sup>:

|                                        |                           |
|----------------------------------------|---------------------------|
| بذروة الـيـحـمـد الـصـيـد المـلـوك لـه | أعراق مجد وأساس وبنيان    |
| لا ينكر الناس ما للقوم من قدم          | وكيف يلحق عين الشمس نكران |
| احسابهم ومعاليهم ودينهم                | كواكب وهدايات ورضوان      |

ويقول فيهم الشيخ الشاعر سعيد بن محمد الخليلي<sup>(٢)</sup> (العشري) الذي عاصر الشيخ أبا نبهان في قصائد عديدة أحداها :-

|                                |                                 |
|--------------------------------|---------------------------------|
| ثم اندرجنا بتذكـار الملوك وهم  | بنو خروص ملوك غير أنكاس         |
| كانوا شـمـوس عمان في حـنـادسها | وغينها في الطوى بل طودها الراسي |

١ - أبو مسلم ناصر بن سالم بن عديم الرواحي ديوان شعر ص ٣٠٦.

٢ - سعيد بن محمد العشري: ديوان شعر ص ٢١٧.

هل من ملوكهم نسل يراوحنا  
قالت نعم ولهم سيما بأوجههم  
عرق الكريم بهم قد سن مكرمة  
وكذلك القصيدة المشتركة بين الشيخ أبي نيهان<sup>(١)</sup> والغشري وفيها:-

ومن في الأرض مثل بني خروص  
فكم بيعة عقدت لهم في  
هم الأبطال والأبدال كانوا  
فما ركبوا من الفحشاء باطل

إذا كان هذا هو حال العلماء في الفكر الإباضي ودورهم في تنظيمه وإذا كانت هذه هي مكانة بني خروص وأهميتهم في التاريخ العماني.

فقد كان الشيخ الرئيس درة ضمن هذا العقد المتلائي الذي لمع وأشرق فأزاح الظلمة وأسبل النور والحق، وكان تناول هذه الشخصية وتفاعلها مع أحداث عصرها ضرورة تحتمها المنهجية التاريخية والمتطلبات الحضارية وكان تناول العصر الذي عاش فيه أبو نيهان تناولاً بطبيعة العلاقة بين التاريخ وبين بني خروص وسنستعرض هنا إن شاء الله أبرز أحداث عصر الشيخ منذ ميلاده إلى وفاته.

## الفصل الأول الحياة السياسية

### أولاً : سقوط دولة اليعاربة :

كان ميلاد أبي نيهان سنة ١١٤٧هـ هو عصر وفاة دولة اليعاربة التي حكمت عمان منذ ١٦٢٤م إلى ١٧٤٩م ورغم قيام هذه الدولة على أساس سليم من مبادئ الفكر الإباضي بانتخاب الإمام ناصر بن مرشد إماماً لعمان وانتخاب خلفائه على نفس النهج إلا أننا نجد أنها تتجه للتدهور والضعف لعوامل متعددة وتدخل في صراع رهيب داخل أسرة اليعاربة، ولا شك أن تبلور الصراع داخلها نجم عن تعاقب أئمة عمان في هذه الفترة من نفس الأسرة على الرغم من اعتماده على اختيار أهل الحل والعقد وعلى عدم التوارث وإنما الأحقية والجدارة إلا أن سيادتها كأسرة جعل العمانيين بعد وفاة الإمام سلطان بن سيف الثاني (١٧١٨م - ١١٣١هـ) ينسون تلك الأسس ويتجهون لتوريثها لمن لا يستحقها متجاهلين النظرية السياسية الإباضية المستمدة من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم لتدخل عمان في مرحلة جديدة من الصراع الداخلي امتدت من (١١٣١هـ/١٧١٨م - ١١٦٢هـ/١٧٤٩م).

### بداية النزاع :

سرعان ما احتدم النزاع حول من سيخلف الإمام سلطان فكانت العامة متجهة لابنه سيف بينما اختار العلماء مهنا وكان دعلي المنزل في العائلة اليعربية مرموق المقام في الأمة العمانية<sup>(٢)</sup> ولأسكات العامة نادى الشيخ عدي بن سليمان الذهلي - وكان مقدماً على العلماء - بسيف إماماً ثم لما سكنت

١ - ابن رزيق نفس المصدر ص ٧٦ والنشر منها لأبي نيهان والثاني للغشري.

٢ - سالم بن حمود السيابي : عمان عبر التاريخ ج ٤، ص ٢٣.

العامّة أدخلوا منها القلعة سرّاً وبابعهو إماماً سنة (١١٣١هـ/١٧١٨م)<sup>(١)</sup>. كان لهذا الحدث أثره في بداية الانشقاق فسياسة الشيخ لم تكن موفقة لأنه أطلع العامّة بسيف ثم صرفها عنه ولو أنه أعطاها لمنها من البداية لكان أسلم ولذلك تعصب لسيف أنصاره وخاصة أهل الرستاق ويبدأ الاصطدام بين الجانبين لتسفر الأحداث عن مقتل الإمام منها عام (١١٣٣هـ) كأول إمام يروح ضحية التنافس على يد يعرب بن بلعرب الذي خرج بحجة الولاية على سيف والنصرة له بعد أن أعطوا الإمام منها الأمان<sup>(٢)</sup>.

## تأجج الصراع :

ولما صفا الجو ليعرب طلب الإمامة لنفسه فبويع بها سنة ١١٣٤هـ بعد أن أستتيب فسار سيرة حسنة حتى خرج عليه بلعرب بن ناصر خال سيف بن سلطان بعد مكاتبة أهل الرستاق له وبعد موجة من الصراع رضي يعرب بالنزوح عن نزوى لتزول إمامته واتجه لجبرين وسرعان ما عاد للاصطدام بعد تحريض محمد بن ناصر الغافري<sup>(٣)</sup> له فاستولوا على نزوى والتقوا بازكي وقتل من الفريقين فيها ٣٠٠ رجل ومات يعرب بنزوى بعد ذلك في ١٣ جمادى الآخرة سنة (١١٣٥هـ) وحليفه محمد بن ناصر بالرستاق واستطاع أن يستخلص منه الحصون ويمكن من الأوضاع حتى مقتله. ونظراً لاصطحاب محمد بن ناصر لسيف طوال حروبه فقد بويع بالإمامة بعده؛ بايعه الشيخ القاضي ناصر بن سليمان بن مداد الناعبي يوم الجمعة الأول من رمضان (١١٤٠هـ) وثار عليه بلعرب بن حمير واستولى على كثير من مناطق عمان وانضم إليه جلّ أهلها فبويع بالإمامة سنة ١١٤٥هـ بعد أن عزل عنها سيف بن سلطان الذي اتسمت سياسته بروح الأثانية<sup>(٤)</sup>.

## ثانياً : قيام الدولة البوسعيدية (١١٤٧هـ/١٧٣٥م - ١٢٣٧هـ/١٨٢١م) :-

### أ - عصر الإمام أحمد بن سعيد :-

يعتبر عهد الإمام أحمد بن سعيد استراحة لنفوس العمانيين من عناء الحرب الداخلية والانقسامات القبلية، فقد استطاع أن يطرد العجم من عمان وعمل على توحيد البلاد وتحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والتي أولاهما اهتماماً خاصاً للحفاظ على استقلال عمان. التي شهدت في عهده استقراراً سياسياً تدعمه سلطة مركزية حرصت على توحيد البلاد داخليا وتوطيد علاقات مميزة مع الدول الصديقة والشقيقة.

ورغم الصعوبات والأحداث التي واجهها الإمام أحمد بن سعيد في مطلع عهده إلا أن فترة حكمه لم تخلو من إنجازات خاصة في المجال الخارجي حيث انقذ البصرة وفك حصارها عام ١٧٧٦م بسفينته الرحماني

- ١ - حميد بن محمد بن زريق، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعديين. ص ٣٠١.
- ٢ - نفس المصدر. ص ٣٠٢، السيابي، مرجع سابق، ص ٢٤، سرحان بن سعيد الأزكوي: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. ص ١١٧.
- ٣ - نور الدين السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج ٢. ص ١٤٠، الأزكوي: مرجع سابق. ص ١١٨ و ١١٩، ابن زريق: الفتح المبين. ص ٣٠٣ وما بعدها. والشيخ السالمي يورد بلعرب بن ناصر خال سيف على أنه يعرب بن ناصر والأول أصوب.
- ٤ - السالمي : مرجع سابق ص ١٤٣. يذكر الشيخ أن عزل سيف كان عام ١١٣٣ ومبايعة بلعرب ١٣٤٥ ويبين أن تاريخ العزل فيه خطأ.

ولعب دوراً كبيراً في تطهير مياه الخليج وساحل ملبار من القراصنة تأميناً للسفن العمانية المترددة على موانئ الهند، كما وطد النفوذ العماني في شرق أفريقيا وقد توفي يوم الاثنين ١٩ محرم ١١٩٨هـ - ١٤ ديسمبر ١٧٨٢م. استقراره الدائم بالريستاق رغم أن مسقط مركز النقل البحري فلم يكن يزورها إلا نادراً.

ب - سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد:-

تولى الحكم بعد وفاة أبيه في سنة ١١٩٨هـ وكان أخواه سيف وسلطان خارج البلاد ولم يكونا راضيين عن حكمه وذلك كما يشير الشيخ السالمي في تحفته بأن ان السيد سعيداً غير مؤهل للحكم حسب رواية عن أبيه الإمام أحمد بعدما عزله عن نزوى<sup>(١)</sup>.

ج - السيد سلطان بن أحمد (١١٠٧هـ/١٧٩٢م - ١٢١٩هـ/١٨٠٤م) :

تمكن السيد سلطان أن يفرض سيطرته على عمان واتجه إلى الاهتمام بالعلاقات الخارجية مؤكداً على رغبته في بناء دولة متماسكة في الداخل وتحظى باحترام الدول المجاورة.

علاقته بأبي نهبان :-

يقول الشيخ السالمي<sup>(٢)</sup> ولم يذكر أبونهبان ولا ولده لسلطان هذا شيئاً يكرهونه منه، في باب الدنيا وظاهر الحال أن الحركات قد سكنت في أيامه واستراح أبو نهبان وأولاده. وفي رأيه أنه ليس من السهل أن نجزم بوجود نوع من الألفة بين الطرفين على الرغم من سابق التعاون بينهما.

د - السيد سعيد بن سلطان (١٢١٦هـ/١٨٠٤م - ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م) :-

بعد حروب واسعة خاضها سعيد تمكن من إرساء أسس ودعائم الوحدة الوطنية بين العمانيين في إطار دولة قوية متماسكة، كما حرص على توسعة أطر العلاقات الخارجية مع كافة الدول. وكان يسانده أخوه سالم حتى وفاته في مسقط في رجب ١٢٣٦هـ وعمته موزة ابنة الإمام التي أمدته بأفكارها وهو ابن ١٢ سنة فقعد في الملك برضى أخيه سالم وسياسة عمته<sup>(٣)</sup>. كما وسع رقعة علاقاته الخارجية على كافة الصعد السياسية والاقتصادية القائمة على الاحترام المتبادل ومعاملة الند للند.

## الفصل الثاني

### الحياة الفكرية والعلمية

#### أولاً : وضع الحركة العلمية :

لا يوجد مصنف يمكن أن يمدنا بمعلومات وافية عن هذا الجانب وهو يدين المؤرخين من إهمال الجوانب الحضارية والاهتمام بالأحداث السياسية ورغم ذلك سنحاول أن نعطي تصوراً عاماً للحركة الفكرية والعلمية في عمان في عصر الشيخ أبي نهبان.

وطبيعي أن اشتداد الحروب الداخلية والانقسامات القبلية سوف يكون له تأثير سلبي على الحركة العلمية إذ أن اهتمام الناس بطلب العلم والاشتغال بالتأليف سوف يكون قليلاً جداً عما لو كان الأمن

١- السالمي : التحفة ص ١٧٣.

٢- محمد مرسي عبدالله: إمارات الساحل و عمان والدولة السعودية الأولى. ص ١٧٨. ابن رزيق: الفتوح، ص ٤٢٩ وما بعدها.

٣- كهلان : مرجع سابق، ص ٣١.

سائداً فوجهت طاقات كبيرة لخدمة الأغراض السياسية لذا جاء عدد العلماء في هذه الفترة ضئيلاً جداً لا يتناسب مع فترات أخرى من تاريخ عمان .

### وضع العلماء :

ومن ناحية أخرى فإن تلك الحروب ألحقت أضراراً كثيرة بالعلم والعلماء وخاصة في فترة الانتقال بين دولة اليعاربة ودولة البوسعيد (١٧١٨-١٧٤٩م) فنجد أن العلماء بحكم المكانة الدينية قد اضطروا إلى الولوع لميدان السياسة بما حدا بعضهم إلى الانسحاب مع التيار السياسي، كما أن ذلك أدى إلى تعرضهم لكثير من الاعتداءات .

### سيادة رؤساء القبائل وتراجع العلماء :

ويأتي كل هذا في فترة ضاعت فيها مكانة العلماء فلم يكن لهم صوت مسموع بين الرعية بخلاف ما كان عليه الحال من قبل فاستولى شيوخ القبائل وزعماء الأحلاف القبلية على تصريف الأمور وتوجيه السياسات وأضعف من دور العلماء الأباضية وكان ذلك أثره البالغ في اتجاه البلاد إلى المزيد من الاضطرابات وليس أدل على ذلك من عزل الأئمة وتنصيبهم فنجد أن بني غافر مثلاً عزلوا بلعرب بن حمير ولولا سيف بن سلطان عام ١١٥١هـ<sup>(١)</sup> .

### التأليف :

من الطبيعي أن ينصرف العلماء عن التأليف لانشغالهم بأحداث العصر إن لم يمنع وجود عدد لا بأس به وأبرزهم الشيخ الرئيس وابنه الشيخ ناصر، وقد سار العلماء في عصر الشيخ على نفس منهجية من تقدمهم وكانوا أكثر تأثراً بالشيخ الكدومي وإعجاباً بأرائه، كما تأثر الشيخ الرئيس بالشيخ سعيد بن بشير الصبحي ويتجلى ذلك من خلال أجوبته، وفي المقابل كان للشيخ تأثيره فيمن أتى من بعده وهي الفترة التي سماها الشيخ أحمد بن سعود السيابي بالمدرسة الجاعدية<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: الأعلام في عصر أبي نيهان (١١٤٧هـ - ١٢٣٧هـ)

رغم ما ذكرناه في الفصل الأول فإن السلم به أن تكون هناك ردة فعل تجاه هذه الأوضاع المتردية لذا ظهرت نخبة من العلماء المخلصين فوطنوا أنفسهم لمقاومة الجهل ومحاربة البدع وإرجاع الأمة إلى عقليتها من خلال جهودهم السياسية والاجتماعية والفكرية المتمثلة في التأليف أو التعليم كما إن الحياة الأدبية كانت مزدهرة نوعاً ما لأن نفس الأديب نفس متقدمة في الحرب أكثر منها في السلم فظهر العديد من الأدباء والشعراء على طول فترة أبي نيهان قبيل ولادته وإلى وفاته.

١- ابن رزيق / الفتح (صفحة ٣٠٣ / ٣٠٤).

٢- السالمي / التحفة (صفحة ١٤٧)، ابن رزيق / الفتح (صفحة ٣٣٨)، مديحة أحمد برويش / سلطنة عمان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (صفحة ٧٣).

## أ- علماء عاصروا ميلاد أبي نيهان وشبابه :

وأبرزهم الشيخ سعيد بن بشير الصباحي الذي طلب منه الإمام سيف بعد توليه الإمامة عام ١١٤٠هـ أن يزيد في فريضته فرفض الشيخ سعيد ذلك وقد عاش إلى ما قبل دخول العجم إلى عُمان<sup>(١)</sup>. ولعله في السنة التي ولد فيها الشيخ الرئيس أو التي بعدها. كذلك الشيخ الفقيه سليمان بن مبارك بن علي البوسعيدي الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري، وكان فقيها واليا للإمام أحمد وله كتاب «تذكرة الحكام في معنى الدعاوي والأحكام» والشيخ محمد بن سيف بن سعيد الشيباني الأدمي عاصر الشيخ أنف الذكر، والشيخ أبو سعيد بن أحمد بن يوسف البوسعيدي وقد صار والياً للإمام أحمد على منح ومُعري.

والفقيه سعيد بن ناصر البوسعيدي وكان والياً للإمام أيضاً<sup>(٢)</sup>.

وكذلك الشيخ محمد بن خميس بن مبارك والشيخ سعيد بن محمد من بني خروص وهذان تكلموا في تغريق أموال سيف بن سلطان الثاني ومعهما الشيخ حبيب بن سالم الامبوسعيدي وكان تاريخ الكتاب في ١١٥٧هـ ولآخر في ١١٦٠هـ<sup>(٣)</sup>.

أضف إلى ذلك المشايخ الذين خلعوا الإمام بلعرب بن حمير في سيرة الشيخ حبيب عام ١١٦١هـ - على رواية الشيخ السالمي<sup>(٤)</sup> ومنهم :-

الشيخ سالم بن راشد البهلولي والشيخ راشد بن سعيد الجهضمي والشيخ محمد بن ناصر الحراسي والشيخ محمد بن خلف والشيخ غانم بن عامر والشيخ بجاد بن سالم<sup>(٥)</sup>.

كما لا ننسى أبا الشيخ الرئيس الشيخ خميس بن مبارك الذي كان له مباحثات في مسائل فقهية لعلماء ذلك العصر ومشاركات فضال عن أخيه المذكور أنفاً.

## ب- معاصروه ومجالسوه :

ونبدأ من قيل انهم أساتذته<sup>(٦)</sup> من أمثال الشيخ حبيب بن سالم الامبوسعيدي والشيخ هلال بن عبدالله العدوي النزوي والشيخ سعيد بن أحمد الكندي والشيخ ناصر بن سليمان بن عبدالله الخليلي الخروصي<sup>(٧)</sup>.

هذا فضلاً عن غيرهم من العلماء الذين اتصلوا بالشيخ بعد اشتهاره وكانت لهم مراسلات ومكاتبات معه ومن

أبرزهم الشيخ السيد العالم أبو زهير مهنا بن خلفان بن محمد البوسعيدي ولد في القرن الثاني عشر وعاش بمسقط مع أبيه الوكيل وكان بينه وأبي نيهان تبادل آراء في كثير من المسائل ويروى أن الشيخ أبا نيهان قال لوالده وقد كتب إليه يسأله عن بعض المسائل «أتسألني وعندك ولدك مهنا» كما قال عنه «إذا عدم العلم من عمان فالتمسوه من مهنا بن خلفان» وله مؤلف مشهور هو «لباب الآثار الواردة على الأولين والمتأخرين الأخيار»<sup>(٨)</sup>.

١- البوسعيدي / مرجع سابق صفحة ٦٩ / ٧٠ / ٧٢.

٢- السالمي / التحفة صفحة ١٦١.

٣- نفس المصدر / صفحة ١٦٦ / ١٦٧.

٤- الشيخ سعيد بن بشير الصباحي بعد ولادة أبي نيهان بثلاث سنوات ( ١١٥٠ هـ ) المحقق.

٥- نفس المصدر والصفحات.

٦- كهلان الخروصي/مرجع سابق صفحة (١٦).

٧- مبارك الراشدي/مرجع سابق نفس الصفحة.

٨- كهلان الخروصي/مرجع سابق صفحة ٢١، ٢٢ ويشكك الشيخ كهلان في صحة تلقي أبي نيهان العلم من هؤلاء ما عدا الشيخ ناصر بن سليمان الخليلي وله مناقشات في بحثه انظر صفحة ٢٠-٢١.

كذلك ممن عاصروه العالم الشيخ سالم بن أحمد بن سعيد البوسعيدى ولد في القرن الثاني عشر وصار والياً على منح وتوفي سنة ١٢٠٥هـ وكذلك السيد الثقة الشيخ سالم بن سعيد البوسعيدى نشأ في النصف الثاني من القرن الثاني عشر في محلة الخطوة من وادي الحملي وكان حياً إلى سنة ١٢٠٤هـ والشيخ العالم محمد بن خميس بن سالم البوسعيدى وكان بينه والشيخ الرئيس تبادل آراء في الأحكام وكانت نشأته في سمد الشأن ثم انتقل إلى الرستاق<sup>(١)</sup>.

وقد عاصره نخبة من العلماء اشتهروا في عهد السيد حمد بن سعيد بن الإمام الذي اهتم بالعلماء وقرَّبهم إليه ومنهم الشيخ سالم بن محمد الدرمني الازكي والقاضي سعيد بن أحمد بن سعيد اليمدي ومن عاصر الشيخ أبا نبهان الشيخ القاضي مبارك بن عبدالله النزوي والشيخ سليمان بن ناصر المهللي والشيخ أحمد بن ناصر الحراصي، والشيخ خميس بن سالم الهاشمي، والشيخ فضل بن سيف اليمدي، والشيخ محمد العاني، وكانوا من خاصة السيد حمد بن سعيد بن الإمام<sup>(٢)</sup>.

كما عاصره الزاهد سيف بن سعيد المعولي؛ والشيخ ثنيان بن ناصر بن خلف الزاملي، والشيخ العالم الفصيح حماد بن محمد بن سالم البسط؛ والشيخ حميد بن سالم الدرمني، وكانوا ممن أحاطهم السيد سالم بن سلطان برعايته واهتمامه في عهد أخيه سعيد<sup>(٣)</sup> كما عاصره الشيخ العروضي ناصر بن محمد بن سليمان الخروصي السماطي، والشيخ الشاعر سعيد بن محمد بن راشد الخروصي وشعراء آخرون سنذكرهم فيما يأتي<sup>(٤)</sup>:-

### ج- تلاميذه:

وهم أكثر من خالط الشيخ وصاحبه ونذكر منهم على سبيل المثال:

- ١- الشيخ العالم أبو محمد ناصر بن أبي نبهان (١١٩٢هـ - ١٢٦٣هـ) وقد بلغ درجة كبيرة من العلم وله مؤلفات كثيرة منها موسوعته العلمية (الحق المبين والحق اليقين)<sup>(٥)</sup>.
- ٢- الشيخ خميس بن أبي نبهان (١٢٠٩هـ - ١٣٠٧هـ) وهو عالم تقي ورع وقع عليه الاختيار ليكون إماماً زمن الشيخ المحقق الخليلي ولكنه أبي<sup>(٦)</sup>.
- ٣- الشيخ راشد بن سعيد بن أبي نبهان وكان ذا معرفة وعلم بالشعر والأدب<sup>(٧)</sup>.
- ٤- الشيخ منصور بن محمد بن ناصر بن خميس ابن ابن أخي أبي نبهان وله شرح لامية العلامة ابن النضر العماني<sup>(٨)</sup>.
- ٥- الشيخ أبو محمد عبدالله بن ناصر بن محمد بن بشير السوني الخروصي وهو الذي وصفه الشيخ أبو نبهان باكتمال خصال الإمامة فيه واستحقاقه لها<sup>(٩)</sup>.

١- البوسعيدى/مرجع سابق صفحة ٨١، ٨٠.

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر . ص ٤٤٤.

٤- ابن رزيق : الصحيفة القحطانية ص ٧٦١، مهنا الخروصي: مرجع سابق ص ٧.

٥- نفس المرجع . ص ٦. وللشيخ مناقب كثيرة نكرها ابن رزيق في الصحيفة انظر ص ٧٠٦ وما بعدها .

٦- السالمي : التلخفة ص ٢١٩، كهان الخروصي : مرجع سابق . ص ٢٤.

٧- مهنا الخروصي، نفس المرجع ص ٦.

٨- نفس المرجع . ص ٦، ٧.

٦ - الشيخ حسن بن درويش بن سعيد الخروصي السوني واشتغل بعلم الفلك وولده الشيخ سعيد بن حسن بن درويش وكان فقيهاً وشاعراً<sup>(١)</sup>.

إضافة إلى ما سبق فإن الشيخ كهلان حفيد أبي نيهان لا يستبعد أن يكون العالم الشيخ جميل بن خميس السعدي . صاحب القاموس والشيخ العالم محمد بن سليم الغاربي والشيخ العالم سلطان بن محمد البطاشي أن يكونوا ممن تلقوا مباشرة عن الشيخ وإن لم يبق دليلاً على ما ذكر<sup>(٢)</sup>.

#### د . معاصروه من الشعراء :

في كل عصر لا بد وأن يتزين بنخبة من الشعراء يسألون النفوس بكلماتهم الرقيقة ويشاركون المجتمع أماله وآلامه وهكذا عصر أبي نيهان الذي لو لم يكن فيه إلا هو شاعراً لكفى وله قصائد كثيرة أغلبها في السلوك وهي من أروع القصائد وممن وجدوا في عصر أبي نيهان الشيخ الفصيح راشد بن سعيد بن بلحسن العيسى السيمائي واشتهر بمدح الامام أحمد بن سعيد، كما مدح أبا نيهان<sup>(٣)</sup>. والشيخ العالم الفصيح أبو الأحول سالم بن محمد بن سالم الدرمني الأزكوي وله القصيدة المشهورة في السيد حمد بن سعيد بن الامام ومطلعها :-

ما بين بابي عين سحنة واليمن سوق تباع به القلوب بلا ثمن  
والأديب المؤرخ الفصيح حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت صاحب «الفتح المبين» و«الشعاع الشائع بالمعان» وله القصيدة المسدسة المسماة بالجمانية ومطلعها<sup>(٤)</sup> :-

سل الأبطح الهدمي عن آل عدنان اجتمعوا ذكرا وبوحي وفرقان  
وقد مدح أبا نيهان كذلك الشيخ الشاعر<sup>(٥)</sup> سعيد بن محمد بن راشد بن بشير الخليلي الخروصي وكان ممن اتصل بالشيخ بدليل القصيدة التي اشتركا فيها<sup>(٦)</sup> وله ديوان حافل بالمواظع والمدائح والحث على الزهد وذكر فضائل بني خروص ومن قصائده في مدح الرسول قصيدة مطلعها :-  
خطرت تميم تبخترأ وتوددا فضحت بذاك الببان لدنا أملا  
ومنها السيد سعيد بن الامام<sup>(٧)</sup> وله قصائد عديدة .

#### الملاحم الأدبية في شعر معاصريه :

تمتاز الفترة التي عاش فيها الشيخ بتعدد الشعراء والأدباء الذين أثروا الساحة الأدبية سواء في عمان أو في العالم العربي وخاصة في مطلع القرن التاسع عشر وستكون هذه الفترة «٧» بداية ازدهار أدبي واسع وإن لم يعايشه أبو نيهان . كما أن فترته الأولى امتازت بتعدد الأغراض الشعرية التي طرقها الشعراء وأن غلب على بعضها طابع العصور الأدبية السابقة من السجع والمحسنات المعنوية واللفظية مع احتوائه على لمحات فنية نتجت عن الانطلاق مع الطبيعة دون التقيد بالمحسنات .

١- المصدر السابق.

٢- كهلان الخروصي : نفس المرجع . ص ٢٤.

٣- الخصيبي : مرجع سابق ص ١٤٠ . ص ١١٣ - ١١٥.

٤- الخصيبي : مرجع سابق . ص ١٢٨ - ١٣٣.

٥- ابن رزيق : الصحيفة ص ٦٦٠ - ٦٦٣ . الخروصي : مرجع سابق . ص ١٢٩.

٦- انظر القصيدة ص ٦ من هذا البحث.

٧- يبدو أن الأوضاع السياسية انعكست على الفكر فوجد نوع من الجمود الفكري خاصة عند العامة (مقابلة مع الشيخ أحمد بن سعود السيابي مارس ١٩٩٦) .

ويظهر لي أن شعراء هذه الفترة كان أكثر اتجاههم إلى المديح سواء للأئمة أو العلماء أو السادة فضلاً عن القصائد الدينية ومنها سلوكيات أبي نيهان إلى جانب التحدث عن ماضي العصر وظهور الفتن وهو منتشر في دواوين الشعراء .

## الخاتمة

يبدو واضحاً من خلال الإبحار في عصر الشيخ أبي نيهان أنه يمثل مرحلة مهمة من مراحل التاريخ على المستوى المحلي الداخلي والخليجي أو على المستوى العالمي وذلك لما شهده من تطورات ملحوظة على مجريات الأحداث وخاصة في عمان ومنطقة الخليج العربي .  
فعندما ولد الشيخ كانت عمان تستقبل مكره الغزو الفارسي الذي وجد الفرصة سانحة أمامه لتدهور الأوضاع الداخلية في عمان وبخول العمانيين في صراع عنيف من جراء الفتنة القبلية، بينما كانت دولة اليعاربة تلغظ أنفاسها الأخيرة مودعة التربة العمانية لتنمو على جنباتها دولة أخرى تنهض بعمان إلى افق أرحب وتحاول إعادة صياغة التاريخ العماني منذ بروز أحمد بن سعيد كوالٍ على صحار ثم كإمام على عمان .

ويتجلى بوضوح حقيقة الأوضاع الفكرية والاجتماعية التي سادت كنتاجات للأحداث السياسية وما خلفه الخطر الوهابي على عمان من انقسامات مذهبية في الوقت الذي تركت فيه العصبية القبلية انقساماً قُبلياً وأثر كل ذلك على الحركة العلمية لانصراف العلماء إلى الشؤون السياسية باستثناء فئة سلمت من الانخراط في تلك الأحداث وأسهمت في المجال العلمي، كما أن الحياة الأدبية استطاعت أن تشق لنفسها طريقاً مكنها من التجانس مع أحداث عصرها ومعطياته .

وجاء أبو نيهان ليتفاعل مع كل ذلك قلباً وقالياً وليتبادل التأثير مع عصره فكان بحق شخصية عظيمة خلّد التاريخ ذكرها وسطرها بأحرف ذهبية يبقى بريقها يشع ببقاء أثارها المجيدة فأكرم به من شيخ وأعظم به من رئيس.

## قائمة بأسماء المصادر والمراجع

- ١ - الشيخ أبو مسلم ناصر بن سالم بن عديم الرواحي: ديوان أبي مسلم . تحقيق عبدالرحمن الخزندار . مطابع دار المختار ١٩٨٦م بدون مكان نشر .
- ٢ - العلامة بشير بن محمد بن محبوب المكنى بأبي المنذر : كتاب المستأنف متضمن لرسالتي الشيخ أبي نيهان الخاصة بمن اعتنق الوهابية من أهل عمان والأخرى إلى محمد بن مقرن النجدي صورة مخطوط بمكتبة جامعة السلطان قابوس بغرفة عمان مرقم بـ 371.2 M Oman Bp 166.2 .
- ٣ - السيد حمد بن سيف بن محمد البوسعيد : كتاب الموجز المفيد نبذة من تاريخ البوسعيد . الجزء الأول الأئمة والسلطين . بدون دار نشر ولا سنة نشر ولا مكان نشر .
- ٤ - حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت :  
أ - الصحيفة القحطانية . صورة من مخطوط بمكتبة اكسفورد ببريطانيا رقم ١٢٦١ ٣ موجود بمكتبة الشيخ أحمد بن سعود السيابي .

ب- الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين . ج ٢ تحقيق عبد المنعم عامر ود . محمد مرسي .

وزارة التراث القومي والثقافة . مسقط ١٩٨٣م .

٥ - خالد ناصر القاسمي : عمان بين الاستقلال والاحتلال دراسة في التاريخ العماني الحديث وعلاقاته الاقليمية والدولية في الفترة ما بين (١٧٨٩ . ١٩٠٤م) . مؤسسة الشراع العربي الكويت ١٩٩٣ .

٦ - دار المشرق : المنجد في اللغة والاعلام . ط ٢٨ دار المشرق . بيروت ١٩٨٦م .

٧ - رسالة أبي نيهان لمحمد بن الامام أحمد بن سعيد : صورة مخطوط من مكتبة الشيخ أحمد بن سعود السيابي مكونة من ٢٤ صفحة .

٨ - الشيخ سالم بن حمود بن شامس السيابي :-

١- عمان عبر التاريخ . الجزء الرابع . وزارة التراث القومي والثقافة . مسقط ١٩٨٦م .

ب - ايضاح المعالم في تاريخ القواسم صفور البحر العماني . ج ١ . مراجعة أحمد التدمري ١٩٧٦م بدون دار نشر ولا مكان نشر .

٩ - س.ب. مايلز : الخليج بلدانه وقبائله . ترجمة محمد أمين عبدالله . ط ٣ . وزارة التراث القومي والثقافة . مسقط ١٩٨٦م .

١٠ - سرحان بن سعيد الأزكوي : تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة . تحقيق عبد المجيد القيسي ط ٣ . وزارة التراث القومي والثقافة . مسقط ١٩٩٢م .

١١ - الشيخ سعيد بن محمد الخليلي الخروصي : ديوان الغشري . تحقيق محمد عبد المنعم . وزارة التراث القومي والثقافة . مسقط ١٩٨١م .

١٢ - د. صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي . مكتبة الانجلو المصرية . القاهرة ١٩٨٣م .

١٣ - عائشة علي السيار : دولة البعارة في عمان وشرق افريقيا . ط ١ . دار القدس . بيروت ١٩٧٥م .

١٤ - عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم : حكومة الهند البريطانية والادارة في الخليج العربي . دراسة وثائقية . ط ١ دار المريخ . الرياض ١٩٨١م .

١٥ - عبدالقادر حمود القحطاني : سيرة الامام أحمد بن سعيد البوسعيدي مؤسس الدولة البوسعيدية (١٧٠٠ - ١٧٨٣) وزارة الاعلام . مسقط ١٩٩٤ بحث مقدم لندوة عمان في التاريخ ٢٤ - ٢٧/ سبتمبر ١٩٩٤م .

١٦ - الشيخ عبدالله بن حميد السالمي (نور الدين) : تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان

١٧ - كهلائ بن نيهان الخروصي: الشيخ الرئيس جاعد بن خميس الخروصي . بحث غير مطبوع .

١٨ - مبارك بن عبدالله الراشدي: لقاء في جريدة عمان العدد ٤٩٤٤ عن شخصية أبي نيهان الخروصي . مسقط ١٩٩٤م .

١٩ - الشيخ محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي: شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء

- شعراء عمان . الجزء الأول . وزارة التراث القومي والثقافة . مسقط ١٩٨٤ م .
- ٢٠ - مديحة أحمد درويش : سلطنة عمان في القرن الثامن عشر والتاسع عشر . ط١ دار الشروق للنشر والتوزيع . جدة ١٩٨٢ م .
- ٢١ - مصطفى النجار وآخرون : تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر .
- ٢٢ - الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي : بحث عن الشيخ جاعد بن خميس الخروصي . بحث غير مطبوع . مكتبة الشيخ مهنا الخروصي . ولاية العوabi
- ٢٣ - مؤلف مجهول : قصص وأخبار جرت في عمان . ط٢ . وزارة التراث القومي والثقافة . مسقط ١٩٨٣ م .

مراجع أخرى : مقابلات:

مقابلة مع الشيخ أحمد بن سعود السيابي ، الأمين العام بمكتب الافتاء بمكتبه في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية . الخوير . فبراير ١٩٩٦ م . ١٧ مارس ١٩٩٦ م .



(٣)

أبو نبهان جاعد بن خميس الخروصي

(١٤٧م/١٧٣٥ - ١٢٣٧هـ/١٨٢١م)

(ثقافته : شيوخه وتلاميذه)

إعداد

د. سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

بقسم التاريخ - بكلية الآداب

جامعة السلطان قابوس

## \* مقدمة

الحمد لله - تبارك وتعالى - ، واصلي واسلم على سيدنا محمد المصطفى ، وعلى آله وصحبه المشهود لهم بالتقوى وبعد .

فقد لعب أعلامنا العثمانيون عبر التاريخ العثماني الطويل دوراً بارزاً في شتى ميادين الحياة، حيث أضافوا لمسات محسوسة بما تميزوا به من علو الهمم ، وصدق النوايا دون تكلف ولا تذرير ولا كلل ، وأبلوا بلاءً حسناً في إعطاء الشرعية للحكام الشرعيين الذين تعاقبوا على عرش عمان ولا يكاد يخلو أي حاكم شرعي من وجود عالم كبير يساند هذا الحاكم أو ذاك ، ولهم مؤلفات عديدة في كافة المجالات ، ولهم سير عبروا فيها عن آرائهم في الحاكم والمحكوم تأييداً أو معارضة .

ويمكن في هذا المقام أن نعطي نمونجاً واحداً لهؤلاء العلماء والائمة في التاريخ العثماني الحديث ودورهم في السياسة العثمانية ، فعندما تمت البيعة للإمام عمر بن الخطاب بن محمد الخروصي (٨٨٧هـ/١٤٨٢م - ٨٩٦هـ/١٤٩٠م) كان العاقل له بها العلامة محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج (ابن رزيق: الفتوح: ٢٥٧) ، كما ان العاقل للإمام ناصر بن مرشد بن مالك اليعربسي (١٠٣٤هـ/١٦٢٤م - ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م) العلامة خميس بن سعيد الشقصي ، صاحب كتاب منهج الطالبين ، كما أن الشيخ حبيب بن سالم الأمبوسعيدي قد عقد البيعة للإمام أحمد بن سعيد بن أحمد البوسعيدي (١١٦٢هـ/١٧٤٩م - ١١٩٨هـ/١٧٨٣م) بعد خلع الإمام بلعرب بن حمير بن سلطان اليعربي في عام ١١٦٢هـ/١٧٤٩م .

أما في مجال التأليف فلم تنقطع المؤلفات العثمانية منذ القرن الثالث الهجري إلى وقتنا الحالي . فهناك مصنفات بشير بن محمد بن محبوب القرشي وأبي المؤثر الصلت بن خميس الخروصي ، وجوامع ابن بركة ، وأبي الحواري محمد بن الحواري ، وأبي الحسن علي بن محمد البيسوي ، وأبي سعيد محمد بن سعيد الكدمي ، وفي القرن الخامس للهجرة ظهرت مؤلفات علماء قبيلة الكنود كبيان الشرع والكفاية والمصنف ، ومؤلفات العلامة أبي المنذر مسلم بن سلمة العوتبي، الضياء والإبانة والأنساب . وسار التأليف على هذا النهج إلى أن وصل إلينا في هذا العهد دون انقطاع.

وقد أسهم علماء الدولة اليعربية (١٠٣٤هـ/١٦٢٤م - ١١٦٢هـ/١٧٤٩م) بفضل مدرسة

جبرين التي أسسها الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف اليعربي ( ١٠٩١هـ - ١١٠٥هـ ) وتخرج من هذه المدرسة جملة من العلماء والأدباء والمثقفين لا نحصى لهم عدداً . وغدوا منارة علم خلال القرنين ١٢ و ١٣ الهجريين . واستفاد من هؤلاء الخريجين دولة آل بو سعيد التي ورثت دولة اليعاربة ونبع منهم ومن تلاميذهم مفكرون وأعلام أفذاذ ، ومن بينهم عالمنا الشيخ الرئيس أبو نبهان جاعد بن خميس بن مبارك الخروصي الذي نحتمي به في هذه الندوة بوجود هذا الجمع الكريم المشتاق إلى معرفة سيرة أسلافه الذين خلّدوا ذكراهم في أسفار جمة والتي غدت مقصداً ومورداً لرواد العلم والمعرفة . وهي بحق مصداقاً لقول نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - صدقة لهم . روى ابن حنبل في مسنده الذي رواه عن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

وتاريخ أعلامنا يفتقر إلى المصادر والتدوينات ، ونكاد لا نجد سوى كلمات مبعثرة في سياق قصة أو حدث أو فتوى أو اعتراض على قضية ما ، أو ترك إثارة علم منظومة أو منثورة . لهذا سأتبع السيرة العلمية للشيخ جاعد بن خميس بشيء من الحذر ، واضعاً نصب عيني أن هذه المبادرة ربما تجد من يسد النقص الذي فيها .

والباحث يستخدم في هذا البحث، منهج المقارنة ، بالإضافة إلى منهج الظنون في بعض الأحيان لعل الظن يقود إلى حقيقة ، أو يوضح حدثاً غامضاً ، أو يفتح باباً للتفكير ، وهذا لا يتنافى مع الظن المذموم الذي حذرنا القرآن منه ، لأن الظن ليس كله مذموم بإتفاق المفسرين .

تتمحور هذه الورقة حول ثقافة أبي نبهان ومدى تأثيره بشيوخه الذين تعلم على أيديهم أو استفاد من علمهم ، كما أن لنا وقفة مع بعض الكتب التي تأثر بها ويستشهد بها في جميع مراحل عمره ونختم الحديث عن تلاميذه الذين غدوا شعلة علم بعد وفاته .

## ١- هوية أبي نهبان:

بعد هذه المقدمة استأنف في تخطي كلمات من سبقوني في التعريف بالعالم الذي نحتفي به وهو علامتنا أبو نهبان جاعد بن خميس بن مبارك بن يحيى بن عبدالله بن ناصر بن محمد بن حيا بن زيد بن منصور بن ورد بن الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك الخروصي .

وواضح من هذا أن أبا نهبان ينحدر من سلالة تتوأ بعض أفرادها منصب الإمامة كالإمام الصلت ابن مالك (٢٣٧هـ - ٢٧٣هـ) والخليل بن شاذان بن الصلت (٤٠٧هـ - ٤٢٥هـ)، ونقف قليلا عند هذا الإمام الذي يراودنا الشك في أن الخليل ليس ابنا لشاذان لتباعد المسافة الزمنية من ناحية وربما لسقوط اسم واحد أو أكثر ، والراجع معي أن ثمة اسما بينهما من الممكن أن يكون يدعى «ورد» الذي من الثابت أنه ابن لشاذان كما هو أيضا ابن للخليل وعلى ذلك أن الإمام الخليل سمي ابنه وردا كعادة العمانيين في بعض الأحيان الذين يطلقون أسماء أبنائهم تيمنا بأبائهم . وأشار الشيخ سليمان بن خلف الخروصي في كتابه « ملامح من التاريخ العماني (ص: ٢٤٣) لهذه الملاحظة، وقال : أن اسمه الخليل بن شاذان بن الخليل بن شاذان وقد نسب هذا القول إلى سمحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي عام السلطنة، ولا ندري على ماذا اعتمد شيخنا الخليلي في اعتقاده ولعل سقط التكرار في الاسم وبقي الاسم الأول .

كما أن أحد أجداد أبي نهبان يدعى حيا وفي قول « حيان » بإضافة النون.

ويبدو لي أن الصحيح بحذفها لأن الحذف أولاً جاء في أكثر من مصدر (ابن رزيق: ٤٣٧).

وثانيا أن تشيخ سليمان بن خلف الخروصي نسب قبيلة « بنو حيا » التي مفردها اليحيائي إلى هذا الرجل حيا بن زيد (الخروصي، سليمان: ٢٤٣). وأما أم أبي نهبان فمجهولة الاسم وهي ابنة الشيخ عبدالله بن مبارك بن عبدالله بن ناصر بن محمد الخروصي .

وتلقب الشيخ جاعد بن خميس الخروصي بلقب الشيخ الرئيس وبالعالم الرباني، كما انه يكنى بأبي نهبان وقد لازم لقب الرئيس والكنية الشيخ جاعد في حياته العلمية والاجتماعية، واشتهر بهما .

ولد أبو نهبان في القرية العليا من أعمال ولاية العوabi «سوني» في عام ١١٤٧هـ/ ١٧٣٥م وكان هذا في عهد الإمام سيف بن سلطان بن سيف اليعربي .

وعاش تسعين عاما، ففارق الحياة في يوم الخميس الثالث من ذي الحجة ١٢٣٧هـ/ ديسمبر ١٨١٢م (ابن رزيق، القحطانية: ٥٥٧)، بعد حياة حافلة بالأحداث، قضاه في التعليم والتنقل والتدريس والتأليف، وتقلد رئاسة العلماء في زمانه وانقاد له العلماء والمتعلمون . وأضحى إمام أهل الفقه في زمانه . قال عنه العلامة نور الدين السالمي في كتابه ( تحفة الأعيان: ١٨١:٢ ): «إن أبا نهبان كان المتقدم على أهل زمانه بالعلم والفضل والشرف، واتخذوه الناس قدوة في مرآشدينهم ومصالح دنياهم وقلة الأفاضل أمرهم لما علموا من علمه وورعه».

وممن اثنى على أبي نهبان الشيخ العلامة عامر بن علي العبادي في جواب له عن مسألة تكبيرة الإحرام وبعد أن ذكر جملة من العلماء قال : « وقد كفاني دليلا ومنهجا وسبيلا ممن سلك بحالي دار السلامة ومقام الكرامة الباقي إلى يومنا هذا في مصرنا وعصرنا وهو أبو نهبان جاعد بن خميس ...

وهو الإمام لأهل العدل من ملة الإسلام في هذه الدولة وهذه الأيام، وهو القدوة لمن جاء من بعده من الأعلام وهو الأمة والقائد من اقتدى بأثره الصحيحة إلى الجنة : (السعدي : قاموس الشريعة ١٩: ٢١١).

وقد نال أبو نيهان المديح من شعراء عصره، وذلك لمكانته الاجتماعية والعلمية وكذلك الأدبية. وقد جمع جميع الشعر الذي قيل فيه في ديوان يدعى «قلائد المرجان في مدح أبي نيهان» يحتوي على قصائد كثيرة في مدحه.

ومن العلماء الذين تشرفوا في مدحه العلامة أبو الأحول سالم بن محمد بن سالم الدرهمي قاضي السيد حمد بن الإمام سعيد بن الإمام أحمد، وصاحب القصيدة المشهورة التي غدت على لسان كل أديب ومتذوق للأدب وسار على منوالها كثير من الشعراء ومطلع القصيدة التي قالها في مدح السيد حمد:

**ما بين بابي عين سعنة واليمن سوق تباع به القلوب بلا ثمن  
تجروا من احتكروا به وتحكموا فجواب من يستام منهم لا ولن**

ومن الشعراء الأفاضل الشاعر راشد بن سعيد بن بلحسن الحسبي، والشيخ العالم منصور بن ناصر الخروصي والشيخ الفقيه ناصر بن محمد بن سليمان الخروصي والشيخ سيف بن ناصر الغشري والشيخ سعيد بن حسن بن درويش الخروصي والعلامة الأديب والمؤرخ القدير ابن رزيق حميد بن محمد والشاعر علي بن خميس بن عامر الحراصي وغيرهم من الشعراء.

ترك من الذرية الصالحة ما يشهد لهم التاريخ مكانتهم وحفظوا مكانة هذا البيت الصالح، وغدوا شعلة يقبض منها كل عابر سبيل العلم وهم ثلاثة عشر ولدا وبنات من زوجات متعددة، وتذكر منهم ابنه ناصر بن جاعد (ت: ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٥م) الذي قضى معظم حياته في زنجبار وله مصنفات كثيرة وكذلك لأبي نيهان ابن آخر يدعى خميس بن جاعد بن خميس (ت: ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م) كاد أن يكون إماما على عمان لتوافر شروط الإمامة فيه من علم وتقوى وعدل وحكمة ورجاحة رأي. ومات الشيخ خميس بقرية العليا ودفن بجانب قبر والده. وابن ثالث يدعى نيهان الذي تكنى به. ومات الشيخ نيهان قتيلا في العوabi عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م. أما بقية أولاد الشيخ فهم خلفان وعبدالله وسعيد ومحمد وماجد وسليمان وسالم وثلاث فتيات هن شيخة ونصراء وأسية ولا يزال هذا البيت يفرز علماء الى هذا العصر.

## ٢- البيئة التي عاش فيها أبو نيهان:

قبل أن نبحر في عياب تاريخ ثقافة أبي نيهان وأصول مكتسباتها علينا أن نتعرف على البيئة التي عاش فيها هذا العلامة القدير وأوضاع ذلك العصر. وهذه الأوضاع قد أفادت بلا شك في حياته العلمية والعملية. هذه البيئة قد تكون وراثية أو مكتسبة.

يؤخذ من جملة المصادر والمراجع التي أشارت الى أبي نيهان أو ذكرت أنه نشأ في بيت علم ومعرفة وقضاء وفقه وسياسة فقد عرفنا أنفا أنه ينحدر من سلالة إمامين أولهما في القرن الثالث الهجري (الصلت بن مالك) والآخر في القرن الخامس للهجرة (الخليل بن شاذان) ناهيك من أن هذا البيت أيضا خرج منه أئمة وعلماء كالإمام الخليل بن عبدالله بن عمر بن محمد بن الخليل بن شاذان في نهاية القرن الخامس الهجري وعمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد بن شاذان بن الصلت (٨٨٥هـ/ ٨٩٦) ومحمد بن

عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي (١٣٣٨هـ/١٢٧٤م). أما العلماء فكثيرون لا مجال أن نذكرهم هنا وعلى العموم، فإن قبيلة أبي نهبان أخرجت لنا علماء وأئمة بلغ عددهم حوالي ٢٢ إماما حكموا عمان في فترات مختلفة وقد سمي أحد الباحثين دولة بني خروص بدولة اليحمد (حصاد ندوة الدراسات العمانية: ٢)

أما والد أبي نهبان فهو الشيخ خميس بن مبارك بن يحيى بن عبدالله (ت: ١١٥٦هـ/١٧٤٣م) كان شيخاً فاضلاً صالحاً عدلاً، لقد عرفه العلماء وقد عاصر كثيراً من أئمة الدولة اليعربية الذين اناطوا به كثيراً من المهام حول تنظيم الحياة الاجتماعية والقضائية في بلده (العليا) وذلك لمكانته العلمية والاجتماعية بين قومه. وقد بدأ مزاوله دوره السياسي منذ حكم الإمام سلطان بن سيف بن سلطان (١١٢٣هـ/١٧١١م - ١١٣١هـ/١٧١٨م). وقد وجدت لهذا العلامة بعض المسائل الفقهية في كتب الفقه ومداومات مع أقرانه، وخصوصاً أنه ظهر في فترة كانت عمان زاخرة بالعلماء الذين أفرزتهم مدرسة «جبرين اليعربية» الذين قال عنهم الشيخ السالمي أنهم بلغوا خمسين عالماً كلهم أهل اجتهاد. وكان الشيخ خلف بن سنان الغافري وابن عبيدان من أسلافها. ومن خريجيها الشيخ سعيد بن بشير الصبحي (ت: ١١٥٠هـ) والشيخ عدي بن سليمان الذهلي (ت: ١١٢٤هـ/١٧٢١م) والشيخ ناصر بن خميس الحمر اشدي والشيخ سالم بن خميس العبري صاحب كتاب «الفواكه» وجمع كثير من العلماء تجاوزوا المائة عالم وقد أشرنا إليهم في محاضرة لنا في نزوى التي كانت حول «المآثر الفكرية في دولة اليعاربة». لكن هذا العالم لم يستفد منه ابنه العلامة أبو نهبان لأن عمره حينئذ لم يتجاوز عشرة أعوام ولكنه عوض الله له أخوته الذين كانوا سبعة وأبو نهبان ثامنهم وهم ناصر بن خميس ومبارك بن خميس وسالم بن خميس ومحمد بن خميس وعبدالله بن خميس وسعيد بن خميس ودمثة بنت خميس. وقد خلف الشيخ محمد بن خميس أباه في رعاية أخوته وقبيلته لأنه هو أكبر أنجاله وقد أسهم أيضاً في الأمور السياسية، فقد اشترك مع مشايخ بني خروص في اعتراضهم على تغريق أموال الإمام سيف بن سلطان من قبل الإمام بلعرب بن حمير بن سلطان (١١٥٧هـ/ ١٧٤٥ - ١١٦٢هـ/١٧٤٩م)، وكان ذلك في عام ١١٦٠هـ/١٧٤٧م (السالمي / التحفة: ١٦٠).

ويبدو أن لنشأته في عائلة ذات علم وفير ومكانة اجتماعية وميسورة أثرهما الوراثي والبيئي على نبوغه، فقد قرأ على يد الشيخ حبيب بن سالم الأمبو سعيدي (كان حياً في عام ١١٦٢هـ/١٧٤٩م) وعلى يد الشيخ سعيد بن أحمد بن سعيد الكندي (مات في أوائل القرن ١٩م) وتردد على كبار علماء عصره فقرأ على يد الشيخ حبيب كتاب بيان الشرع، كما قرأ كتاب الاستقامة لأبي سعيد الكدومي على مسمع من الشيخ سعيد بن أحمد الكندي.

### ٣- طلب أبي نهبان للعلم ومشايخه:

لقد طلب أبو نهبان العلم منذ نعومة أظافره وقد ترعرع في بيت علم وشرف فطلب العلم وناله، ولهذا حينما ذهب أبو نهبان لمقابلة الشيخ حبيب بن سالم الأمبوسعيدي فهو على قدر من العلم يستطيع أن يقرأ كتب الفقه وأكثر من ذلك، فهو قادر على أن يدرك معانيه وأصوله. وللأسف فإن المصادر التي أمكننا الاطلاع عليها لم تمدنا بترجمة عن الشيخ حبيب ولا عن تاريخ وفاته ويبدو أن أخباره انقطعت

بعد عام (١١٦٢هـ/١٧٤٩م) حيث عقد البيعة لأحمد بن سعيد البوسعيدى بالإمامة في الرستاق في يوم الاثنين ٢٣ جمادى الثانية ١١٦٢هـ/ ١٠ يوليو ١٧٤٩م (الازكوي: تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة: ١٥٤). وكان الشيخ أبو نبهان حينئذ ابن ١٧ ربيعاً.

نقول ذلك لكي ندلل على ان الرواية التي تذكر أن الشيخ أبا نبهان طلب العلم بعد أن تجاوز الأربعين أي بعد عام ١١٨٧هـ/١٧٧٣م وهذا في اعتقادنا لا يطمئن البال اليه حيث نتوقع أن يكون الشيخ حبيب غير موجود على ظهر الدنيا أو أنه كبر وهرم بدليل أن قصة الشيخ حبيب غير خافية على أحد حول عكوف الشيخ حبيب على طلب العلم الذي ناله في كبره بعد سبع سنين من الدراسة حيث ضاقت به الحياة وأراد أن يتخلص من نفسه لولا أن تدراكته أمته ولكن ربما كانت هذه الحادثة سبباً من الأسباب التي ساعدته على طلب العلم فاستجاب لطلب أمته التي أشارت عليه ان يطلب العلم وعكف على طلب العلم لمدة سبع سنوات لم يذق فيها حلاوة النوم والقصة مفصلة عند ابن رزيق في فتحه وقحطانيته أيضاً، ونضيف إلى ذلك أن أبا نبهان قد تعلق بكتب الآثار وهو في سن مبكرة حيث نسخ كتاب التعليق على الاشراف لأبي المنذر الذي كتب تعليقاته الشيخ أبو سعيد الكدومي، ونسخه ابو نبهان وعمره حينئذ ٢٢ عاماً (الخروصي - كهلان - مقاليد: ١٦).

خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر للهجرة وهي الفترة التي عاش فيها أبو نبهان كانت المكتبة العمانية زاخرة بشتى أنواع المعرفة وذلك بفضل مكتبات العاربة والنهضة العلمية التي ابتدعوها وكمية الكتب الهائلة التي انهلأت على مكتباتهم، أما بفعل الاستنساخ لكتب التراث أو الكتب التي أمر الأنمة باقتنائها من خارج عمان. وعكف كثير من جهابذة الفكر العماني في ذلك العصر على اقتناء هذه الكتب، وصاحب ذلك تكريس العلماء أنفسهم للتأليف وأطلع المثقفون على كتب جديدة، ومن ضمنهم أبو نبهان الذي احتوت مكتبته ما يزيد على ثمانية آلاف كتاب. فلا غرابة في ان نرى العلامة أبا نبهان اطلع على الزخم الكبير من الكتب وشغفه بها مما تسنى له الاطلاع الواسع على عدد كبير من الكتب، الأمر الذي جعل منه عالماً ذا فكر واسع وذكاء متفتح ونباهة متفتحة.

على أية حال؛ فإن الشيخ جاعد بن خميس تعلم مبادئ القراءة والكتابة -شأنه شأن أقرانه- في قريته العليا الواقعة في وادي بني خروص وعلى أيدي معلمي القرية وعلى يد والده الذي لم يتمكن من الأخذ منه العلم إلا القليل حيث إنه مات وعمر الشيخ جاعد لم يتجاوز أحد عشر ربيعاً وربما استعاض عن ذلك بوجود اخيه محمد بن خميس الذي آلت اليه مسؤولية القوامه على اخوته. وربما تعلم أيضاً على يد الشيخ مرشد بن محمد بن راشد العبري الذي تعلم على يديه الشيخ سعيد بن محمد الغشيري، وكذلك المعلم خميس بن علي بن محمد بن كهلان.

كما ان أبا نبهان استفاد من مكتبة والده وذكاؤه وقطنته مما ساعده على أن ينمي معارفه سواء في كتب الفقه أو الأدب. وعندما بلغ أشده رحل الى نزوى في طلب العلم وتمكن من مجالسة تلك الكوكبة من العلماء الذين احتضنتهم مدينة نزوى العريقة فرشف من علمهم واستفاد من أخلاقهم وخالفهم كثيراً منهم، وتردد على مجالس العلماء ودون ما يراه مناسباً وناقشهم. ونذكر من هؤلاء العلماء التالية أسماؤهم الذين حملوا لواء العلم في النصف الثاني من القرن الثالث عشر بمثابة شيوخه مع علمنا أننا

لا يمكن أن نجزم بصحة ذلك إلا بما وجدنا من إشارات اللقاء الذي يعني بطبيعة الحال التلمذة والمجالسة وهم:

١- العلامة حبيب بن سالم بن سعيد الأموي سعيدي: وصلت إليه رئاسة العلماء في عصر الامام بلعرب بن حمير بن سلطان اليعربي (١١٥٧هـ/١٧٤٥م - ١١٦٢هـ/١٧٤٩م) والامام أحمد بن سعيد البوسعيدي (١١٦٢هـ/١٧٤٩م - ١١٩٨هـ/١٧٨٣م) ومن الذين عقدوا البيعة من للامام الأخير في الرستاق بعد أن خلع بلعرب بن حمير (السالمي/ التحفة: ١٦٧).

وذكر المؤرخ ابن رزيق في الصحيفة القحطانية (ص. ٥٢٠) أن أبا نيهان التقى بالعلامة حبيب في نزوى وقرأ عليه كتاب «بيان الشرع». ومن المؤسف أننا لم نتمكن من معرفة تاريخ وفاة الشيخ حبيب (دليل أعلام عمان: ٥٠).

٢- العلامة سعيد بن أحمد بن سعيد الكندي: هذا العلامة له مسائل كثيرة وكان يسكن نزوى ثم رحل في أواخر حياته إلى بلدة الهجار وعلى الظن أن تركه لنزوى بعد الأحداث التي جرت بها سنة ١١٩٨هـ/١٧٨٣م واستعان الشيخ سعيد الكندي وأهالي نزوى بالشيخ أبي نيهان لمكانته العلمية والاجتماعية في حل هذه القضية (السالمي - التحفة: ١٨١ - ١٩٠). وأشار ابن رزيق (القحطانية: ٥٤٨) إلى أن هذا العلامة هو مدرس الشيخ أبي نيهان. كما ذكر غيره قصة للشيخ أبي نيهان في لقياه لهذا العلامة مشابهة للقياه للشيخ حبيب. حيث تدور القصة حول هدف الشيخ أبي نيهان من زيارة الشيخين، وهو طلب كتابة آيات قرآنية (فال) لبيدقيته حيث كان أبو نيهان يهوى الصيد. على أية حال، فإن الشيخ الكندي أهدى إلى تلميذه كتاب «الاستقامة». ثم داوم الجلوس معه وله مواقف فقهية ذكرها ابن رزيق منها على سبيل المثال. يقول ابن رزيق: (القحطانية: ٥٤٨ - ٥٤٩).

«أخبرني الشيخ القاضي مبارك بن عبدالله النزوي قال: زرت ذات سنة الشيخ العالم العلامة الرئيس أبا نيهان جاعد بن خميس فجلست ذات يوم معه في مسجد الحشاة الذي هو بالعليا ومعه الشيخ العالم الزاهد سعيد بن أحمد الكندي فحان وقت الظهر فأتى مؤذن فأذن للصلاة ولم يخلع نعليه من رجله فقال له الشيخ أبو نيهان أحب لك أنك خلعت نعليك من رجلك قبل الأذان فأذنت وأنت خالع لهما فقال له الشيخ الزاهد سعيد بن أحمد: ما تقول إذا أذن مؤذن وهو جنب، فقال له إنما قلت له على طريق التأدب والتعظيم لله: عند الأذان فإن الله تعالى يقول في كتابه الكريم لنبيه عليه الصلاة والسلام موسى الكليم في مكان القدس ومناجاة الانس «فاخلع نعليك» ومن المعلوم أن نعلي موسى - عليه السلام - طاهرة ما بهما نجاسة ولكن في موضع القدس ومناجاة الانس يجب أن يكون ذلك كذلك، فقال له الشيخ سعيد: أحسنت فأنتي دونك في العلم والفهم.

٣- العلامة أبو سليمان هلال بن عبدالله بن مسعود العدوي الصائغ النزوي: كان من علماء النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري له جامع في فتاواه، وقد تعقبها الشيخ أبو نيهان وربما عرضت عليه بعد أن استفتوا فيها الشيخ سعيد بن أحمد الكندي انظر ذلك في كتاب أبي نيهان «مقايل التنزيل».

٤- العلامة ناصر بن سليمان بن عبدالله الخليلي الخروصي: لم أقف على ترجمة لهذا العلامة

واعتمدت على ما ذكره الشيخ كهلان بن نيهان الخروصي (ص ٢١) حيث ذكر أنه أطلع على مخطوطة الشيخ محمد بن خميس بن محمد السيفي (ذكر دولة بني خروص وأئمتهم) الذي قال عنه: «إنه معلم الشيخ أبي نيهان وكان له يد قاهرة في العلوم». والباحث لم يعثر على ترجمة لهذا العلامة وقد رجح أن تصحيفا قد وقع في الاسم ولعل هذا العلامة لم يكن خروصيا وعلى سبيل الظن أن هذا العلامة من قبيلة بني معولة وهو الشيخ ناصر بن سليمان العدوي المعولي الذي كان قاضيا كبيرا في بداية القرن الثالث عشر وأنه رافق السيد سالم بن سلطان إلى بلاد فارس في حوالي ١٨١٠م (ابن رزيق - التحفة: ٥٠٥) والموضوع يحتاج إلى متابعة وتقصٍ للمعرفة.

#### ٤- العلماء الذين عاصروهم أبو نيهان:

وهؤلاء الأربعة قد تتلمذ أبو نيهان على أيديهم بصرف النظر عن مقدار العلم الذي أخذه منهم أو طول فترة اقترانه بهم، ونضيف إلى هؤلاء العلماء علماء آخرين عاصروهم الشيخ أبو نيهان في شبابه ونظن أنه التقى بهم وتبادل كثيراً من المعارف معهم وكيف لا وهم القائمون على شؤون القضاء، والعدل، والثقافة في عمان خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري وبضعة عقود من القرن التالي له نذكر منهم:-

- ١- سالم بن سعيد بن علي الصائغي : فقيه له مصنفات عديدة منها كتاب الجواهر، والأرجوزة، واللباب، وكتاب الإرشاد، وكتاب المضمون.
- ٢- جمعة بن علي بن سالم بن عبد الله الصائغي (ت: ١٢٠٢هـ).
- ٣- سلطان بن محمد بن صلت بن مالك البطاشي (ت: ١٢٧١هـ). شيخ وفقه تولى القضاء للسيد حمد بن الإمام سعيد بن الإمام أحمد في المصنعة.
- ٤- علي بن مسعود بن علي بن محمد العبادي. عالم تولى القضاء للسيد سعيد بن سلطان. كما كان لابنه عامر بن علي صحبة لأبي نيهان حيث رثاه. (الفارسي: نزوى عبر الأيام: ١٨٨ - ١٨٩).
- ٥- غانم بن عامر بن غانم اليمودي النخلي.
- ٦- ناصر بن عبد الله بن ناصر بن عيسى الرحبي.
- ٧- سالم بن محمد بن سالم الدرهمي (ت: ١٢٢٤هـ) الفقيه المكنى بأبي الأحول تولى القضاء للسيد حمد بن الإمام سعيد في بركاء له قصيدة ثنوية مشهورة في مدح السيد حمد نسج على منوالها جملة من شعراء عمان من بينهم ابن رزيق وهو والد الفقيه القاضي محمد بن سالم بن محمد صاحب كتاب «النور في الشرع المأثور».
- ٨- عبد الرحمن بن محمد بن بلعرب البطاشي (ت: ١٢٢٤هـ).
- ٩- أبو زهير مهنا بن خلفان بن محمد البوسعيدي (ت: ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) فقيه، وعالم جليل أثنى عليه أبو نيهان له من المصنفات: «كتاب لباب الآثار» (دليل أعلام عمان: ١٥٤).
- ١٠- محمد بن عامر بن راشد المعولي (ت: ١٧٨٣م)، فقيه يعرف بابن عريق، أحد الذين بايعوا الإمام أحمد بن سعيد بالإمامة عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م. تولى القضاء في أماكن متعددة له كتاب «قصص ولخبار جرت في عمان» و «تاريخ المعاول» وكتب في الأدب والفقه.

- ١١ - محمد بن سالم بن محمد بن بشير القرن.
  - ١٢ - راشد بن سعيد الجهضمي، فقيه وعلامة، كان زميلاً للشيخ حبيب بن سالم الألبوسي.
  - ١٣ - صالح بن سعيد بن أحمد بن صالح الشقصي.
  - ١٤ - عامر بن بشير بن صالح المحروقي والي السيد سعيد بن سلطان في الرستاق.
  - ١٥ - سالم بن أحمد بن سعيد البوسيدي (ت: ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م).
  - ١٦ - مبارك بن عبد الله بن خاتم النزوي.
  - ١٧ - سليمان بن ناصر المعولي.
  - ١٨ - أحمد بن ناصر الحراصي.
  - ١٩ - سيف بن سعيد المعولي.
  - ٢٠ - محمد بن خميس بن سالم البوسيدي.
  - ٢١ - حماد بن محمد بن سالم البسط.
- وهؤلاء العلماء هم الجيل الثاني الذين تعلموا على يد خريجي مدرسة جبرين، فقد تفقهوا على يد علماء فطاحل مجتهدين كالعلامة ناصر بن عيسى بن عمر الرحبي، والعلامة سليمان بن محمد بن مداد الناعبي، والعلامة ناصر بن سليمان بن محمد بن مداد الناعبي والعلامة سعيد بن بشير بن محمد الصبحي (ت: حوالي ١١٥٠هـ)، والعلامة ناصر بن خميس الحمراشدي والعلامة سالم بن خميس بن عمر العبري (ت: ١١٦٠هـ)، والعلامة ناصر بن سليم بن محمد بن مداد، والعلامة عبد الله بن محمد بن بشير المدادي الناعبي، والشيخ عمر بن سالم بن حسن الأركوي، والعلامة خلف بن سنان بن خلفان الغافري. ولدينا أسماء كثيرة لو بقينا نعددهم لطال بنا المقام ولنا المستمع.
- وعلى العموم فإنه في القرن الثاني عشر الهجري قد ازدهرت عمان بعلماء أثروا في النهضة العلمية، وخلفوا مؤلفات جمّة، ناهيك عن الفتاوى الكثيرة التي جمعت في أسفار عديدة عرفت بالجوامع، والمتتبع لهذه الفتاوى سيجد أسماء كثيرة من طلبة العلم يكونون مشكاة يتلأأ ضياؤها عن بعد.

## ٥- ثقافة أبي نيهان:

نشأ أبو نيهان في هذه البيئة الثقافية، وبطبيعة الحال تأثر بها وكون لنفسه مدرسة بذاته. وقد عكف على المؤلفات المعانية التي ظهرت في القرون الخمسة الأولى، دارساً ومحتلاً وناقداً وفي بعض الأحيان معارضاً، ناهيك عن مساهمته في الأحداث السياسية والاجتماعية السائدة في عهده (راجع بحث سعادة الشيخ أحمد بن سعود السيابي المقدم لندوة أبي نيهان بعنوان «المصادر العلمية التي اعتمد عليها أبو نيهان في مؤلفاته»).

وقد تأثر أبو نيهان كثيراً بالشيخ أبي سعيد محمد بن سعيد الكدمي (من علماء القرن ٤هـ) الذي عشق أسلوبه ويكاد يكون طبق الأصل منه، ويستشهد به في أماكن كثيرة. يقول عنه في كتاب إيضاح البيان (ص ٢٧) «هذه الأقاويل مأخوذة من كلام الفقيه العالم العلامة المحقق المدقق نور الإسلام وبصر الظلام وشمس الأنام وحجة العلام المشهور أبي سعيد محمد بن سعيد بن محمد بن سعيد الكدمي - رحمه الله ورضيه وارتضاه ورضي عنه وجزاه عن الإسلام أفضل جزاء - فهو إمامنا في

دينفا ونحن له تبع».

وفي كتاب مقاليد التنزيل يقول عنه (ص ٤٧٤) «وكفى بأبي سعيد - رحمه الله - حجة ودليلا لمن أراد أن يتخذ لنفسه الحق سبيلا، لأنه أعلم.

من تعلم من الأبحار، وأثاره أصح الآثار لا على سبيل محض العصبية، ولكن لظهور أنوار الحق في أقواله المرضية». وقد فتن أبو نبهان به وشغل بعلمه ولا يتجاوز رأيه يقول في ذلك في كتابه المقاليد (ص ٤٧٩) «وما أرجوه من كلام الشيخ أبي سعيد - رحمه الله - فلا مزيد عليه».

وفي الكتاب نفسه (ص ٤٣٦) وصفه بترجمان المذهب. إن أبا نبهان في تعلقه بالشيخ أبي سعيد الكدمي وأفكاره يشبه ما فعله الشيخ عمر بن سعيد المعد في كتابه «محتاج العدل» الذي صدر جميع أبواب كتابه بجواب عن الشيخ أحمد بن مفرج البهلوي.

وقد ساهم أبو نبهان وغيره في تقييد كتب أبي سعيد فقال في كتاب الاستقامة (البطاشي، اتحاف: ج ١: ٢٦٠):

الم ألا ان سفر الاستقامة في الدنيا لشمس ويزري الشمس إن غسق الدجا  
يشق ظلام الجهل نور نهاره ويشرق في الليل البهيم إذا سجا  
ويقول عن كتاب المعتبر (البطاشي، اتحاف: ج ١: ٢٦٠):-

هذا كتاب أصول دين أولي الهدى وأبو سعيد نصه ونضاه  
سماه معتبرا ونعم اسما له حلاه إذ سماه ثم سماه  
كما إن أبا نبهان لم يقتصر علمه على كتب أبي سعيد الكدمي إنما كان يرجع إلى أقوال مشايخ أبي سعيد ومعاصريه فهو يقتفي آثار كل الذين كان يدور عليهم مدار القضاء والفتوى وهم من علماء القرنين الثالث والرابع الهجريين:-

١- محمد بن محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة (من علماء القرنين ٣ و ٤هـ).

٢- بشير بن محمد بن محبوب صاحب كتاب المحاربة الذي قيل في ٧٢ مجلدا.

٣- محمد بن خالد الخروصي البهلوي (من علماء القرن ٤هـ).

٤- أبو الحسن علي بن محمد البسيوي (من علماء القرن ٤هـ).

٥- أبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصي (من علماء القرن ٣هـ).

٦- أبو محمد عبد الله بن محمد بن بركة السليمي (من علماء القرنين ٣ و ٤هـ).

٧- أبو الحواري محمد بن الحواري بن عثمان (من علماء القرنين ٣ و ٤هـ).

٨- أبو عبد الله نبهان بن عثمان (من علماء القرنين ٣ و ٤هـ).

٩- موسى بن علي بن عزرة الأزكوي السامي (من علماء القرن ٣هـ).

١٠- سعيد بن قريش (من علماء القرن ٤هـ).

كما إن أبا نبهان بالتأكيد اطلع على مؤلفات علماء القرنين الخامس والسادس، ومن هذه المؤلفات كتاب «بيان الشرع» في ٧٢ مجلدا، وكتاب الكفاية في ٥٢ مجلدا، وكتاب المصنف في ٥٠ مجلدا، كما

انه بالتاكيد اطلع على مصنفات العلامة العوتبي الإبانة والضياء والانساب، وكتاب الدعائم لابن النظر وشرحه، وغيرها من الكتب. وهذه الكتب التي ذكرناها لم يذكرها الشيخ بأسماها، إنما وجدت في كتبه وفتاواه مسائل فقهية أشار إليها أبو نيهان واستشهد بكثير منها في كتبه وناقش بعضها. ولم تقتصر ثقافة أبي نيهان على الذين ذكرناهم بل أنه تأثر أيضا بعلما القرن ١٢هـ من أمثال الشيخ سعيد الصبحي وشيوخه الثلاثة الأمبوسعدي والكندي والعدوي.

وهؤلاء العلماء لهم مصنفات جليلة لا تخفى على أحد وتناقلها علماء عمان جيلاً بعد جيل ومعظم هذه الأسفار طبعت في العصر الحديث على نفقة وزارة التراث القومي والثقافة، وفي متناول اليد إلا القليل. وتعتبر مصنفات هؤلاء من أمهات الكتب الأباضية التي لا غنى عنها للباحث، وعند أصحاب هذا العلم. ولا بد أن أنوه هنا بأن بضاعتي في مجال الفقه مزجاة ولا أفقه شيئاً سوى ما درست في مراحل دراستي الأولى، ومن باب الفضول حيث لاحظت أن الكتب الفقهية العمانية تتميز بميزات أهمها أن معظم المؤلفات تبدأ بسؤال وجواب أو حوار بين المؤلف ونفسه فهو يقول على سبيل المثال قال فلان كذا... قلت أو قلت له كذا... هذا الأسلوب هو نوع من التعلم الذاتي الذي ينادي به علماء التربية. وهو سهل في الفهم والحفظ. ومنهج أبي نيهان على هذا السياق، فمعظم مؤلفاته التي صنفها تسير في مضمونها على هذا المنوال، مثال ذلك ما كتبه الشيخ جميل بن خميس السعدي في قاموس الشريعة فهو يطرح المسألة على الشيخ جاعد بن خميس الخروصي، والأخير يرد على التساؤل ثم يعقب بقول قلت له كذا... قال... كذلك هذا المنهج أيضاً تكرر في فتاوى الشيخ هلال بن عبد الله بن مسعود العدوي -أحد شيوخ أبي نيهان- إن الناسخ يسأل الشيخ العدوي ثم الناسخ يعقب على الفتوى بقوله لعلها عرضت على الشيخ سعيد بن أحمد الكندي، ثم يطلب من الشيخ جاعد الإجابة على نفس السؤال.

وتعددت مواهب أبي نيهان فهو اشتهر في أصول الفقه والأدب، فأعطى لنفسه كثيراً من رغباتها، فقد عكف على تعلم أصول اللغة العربية وقاده طموحه إلى الأدب فقال الشعر في قصائد جمة وأكثرها في السلوكيات، والتصوف، وله قصيدة بارعة عرفت بـ«حياة المهج» وهي في ٩٧ بيتاً ومطلعها.

**تبين أخي في الله قولي فإنني على النصح في ذات الإله مع العتبي**  
وهذه القصيدة من القصائد السلوك الطويلة لأبي نيهان التي أودع فيها مكونات مشاعره وجدانه، فجات هكذا مكتفة المعاني متنوعة الأفكار ولم يتوقف أبو نيهان عند هذا الحد بل قام بشرح هذه القصيدة وفك طلاسمها وأظهر مكوناتها في سفر طويل في أسلوب أدبي بديع، تبين من هذا الشرح براعته ومكانته اللغوية، فظهر أنه عالم متمكن من ناصية اللغة والأدب.

وفي صحيفة ابن رزيق القحطانية (ص: ٦٧٢) إن ثمة مزاجلة شعرية بين أبي نيهان والشاعر الغشري سعيد بن محمد. حيث إن أبا نيهان يقول صدر البيت بينما يكمل الغشري عجز البيت، ومطلع القصيدة التي تتكون من ٢٥ بيتاً هو:-

أتينا لهم كل الفضائل وإن لهم على الناس الطوايل  
وكل الناس كان لهم قديما وقد كانوا جبالات في الزلازل

كما إن الشيخ أبي نيهان أيضا اهتم بالحيوان وألف كتابا في ذلك سماه «إيضاح البيان فيما يحل ويحرم من الحيوان». عالج فيه كل الحيوانات الصغيرة والكبيرة التي على الأرض أو البحر وكذلك النمل والعقارب... الخ. كما بيّن حكمها من الدين من حيث التحليل والتحريم والطهارة والنجاسة، لحومها وشحومها وجلودها.

## ٦- مآثر أبي نيهان الفكرية:

ظهر لأبي نيهان مؤلفات عديدة نذكر منها: - فتوى الجهمي:

- ١- الدقاق لأعناق أهل النفاق.
- ٢- أحكام المساجد والمدارس.
- ٣- إيضاح البيان فيما يحل ويحرم من الحيوان.
- ٤- أحكام البيوع والرهن والشفعة.

٥- كتاب في العدد: يوجد منه نسخة في دار المخطوطات والوثائق العمانية، بوزارة التراث القومي والثقافة برقم: ١١٩٣/١٠٤. وهو يبحث في مسائل عدة المرأة المختلفة وأحكام ذلك.

٦- كتاب في فقه الدين من الطهارات إلى الحج.

٧- مقاليد التنزيل لإدراك حقائقه بالتأويل: يوجد منه نسخة مصورة في مكتبة جامعة السلطان قابوس برقم BP 128.K42 كما إن الكتاب موجود برمته في الصحيفة القحطانية لابن رزيق (لا يزال مخطوطا) وموضوع هذا الكتاب في تفسير سورة الفاتحة. حقق هذا الكتاب كهلان بن نيهان الخروصي وقدمه كمشروع لخرج لمعهد القضاء (غير منشور).

٨- شرح حياة المهج وهو عبارة عن شرح موسع لقصيدته حياة المهج وهي ٩٧ بيتا: يوجد منه نسخة في دار المخطوطات والوثائق العمانية، بوزارة التراث القومي والثقافة برقم: ١٣٧٥/٤٥. في ١٥٥ ورقة نسخت عام ١٢٥٨هـ والناسخ هو سعيد بن سليمان بن محمد السعدي (انظر: فهرس المخطوطات: ١٠١:٢-١٠٧).

٩- كتاب في الحج. يوجد منه ٧ نسخ في دار المخطوطات والوثائق العمانية، بوزارة التراث القومي والثقافة برقم: ١١٨٩/١٠٠. في ١٠٧ ورقات ونسخ في عام ١٣٠٢هـ، والناسخ سعيد بن راشد بن حبيب المزروعى. ونشر هذا الكتاب مصورا من مخطوطة نسخت في ١٧ ذي القعدة ١٢٦٦هـ/سبتمبر ١٨٥٠م، ومجهول تاريخ ومكان النشر.

١٠- المغانم في الخلاص من المظالم أو كتاب الاشراف.

١١- جامع أبي نيهان: يوجد منه نسخة في دار المخطوطات والوثائق العمانية، بوزارة التراث القومي والثقافة برقم: ١١٩٢/١٠٢. في ٢١٣ ورقة نسخ في عام ١٢٥٦هـ. وناسخه سالم بن خلفة بن حميد.

١٢- جوابات أبي نيهان: يوجد منه نسخة في دار المخطوطات والوثائق العمانية، بوزارة التراث القومي والثقافة برقم: ٢٧١/٤١. في ٣٤١ ورقة نسخ في عام ١٢٦٧هـ.

١٣- كتاب في الزكاة: يوجد منه نسخة في دار المخطوطات والوثائق العمانية، بوزارة التراث القومي والثقافة برقم: ١١٩٨/١٠٩. في ١٠٧ ورقات.

١٤- درياق الذنوب.

١٥- كتاب في الإرشاد: يوجد منه نسخة في دار المخطوطات والوثائق العمانية، بوزارة التراث القومي والثقافة في ١٧٨ ورقة. ونسخ في عام ١٢٥١هـ.

١٦- الرد على الوهابية: توجد في مكتبة كيمبردج ببريطانيا.

١٧- حرز الشجرة: يوجد منه نسخة في دار المخطوطات والوثائق العمانية، بوزارة التراث القومي والثقافة برقم: ٢٧٣٤/١٠٣ب.

١٨- تفسير الفاتحة: انظر: مقاليد التنزيل لإدراك حقائقه بالتأويل.

١٩- نزهة العقول في الرمل وأشكاله.

٢٠- كتاب في صناعة الكيمياء.

٢١- كتاب في البيوت المحصنة.

٢٢- نفائس العقيان في مجموعة اشعار أبي نيهان.

٢٣- كتاب في النحو.

٢٤- كتاب في الصرف وعلم الكلام.

٢٥- كتاب في سيرة ملوك الزمان.

٢٦- له مراسلات أدبية وسياسية وعلمية. وهي رسائل عديدة.

منها رسالة حول تحليل القهوة العربية.

ومنها الرد على الشيخ العبادي، ومنها رسالة للإمام سعيد بن الإمام أحمد.

ومنها رسالة للشيخ محمد بن مقرن النجدي (انظر: الرد على الوهابية).

وقد احتلت فتاوى أبي نيهان مكانة عظيمة ترددت في كتب الفقه العمانى المعاصر لأبي نيهان أو اللاحقة

له مثل «قاموس الشريعة» للسعدي، و«لباب الآثار» لأبي زهير مهنا بن خلفان البوسعيدى وغيرهما.

وله مراجعات كثيرة لمن سبقوه، وكان يسهب كثيرا في توضيحات المسائل المطروحة عليه للإجابة أو

لأخذ رأيه في مسألة قد جرت فيها فتوى، ونراه يتعقب كثيرا من المسائل إما بتزكية هذا الرأي أو

مخالفته وقد عارض العوتبي في كثير من المسائل حول طهارة المرأة وكذلك أيد فتوى الشيخ سعيد بن

بشير بن محمد الصبحي (ت: ١١٥٠هـ) في فتواه حول تحليل شرب القهوة التي كانت محرمة قبل

الشيخ سعيد، فكشف أبو نيهان جاعد غطاء التحليل (مهنا البوسعيدى، اللباب: ٢: ٥٣٣).

وعلى كل حال فقد انفرد الشيخ أبو نيهان بمسائل فقهية لا يسعها هذا المكان.

وصفه الشيخ سالم الحارثي في عقوده (ص ٢٦٢) بأنه «صاحب التأليفات العديدة والأسرار المنيرة،

والكرامات الشهيرة، والفتاوى النيرة». وشهد له جملة من العلماء والشعراء لمكانته العلمية فالشيخ

السالمي يقول عنه (الحارثي، عبد الله، أعضاء: ٢٢) «كان أبو نيهان المقدم على أهل زمانه بالعلم والفضل

والشرف، واتخذة الناس قدوة في دينهم ومصالح دنياهم».

## ٧- تلاميذ أبي نيهان:

تعلم على يد أبي نيهان جملة من الدارسين والمتعلمين أو الملازمين، وكانوا ممن حملوا العلم من بعده،

وهم لا يحصى لهم عدد لكننا سنورد قائمة بأسماء بعضهم وبعض من تراجمهم إن أسعفتنا المصادر ولا سيبقى اسمه فقط لعل المصادر تجود علينا بأخبارهم :

١- ناصر بن أبي نبهان جاعد بن خميس (١١٩٢هـ/١٧٧٨م - ١٢٦٢هـ/١٨٤٧هـ) ولد بالعليا في العوابي ومات في زنجبار له تصنيفات كثيرة، وقد فاق أباه في التأليف من تصانيفه حق اليقين، وكتاب الجواب، وكتاب الإخلاص، وغيرها. وقد نظم ابن رزيق قصيدة في مؤلفات الشيخ ناصر ذكر هذه القصيدة من ضمن ديوانه جواهر الأشعار، وفريدة الأفكار. والديوان إلى حد معرفتي مفقود، (ابن رزيق، الفتح : ١٥١ - ١٥٢).

٢- خميس بن أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي (١٢٠٩هـ/١٧٩٤ - ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م). وهو الابن الثاني للشيخ جاعد. كان عالما زاهدا ورعا. كان يصلح أن يكون إماما في عام ١٢٦٢هـ/١٨٤٥م، ولكن أمورا حالت دون تحقيق قيام الإمامة بالرساتق.

٣- منصور بن محمد بن ناصر بن خميس بن مبارك الخروصي. وهو حفيد أخ الشيخ أبي نبهان. كان من العلماء الذين يشار إليهم بالبنان له شرح «لامية ابن النضر» وكان ضريرا له قصيدة في نسب بني خروص مطلعها (ابن رزيق، الفتح: ١٧٩) :-

إذا شئت تعريفا لأنساب جدنا      خروص فهاك الشعر فيه منظما  
فأما خروص فابن شاري بن محمد      لعبد الإله نجل عثمان ذي الحما

٤- أبو محمد عبد الله بن ناصر بن محمد بن بشير الخروصي. كان عالما زاهدا عدلا، توسم فيه الشيخ أبو نبهان أن يكون إماما، ويراه أفضل رجل في عمان يستحق هذا المنصب (الخروصي، مهنا. حياة جاعد بن خميس: ٢٤).

٥- جميل بن خميس بن لافي السعدي. صاحب كتاب «قاموس الشريعة» الذي يحتوي في معظمه على إجابات الشيخ جاعد وابنه ناصر بن جاعد. ولهذا كثر ما ينقل عنه ويحاوره بنيت على رأي أن الشيخ جميل استفاد من علم أبي نبهان شفويا كان أم من تتبع فتاواه ونقلها في كتابه القاموس.

٦- سعيد بن محمد بن راشد الغشيري. هذا العلامة كان شاعرا كبيرا وعالما لازم الشيخ أبا نبهان وهو شيخ كبير حيث إن الغشيري من مواليد العقد الثاني من القرن الثاني عشر حيث وجدت قصيدة له يرثي فيها أمه عام ١١٣٧هـ/١٧٢٤م كما أنه رثى والد أبي نبهان الشيخ خميس بن مبارك عام ١١٥٦هـ/١٧٤٣م ودليلا على أن أبا نبهان عاصر الغشيري وجود قصيدة شعرية اشتركا في نظمها كما وضحنا سابقا.

٧- سرور بن نبهان بن جاعد بن خميس الخروصي فقيه وأديب

٨- حميد بن محمد بن رزيق العلامة المورخ والشاعر المشهور (راجع مؤلفاته)

٩- سعيد بن حسن بن درويش الخروصي شيخ فقيه له مصنفات في علم الفلك وسر الحروف.

١٠- حسن بن درويش بن سعيد الخروصي الفلكي المشهور بعلم الفلك.

١١- محمد بن خميس بن سالم بن عبد الله البوسعيدي، الذي كانت بينه وأبي نبهان آراء في الأحكام.

١٢- ثنيان بن ناصر بن خلفان الزامل المعولي. كان أحد العلماء الكبار، تولى القضاء في عهد السيد سعيد بن سلطان، وقد رثى الشيخ أبا نبهان بقصيدة مطلعها (الخصبي: ج: ١٥٢) :-

غَالَ شَمْسَ الْعِلْمِ جَهْرًا كَسُوفٍ      واعترى بدرها السني الخسوف  
 ودهى الدين والتقى والمعالى      وجميع الأنام خطب مخوف  
 واقتصارنا على هؤلاء التلاميذ الذين رشقوا من علمه يعني أنهم ليسوا هم الذين أحصيناهم ولكن فاتنا الشيء الكثير وذلك لفقدان الدليل المكتوب، وقد توخينا الأقرب إلى الصواب. وما يفيد من بحث الشيخ مهنا بن خلفان أن الذين تعلموا على يديه بلغ عددهم خمسين عالما (الخروصي، مهنا، مكتبة عمان: ١١) وكان مسجده المعروف بمسجد الحشاة هو بمثابة مدرسة له وتلاميذه. فهذا العلامة سالم بن محمد بن سالم الدرمكي يصف مكانة الشيخ أبي نبهان العلمية نظما (ابن رزيق، الصحيفة: ٧٨٢) :-

قالوا إلى أين يسعى القوم قلت      لهم إني أظنهم للعلم زوار  
 قالوا أين مقر العلم تعرفه      قلت انظروا فعلى العليا أنوار  
 فقليل ما ذاك خبرنا فقلت لهم      شخص تجلت له لله أسرار  
 فحين أخبرتهم جدت مطيهم      حتى حسبتهم فوق الهوى طاروا  
 فعندما وصلوا ضاعت لأعينهم      أشجارها والحصى والنخل أعمار  
 ويقول هذا العلامة أيضا وهو يصف شعوره مع الشيخ أبي نبهان في قرية العليا مقر الشيخ نظما (ابن رزيق، الصحيفة: ٧٨٢) :

كنت والشيخ والجبج كالصّد      يبق مبتهجا مع المختار  
 أحمد الله إذ غدوت كأنحي      ثاني اثنين إذ هما في الغار

### الخاتمة

إلى هنا ولختم هذه الورقة عن العلامة الشيخ أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي، الذي أثرى المكتبة العمانية بكتبه القيمة الأدبية منها والفقهية. وفتاواه الموجودة في كتب الفقه التي ما زلنا نرجع إليها في كثير من الأحيان. استفاد أبو نبهان من تكوينه الوراثي وبيئته التي عاش فيها واجتهد في طلب العلم، ورحل إليه إلى نزوى في شبابه، وقد تطرق الباحث إلى بعض شيوخه الذين اتصل بهم، وتردد إليهم. كما أن لأبي نبهان تلاميذ استفادوا منه أو من مدرسته السلوكية. وقد قضى الشيخ أبو نبهان معظم وقته في التعليم والتصنيف منذ صباه، خلال حقبة من الزمان، ارتفع فيها نجمه، وأصبح منارة علم يقصده تلاميذه وأقرانه بين سائل ومستفسر ومستأنس بعلم. ومجلسه يزدهج بالعلماء وطلاب علم يتهاوتون إليه من ربوع عمان. كَوَّن أبو نبهان لنفسه مدرسة ثقافية فريدة في علوم السلوك والتصوف لم يسبقه أحد، إلا القليل بصورة فردية. وله مكتبة عظيمة في بيت الرأس في مسقط رأسه «العليا» تضم أكثر من ثمانية آلاف كتاب. وتأثر بمدرسة أبي نبهان السلوكية والصوفية جملة من العلماء الذين زحرت بهم الساحة العلمية العمانية، خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ومن أمثال ذلك الشيخ الرباني سعيد بن خلفان الخليلي (ت: ١٢٨٧هـ) والعلامة ناصر بن سالم بن عديم الرواحي (١٣٣٩هـ)، ومحمد بن سليم الغاربي وغيرهم. وترك أبو نبهان ذرية صالحة وعلماء وفيرا، استرشد بهم وبه العلماء والدارسون على السواء.

## المصادر والمراجع

- ١- ابن رزيق، حميد بن محمد. الفتح المبين. وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٤.
- ٢- الصحيفة القحطانية . مخطوطة.
- ٣- البطاشي، سيف بن حمود. اتحاف الأعيان في سيرة بعض علماء عمان ج.١. ١٩٩٢.
- ٤- اليوسعيدي، حمد بن سيف. قلاند الجمان في أسماء شعراء عمان. مسقط ١٩٩٣.
- ٥- الموجز المفيد نبذة من تاريخ اليوسعيدي. ١٩٨٧م
- ٦- اليوسعيدي، مهنا بن خلفان. لباب الآثار. وزارة التراث القومي والثقافة. ١٩٨٤.
- ٧- الحارثي، سالم بن حمد بن سليمان. العقود الفضية في أصول الإباضية.
- ٨- الحارثي، عبد الله بن سالم بن حمد. أضواء على بعض أعلام عمان قديما وحديثا. ١٩٩٤م
- ٩- الخروصي، جاعد بن خميس. مقاليد التنزيل لادراكه حقايقه بالتنزيل. مخطوط
- ١٠- إيضاح البيان. مخطوط
- ١١- الخروصي، سليمان بن خلف. ملامح من التاريخ العماني. ط. ١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥.
- ١٢- الخروصي، مهنا بن خلفان. حياة جاعد بن خميس. بحث غير منشور.. مكتبة عمان. بحث غير منشور.
- ١٣- الخروصي، كهلان بن نيهان. مقاليد التنزيل للشيخ أبي نيهان جاعد : دراسة وتحقيق. بحث غير منشور.
- ١٤- الخصيبي، محمد بن راشد. شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان. وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٩.
- ١٥- السالمي، عبد الله بن حميد. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان.
- ١٦- السالمي، محمد بن عبد الله - نهضة الأعيان.
- ١٧- السعدي، جميل بن خميس. قاموس الشريعة. وزارة التراث القومي والثقافة. ١٩٨٣.
- ١٨- السيابي، سالم بن حمود. عمان عبر التاريخ. وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٣.
- ١٩- الغشيري، سعيد بن محمد. ديوان الغشيري. وزارة التراث القومي والثقافة. ١٩٨١.
- ٢٠- الفارسي، ناصر بن منصور. نزوى عبر التاريخ. ط. ١، نادي نزوى : ١٩٩٤.



(٤)

المصادر العلمية التي اعتمد عليها أبو نيهان في مؤلفاته

أحمد بن سعود السيابي

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واتبع هداه وبعد:  
فإن اهتمام المعانين بالتأليف كان مبكرا وكبيرا فذلکم هو إمام التابعين وشيخ أهل الاستقامة في الدين  
أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي أول من قام بالتأليف وتدوين العلم في الإسلام حاسما بذلك الخلاف  
الدائر حول جواز تدوين العلوم وعدم تدوينها؛ لا سيما علم السنة المحمدية الشريفة. فكان ديوانه حاويا  
للكثير من العلوم والمعارف وبعده توالى التأليف من قبل العلماء الأجلاء منذ القرن الأول الهجري فلم  
يكن قرن من الزمان يخلو من المؤلفات في عمان. وكان ذلك التأليف إما في شكل رسائل صغيرة تناقش  
موضوعا من الموضوعات وإما على شكل موسع أطلق عليها اسم جوامع ومفردها جامع كجامع أبي  
علي موسى بن علي؛ وجامع ابن جعفر؛ وجامع ابن بركة؛ وجامع البسيوي؛ وغيرها من الجوامع. ثم  
بعد ذلك ظهر التأليف الموسوعي الذي جعل كل كتاب يشتمل على عشرات الأجزاء مثل كتاب الضياء  
للعوتبي، وبيان الشرع للكندي؛ والمصنف لکندي آخر، والتاج للأصم، ومنهج الطالبين للشقصي،  
وغیرها من الكتب الموسوعية أو العلمية أو دوائر معارف على الاختلاف في صحيح التسمية.

وفي العصر الذي عاش فيه العلامة الرئيس أبو نبهان جاعد بن خميس الخروصي - رضي الله عنه  
وأرضاه - في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة كانت المكتبة الإسلامية زاخرة بشتى أنواع  
الكتب من العلوم والمعارف المتنوعة كعلوم التفسير والحديث والفقه والأدب واللغة والتاريخ والفلك  
والمناطق وعلم الكلام والفلسفة وغير ذلك من العلوم والفنون والمعارف.

أما ذلك الزخم الهائل من أنواع الكتب في عصر أبي نبهان؛ وحرص قوي وشغف كبير على حب  
العلم منه فقد تكونت لدى الإمام أبي نبهان مكتبة ضخمة عامرة ضمت بين جنباتها ما يزيد على ثمانية  
آلاف كتاب. لذلك فقد تسنى له الاطلاع الواسع على عدد كبير من الكتب والمصادر؛ الأمر الذي جعل  
منه عالما ذا فكر واسع وإحاطة شاملة بشتى أنواع العلوم. فنجد ذلک العلامة الرئيس متعمقا في علوم  
شتى من خلال أبحاثه وجواباته ومؤلفاته في الفقه وأصوله وفي العقيدة والتفسير وعلوم اللغة والأدب  
وعلوم التصوف والسلوك، وما ذلک التعمق الا نتيجة اطلاع واسع وقراءات جادة ومتنوعة لكتب كثيرة  
جدا كانت تخرز بها مكتبته العامرة.

### المصادر العلمية لأبي نبهان في مؤلفاته:

بادئ ذي بدء ينبغي أن لا يغيب عن بال الباحث أو القارئ أن الامام أبا نبهان كغيره من العلماء  
المقدمين لا يشيرون إلى الكتب والمصادر التي ينقلون عنها في مؤلفاتهم؛ وبالتالي؛ فإنه من الصعوبة  
بمكان الاشارة إلى المصادر في التأليف الفقهي بل وحتى في التفسير والحديث والعقيدة وأصول الفقه  
لأن الأدلة متشابهة بل وتكاد تكون متحدة، وانما هنالك أقوال فقهية وغيرها تنسب إلى قائلها. وهي  
موجودة ومثبتة في كتب عديدة ينقلها اللاحق عن السابق. لذلك تكون الاشارة إلى المصادر صعبة إلا  
في أضيق الحدود وأقصر الطرق، وانما المعروف عن أولئك العلماء؛ الاطلاع الواسع على الأدلة  
وأقوال المتقدمين من الكتب العديدة ونورد مثلا على ذلك ما قاله أبو نبهان في جوابه حول صحة تزويج  
الصبية وحق الغير لها بعد البلوغ قال: ( اعلم يا أخي اني نظرت في أمر هذه الصبية وعرفت الاختلاف  
بالرأي في نفس تزويج أبيها لها ما كانت كذلك صبية لانه قد قيل فيه بالاجازة مجملا، وقيل باجازته عن

سليمان بن الحكم بن عثمان إذا تحرك ثديها، وعن الوضاح عن الأزهر بن علي أنه قال: إذا زوّج الأب السداسية أجزته، وقيل بجوازها إذا صارت ابنة ست سنين؛ ولعل هذا مقيس من زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - بابنة أبي بكر من أبيها كذلك وعن ابن المعلّى عن الربيع إذا حملت الزوج.

وقال آخرون إذا كان مثلها يشتهي الرجال، ولعل كل واحد تكلم فيها برأيه على قدر تبليغ ما رأى لأنه موضع رأي، والاباحة على الإطلاق في نفس التزويج إذا ثبت من غير تجديد له بعد فيها كأنها أقرب إلى الصحة، لكن فيه قد افترقت الكلمة في الرأي في جوازها وثبوتها حالة الصبي وبعد البلوغ إن أجازته أو غيرته على ثلاث فرق فيها.

فقال فرقة ممن أباحت التزويج لها إن تزويج أبيها لها ثابت عليها ليس بعد البلوغ نقضه وإنها واردة كالبالغ وموروثة واحتجت على قولها بتزوج النبي - صلى الله عليه وسلم - عائشة - رضي الله عنها - وقالت لو: كان لها الخيار وثبوتها وغيره أكمل منه ما اختار لنفسه الأنقص وعلى هذا المذهب فإنها كالنيسة البالغ التي وقع التزويج عليها فثبت وصح في أحكام العدة وفي الطلاق والميراث والصدّق وفي العدة وعليه عمل فيما يحكي في الأثر جماعة من المتأخرين ليس في ذكرهم فائدة ولا مزيد في حق طالب مريد، وكأنه عليه الآن الإجماع في العمل من حكام زمانك.

وقالت فرقة أخرى: إن تزويج الصبية ليس بسيء، وإن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد خص بذلك دون غيره وهذا كأنه مما يضاف إلى جابر بن زيد (رحمه الله) ولكنه أدنى إلى القصور عن البلوغ إلى درجة الأقوى لأن فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يقتضي الإباحة باستغراق الجنس في الكل من الأمة عموماً إذا لم تثبت معه قرينة التخصيص في ذلك له الموجبة لأفراده أو لاحقة أو مقدمة والأمة داخلة معه فيما لم يصح أنه مخصوص به ومن ادعى غير ذلك فعليه إقامة البرهان على دعواه وأرجو أن لا يجد على ذلك بحمد الله سبيلاً.

وقالت فرقة أخرى ممن أجازته: إن لها الخيار إذا بلغت يتم إن أتمته وينفسخ إذا غيرته ويجب لها الصدّاق بالوطء.

وفي رأي أبي علي موسى بن علي كذلك بالمس والنظر وإنه لقول أبي الحواري (رحمهما الله). وإن لم يكن شيء من ذلك فلا شيء لها وإن ماتت قبل البلوغ بعد الدخول فعليه الصدّاق ولا ميراث له وإن كان قبل الدخول فلا شيء له ولا عليه. وإن مات الزوج كان أمرها إلى الوقوف حتى البلوغ فإن أتمت التزويج كان لها الصدّاق والميراث وعليها يمين بالله لو كان حياً لرضيت به زوجها وإن لم ترض فلا ميراث لها ولا صدّاق إلا أن يكون قد كان منه بها ما يوجب لها ذاك عليه في الحكم على حسب ما وجدنا في هذا عن أبي علي بن موسى بن علي؛ وعن هاشم عن موسى.

وكذلك عن محمد بن محبوب وأبي معاوية وأبي جابر ومسيب وأبي الحواري ومحمد بن الحسن وأبي مالك وأبي العباس المغربي وأبي محمد وأبي سعيد (رحمه الله) في أحكام متواردة فيها على قاعدة هذا الرأي وإنه لهو الأصح.

والمذهب الأرجح لوجود الإجماع على ثبوت الخيار للأمة التي زوجها سيدها عبداً وعلى خلاف في الحر متى خرجت بالعق من قيد الرق في قول أهل الحق وذوي الصدق من المسلمين وبذلك فيما يروى

حكم النبي - صلى الله عليه وسلم - في بريرة لما اختارت نفسها وكأنها في القياس من كل وجه بالعلّة الجامعة بينهما في كل حال لعلّ سواء في هذا<sup>(١)</sup>.

هذا النص الذي نقلناه عن الإمام أبي نيهان من جواباته مثال على اعتماده على المصادر العلمية وذلك بذكر وإيراد الأدلة الشرعية ونسبة الأقوال الفقهية إلى قائلها، ولا ريب أن تلك الأقوال يجدها القارئ أو المطلع في معظم الكتب الفقهية ينقلها اللاحق عن السابق والمتأخر عن المتقدم وفي ذكر تلك الكتب والمصادر التي وردت فيها تلك الأقوال أمر فيه غناء ومشقة لذلك نجد جل العلماء لم يستعملوا الإشارة إلى المصادر وإنما يوردون الأقوال والأحكام وقائلها على أن العادة جرت وعرفت بأن مصادر أولئك العلماء ومن بينهم أبو نيهان كثيرة جدا نظرا لسعة علمهم واطلاعهم الواسع.

## بعض مصادر أبي نيهان

### أولا: مؤلفات أبي سعيد الكدّمي:

من واقع اطلاعا على مؤلفات العلامة الرئيس أبي نيهان نجده معتمدا على مؤلفات أبي سعيد محمد بن سعيد الكدّمي - رضي الله عنه - إلى حد كبير جدا فهو معجب بأبي سعيد مترسم بنهجه ومتعشق خطاه، يشير إلى مؤلفاته ويُشيد بها ونجد ذلك الإعجاب بأبي سعيد في أقواله في أماكن كثيرة من جواباته ومؤلفاته فقد قال أبو نيهان: (لا سيما الشيخ أبو سعيد (رحمه الله) فيما وجدناه عنه في غير موضع من جواباته وعجيب مصنّفاته).

ويقول في كثير مما يراه من الفروع شبه المختلف فيه من الفروع في القياس في ذلك وكذلك عن غيره من أهل العلم من المسلمين صح فعل ذلك، وكفى بأبي سعيد - رحمه الله - حجة ودليلا لمن أراد أن يتخذ الحق لنفسه سبيلا لأنه أعلم من نعلم من الاحبار وأثاره اصح الآثار، لا على سبيل محض العصبية ولكن لظهور أنوار الحق في أقواله المرصية<sup>(٢)</sup>.

وقال فيه أيضا (والمستبصرون الذين صفت غرائزهم واستنارت بنور العلم الغريزي قلوبهم، ونظروا الصحيح بعين البصيرة وباشروا أسرار العلم الدينية بصحيح المعرفة حين بلغ بهم الأمر إلى درجة الربانيين من الاحبار كالشيخ أبي سعيد (رحمه الله) ترجمان المذهب الحق على الصحيح وربان الجوّاري من الدين المنشآت في بحر الحقيقة على الصواب قليل، ألا ترى انه يقصد الذين وجدنا آثارهم من مشايخ المسلمين عن البلوغ إلى درجة هذا الشيخ (رحمه الله) فسبحان من جعله للعالمين رحمة إلا من عصى واستحب العمى على الهدى)<sup>(٣)</sup>.

وهذا الإعجاب من أبي نيهان لأبي سعيد هو الذي جعله يقتفي أثره ويعتمد على آثاره ويعتبرها من اصح الآثار. وللشيخ أبي سعيد العديد من المؤلفات منها:

### ١- كتاب الاستقامة:

وهو يعتبر من أئمة كتب المذهب وقد اعتمد عليه من جاء بعده اعتمادا كبيرا لا سيما في موضوع

١- أبو نيهان، الجوابات، مخطوط.

٢- لباب الآثار، ج ١، ص ٨١.

٣- أبو نيهان، الجوابات، مخطوط.

الولاية والبراءة واحكامهما وتطبيقاتهما، وقد أثنى علماء المذهب عليه ثناء كبيراً.  
قال عنه الامام السالمي (وكتاب الاستقامة لمفتي الأمة ومنقذه من الظلمة أبي سعيد محمد بن سعيد الكدومي - رضي الله عنه - ألفه في الرد على من خالف سيرة السلف في الحكم على بعض الخارجين في زمان الامام الصلت بن مالك وأوسع فيه القول حتى خرج عن المقصود وصار كتاباً مستقلاً في أصول الدين تحار فيه الأفكار، وتقتصر عن درك كنهه الأنظار فصار بركة عامة ونعمة خاصة بأهل الاستقامة وقد أطبق المشائخ قديماً وحديثاً على الثناء عليه مع ما فيه من طول غير انه تحت ذلك الطول فوائد وتحت كل حرف فرائد فابوقه على حاله، كلما تحرك متحرك للاختصار قعدت به همته بعد النظر وهو كرامة لمولفه ونعمة على اتباعه)<sup>(١)</sup>.

وقد ألفه الامام أبو سعيد الكدومي في مناقشة الأحداث الواقعة في عهد الامام الصلت بن مالك في القرن الثالث الهجري موضوع الولاية أو البراءة أو الوقوف من الخارجين عليه وهم موسى بن موسى وراشد بن النضر ومن معهما. لذلك صار معتمد أهل المذهب في مسائل الولاية والبراءة، فأخذوا عنه قواعدهما ونقلوا منه أحكامهما، وكان الشيخ أبو نبهان من الحريصين على هذا الكتاب وكان معتزاً به أيما اعتزاز، وقد سمعت سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي عام السلطنة يحكي عن الشيخ ابراهيم بن سعيد العبري: عن الشيخ ماجد بن خميس العبري: عن أبيه الشيخ خميس بن راشد: عن أبي نبهان انه قال: (لو جاءت غرقه أي فيضان فاجتاحت الكتب التي بحوزتي وما أمكنني إلا انقاذ كتاب واحد لانقذت كتاب الاستقامة). وقد طبعته وزارة التراث القومي والثقافة في ثلاثة أجزاء.

## ٢- كتاب المعتبر:

وقد اعتبر فيه الجامع المشهور لأبي جابر محمد بن جعفر بالشرح والتحليل والتقرير، وسماه (المعتبر) وهو يقع في تسعة أجزاء بيد أنه فقدت منه سبعة أجزاء وبقي جزءان طبعتهما وزارة التراث القومي والثقافة في أربعة أجزاء، يبدأ بمسائل العقيدة ثم العبادات ثم الاحكام الفقهية وهو من المراجع المهمة في فقه المذهب وفي علم العقيدة.

## ٣- الجامع المفيد:

وهو مجموع جوابات وفتوى الامام أبي سعيد (رحمه الله) التي أصبحت مصدراً فقهياً لعلماء المذهب وعنها نقل فقه أبي سعيد. وقام بجمعها الشيخ العلامة سرحان بن سعيد الأركوي صاحب كتاب كشف الغمة. وسماه الجامع المفيد من أحكام أبي سعيد، وقد طبعته وزارة التراث القومي والثقافة في خمسة أجزاء.

## ٤- زيادات الاشراف:

وهو تعقيبات وتعليقات على كتاب الاشراف، وكتاب الاشراف هو للعلامة ابن المنذر النيسابوري المتوفى سنة ٣١٧ هجرية. ويقع كتاب زيادات الاشراف في أربعة أجزاء ولا يزال مخطوطاً.  
هذه هي مؤلفات الامام أبي سعيد التي اعتمد عليها العلامة أبو نبهان، ويقال إن لأبي سعيد مؤلفات غيرها وهي مفقودة ولعل أبا نبهان قد اطلع عليها وعلى شيء منها.

١- السالمي للعبة المرضية، ص ٢١.

## ثانيا: حياة الحيوان للدميري:

كتاب حياة الحيوان الكبرى هو للعلامة كمال الدين الدميري من علماء القرن الثامن الهجري، وقد ألفه في وصف الحيوانات والطيور وأحكامها من حيث الحل والحرم والكرامة. وقد ابتدأه بذكر ملك الوحوش الأسد وختمه بذكر ملك النحل اليعسوب، وهو يقع في جزأين كبيرين، ومنهجه في تأليفه أنه يذكر أولا وصف الحيوان أو الطير ويورد ما قيل عنه وما له من أخبار وأوصاف ثم يذكر بيان الحكم الفقهي في حله وحرمته ناقلا ذلك عن علماء المذاهب الأربعة وهي مذاهب أهل السنة، وقد رتبته على حروف المعجم من الألف إلى الياء.

والظاهر أنه كان مثار إعجاب الامام أبي نيهان لا سيما فيما أورده من أحكام فقهية حول تلك الحيوانات والطيور، فأنشأ كتابه (إيضاح البيان فيما يحل ويحرم من الحيوان) مرتبا عليه أي على كتاب الحيوان للدميري.

يقول أبو نيهان في مقدمة كتابه: (وبعد فلقد صنعت هذا الكتاب من كتاب حياة الحيوانات المرتب على الحروف المعجمات والمهمات، فأخذت منه الحكم في الطيور والدواب على غير تصنيفه، وألفته مخالفا لتأليفه لأنه إنما يذكر الطيور والدواب على أول حرف منها في الأبواب فجمعه على ذلك الترتيب وبوبته على غير ذلك التبويب وجعلته أبوابا وفصلت كل باب منه انكارا وأقوالا، وسميته (كتاب إيضاح البيان فيما يحل ويحرم من الحيوان)، ورتبته ترتيبا حسنا وتصنيفا مستحسنا، ثم جمعت جميع ما في مقالتي هذا الكتاب من الإباحة والحل في باب منفرد يشتمل على ما في الأبواب وربما يخرج في بعض من الانكار في غير التحليل والتحريم فأتيت به ولم احذفه إذ لا يخلو من فائدة ورددت عليه فيه ما لم يخرج عندي صحته، وصححت ما صح معي من صحيح قولته، وأكثر ما قلته في هذا المصنف بنظر فكري ورأي عقلي وقياس شرعي فإن أصبت فبتوفيق من الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان وأنا استغفر الله من الخطأ والزلل وأعوذ به من علم بلا عمل أنه غفور رحيم سميع مجيب)(<sup>٥</sup>).

وأرى أنه من المناسب أن أنقل فقرة من الكتاب لتتعرف على أسلوب الكتابين فقد جاء منه ذكر القول الأول في الأسد (ومن الكتاب) أي من كتاب (حياة الحيوان): قال الشافعي: أبو حنيفة وأحمد ودأود والجمهور يحرم أكل الأسد لما روى مسلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير فأكله حرام»، وقال مالك: يكره ولا يحرم؛ وقال أصحابنا: المراد بذي الناب: ما يتقوى ويصطاد، واحتج مالك بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ الآية.

واحتج أصحابنا بالحديث المذكور وقالوا: الآية ليس فيها إلا الاخبار بأنه لم يجد في ذلك الوقت محرما إلا المذكورات في الآية ثم أوحى إليه بتحريم كل ذي ناب من السباع فوجب قبوله والعمل به. وقال الشافعي ولأن العرب لم تأكل كلبا ولا ذنبا ولا أسدا ولا نمرا ولا كانت تأكل الغار ولا العقاب ولا الحيات ولا الحدا ولا الغربان ولا الرخم ولا الصقور ولا الصوائب من الطيور ولا الحشرات. انتهى نص حياة الحيوان، ثم يقول الشيخ أبو نيهان: أما الأسد فلا نعلم أنه صح فيه بعينه تحريم عن النبي - ﷺ - ولا صح ذلك في الإجماع على الدينونة؛ إلا أنه داخل في جملة نهى النبي - صلى الله عليه وسلم

- عن أكل ذوات الأنثياب من السباع. والنهي صحيح ولا نعلم في ثبوته اختلافا، وأما تأويله فمعني أنهم يختلفون فيه فذهب من ذهب من أهل العدل من المسلمين إلى تحريم ذوات الأنثياب من السباع بظاهر النهي، وذهب آخرون إلى تحليلها وقالوا: النهي صحيح إلا أنه يخرج عن معنى الأدب لا على معنى التحريم؛ وذهب آخرون إلى الكراهية. وأما الكلاب والذئاب والعقارب والحداد والغربان والرخم والصقور فكلها داخلة في النهي، والجواب فيها كالجواب فيما مضى وبعضها أشد من بعض وبعضها أقرب من بعض وكلها لا تتعزى من الاختلاف عندي<sup>(١)</sup>.

وهكذا يمضي أبو نيهان في كتابه إيضاح البيان متعقبا للعلامة كمال الدين الدميري فيما يورده من أحكام فقهية تجاه الحيوانات والدواب والطيور والحشرات. مبينا في ذلك رأي المذهب أو الرأي الذي يراه بنفسه ويترجح لديه. والكتاب مفيد جدا في معرفة الأحكام الفقهية حلا وحرمة وكراهة بالنسبة إلى الحيوانات والطيور وهو من الأهمية بمكان.

### ثالثا: كتاب الضياء للعوتبي:

من المصادر التي اعتمد عليها العلامة أبو نيهان كتاب الضياء للعلامة سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري. وكتاب الضياء يقع في أربعة وعشرين مجلدا في الفقه الإسلامي وتقوم حاليا وزارة التراث القومي والثقافة باتمام طبعه وقد تم طبع العديد من الأجزاء منه وقد وضع الشيخ أبو نيهان رسالة في أحكام العدد تعقب فيها صاحب الضياء حول تلك المسائل وأورد فيها أبو نيهان ما يراه صحيحا وراجعا من أحكام العدد.

### رابعا: جوابات الشيخ الصبحي:

توجد للشيخ أبي نيهان رسالة في الوصايا تعقب فيها الشيخ العلامة سعيد بن بشير الصبحي من علماء دولة اليعاربة، وللشيخ الصبحي جوابات قام بجمعها الشيخ سالم بن حمد الحارثي وسماها الجامع الكبير من جوابات الشيخ سعيد بن بشير وهو مطبوع في ثلاثة أجزاء من قبل وزارة التراث القومي والثقافة.

هذه هي بعض المصادر والكتب التي تحرينا أن يكون الامام أبو نيهان جاعد بن خميس الخروصي - رضي الله عنه - قد اعتمد عليها اعتمادا كبيرا ولا شك أنه اعتمد على مصادر كثيرة ورجع إلى مراجع عديدة، ولا نبالغ إذا قلنا أنه اعتمد على جميع كتب المذهب أو معظمها. كما اعتمد أيضا على كثير من كتب أصحاب المذاهب الأخرى، فهو اعتمد في تفسيره مقالات التنزيل تفسير لسورة الفاتحة على كتب التفسير، واعتمد في مؤلفاته الفقهية على كتب الفقه والأصول، وفي شرحه لقصيدة حياة المهج على كتب اللغة وعلى كتب التصوف والسلوك ولكنه لا يشير إلى تلك الكتب كعادة العلماء المتقدمين ولكون المعلومات متشابهة والأدلة متحدة تتناولها تلك الكتب.

والله ولي التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

١- نفس المصدر، مخطوط.

(٥)

دراسة في مؤلفات  
أبي نبهان

إعداد

محمد بن خلفان بن خليفة الصقري

## المقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على رسول العرب والعجم معلم البشرية الأول ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد

...

إن على المتناول لمنهج عالم من العلماء في تأليفه أن يكون ذا دراية بعصر ذلك العالم ومن عاصرهم من العلماء وشيوخه وتلاميذه أضف إلى ذلك قدرته على قراءة المخطوطات وتمتعه بفكر ثابت يغوص في المعاني ويستخرج منهجاً ويكون على دراية كاملة بمنهج التأليف عموماً.

وقد اعتمدت الدراسة على المخطوطات الموجودة في دار المخطوطات والوثائق العمانية (بوزارة التراث القومي والثقافة) ومكتبة معالي السيد محمد بن أحمد البوسعيدي بالسيب، إضافة لذلك؛ المخطوطات المصورة بجامعة السلطان قابوس، فكان في كل ذلك ما يزيد على الستين مخطوطاً مع العلم أن الدراسة لم تتطرق لبعض مؤلفات الشيخ التي لم يطلع عليها الباحث ككتاب شرح الجهالات، وكتاب في تفسير بعض الآيات المتشابهة في بيان بعض المسائل العقائدية.

## تمهيد:

إن ما وصلنا من آثار الشيخ أبي نيهان مما ضمته أوراق المخطوطات في خزائنها المكونة يتمثل في ثلاثة أنواع: المؤلفات، والجوابات، والرسائل، وبالنظر إلى هذه الأنواع الثلاثة نجد بينهما تقارباً كبيراً خصوصاً بين المؤلفات والجوابات بحيث لم يمكناً من التفرقة بينهما، إلا بما وجدناه من اختصاص المؤلف بموضوع معين، ومجهود تناقله النساخ في مخطوطات منفردة يبين فيها شئ من التنظيم والتبويب مع ما يحدثه النساخ من إضافات ومداخلات، وهذا ما جعلنا نميز المؤلف من الجوابات التي احتوت على جوابات للشيخ عن مسائل مختلفة قد تطول وقد تقصر، أما الرسائل فقد سهل معرفة بعضها، أما البعض فقد أعوزنا إلى التأمل في مضمونها .

ولعلنا في ثنايا هذا العرض الموجز، يتبين لنا ما أشرنا إليه سابقاً وعسى أن تنجلي ما غيابه من هذه الدراسة .

## أولاً: مؤلفات الشيخ أبي نيهان:

نعني بالمؤلف كل كتاب اعتنى الشيخ بتأليفه في موضوع معين ومحدد يستوفيه من كل جوانبه على أن يكون ما في الكتاب من قول الشيخ لا منقولاً عنه.

وما وصلنا إليه بلغ أحد عشر مؤلفاً وقد تنوعت موضوعاته وتعددت، ومن خلال تناولنا لهذه المؤلفات بالدراسة في منهجها التأليفي نجد أنها تنقسم إلى ثلاث مجموعات، وسنتناول كل مجموعة على حدة وما تميزت به مؤلفاتها فيما يلي:-

**المجموعة الأولى:** وهي المؤلفات التي تتشابه إلى حد كبير مع الجوابات فهي مقاربة في المنهج والأسلوب وهي تبدأ بقوله: (وسئل عن...) أو (من جواب الشيخ سعيد بن بشير الصبحي...) وهذا هو الغالب؛ وبعضها من جواب غير الشيخ سعيد الصبحي ومما يؤيد هذا أن الشيخ سعيد الصبحي ومن هنا يسوق المسألة ويجيب عنها وهكذا يسير الكتاب، ولعل الشيخ أثر هذه المسائل عن مشايخه فقله: (من جواب الشيخ سعيد بن بشير الصبحي...) يعني أن هذه المسألة أجاب عنها الشيخ سعيد بن بشير الصبحي ومما يؤيد هذا أن الشيخ سعيد الصبحي متقدم على الشيخ الخروصي<sup>(١)</sup>.

ولما تكون المسائل التي يحكيها الشيخ عن آخرين فإنه ينسبها إليهم بأسمائهم لذا نجد كثيراً من الجوابات منسوبة إلى الشيخ سعيد بن بشير الصبحي أو صالح بن سعيد الزاملي أو محمد بن عبد الله المداي أو صالح أو عمر بن سعيد البهولي أو أحمد بن مفرج وغيرهم كثير.

وحين تكون المسائل من إنشاء الشيخ نفسه ينسبها لنفسه فيقول: (مسألة عن مؤلفه في المساجد هل ذكرها الله في كتابه؟ قال: نعم...) (٢) وفي هذه الحالة فإن الشيخ ينهج منهج المناقشة فيتخيل نفسه يسأل ويجيب بأسلوب، قلت له كذا قال....

ونلاحظ أيضاً أنه كثيراً ما يستشهد بقول الشيخ أبي سعيد الكمي ويعول عليه، وكذلك موسى بن علي ومحمد بن محبوب وغيرهم، ونراه يسوق الأدلة من القرآن والسنة متى ما احتاجت المسألة إلى

١- نور الدين السالمي (تحفة الأعيان). مكتبة الاستقامة. روي. سلطنة عمان. ص ١٤٢، ص ١٦٠.

٢- أبو نيهان جاعد كتاب المساجد. مكتبة التراث (٢٦٩ - ٣٩٠). مخطوط.

دليل. وهذه المجموعة من مؤلفاته تمثلت في الكتب التالية:

### ١- كتاب المساجد:

تعددت نسخ هذا الكتاب حيث وجدت سبع نسخ في مكتبة التراث وخمس نسخ في مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي وبعض هذه النسخ جيدة الخط لها فهرسة لأبوابها وأحيانا بتحديد الصفحات<sup>(١)</sup> وقد اشتمل هذا المؤلف على أربعة أبواب وثمانية عشر فصلا والأبواب الأربعة هي:-

- الباب الأول في المساجد وأحكامها.
- الباب الثاني في الوصية للمسجد والإقرار والعطية والقول في ذلك.
- الباب الثالث في المدارس وأموالها والقول في المتعلمين فيها.
- الباب الرابع في المحصنة وبناء سور البلد.

ومن هنا نلاحظ أن الكتاب اشتمل على مسائل كثيرة في المساجد وأحكامها وكل ما يتعلق بها من أوقاف وحقوق وما يجوز وما لا يجوز بالإضافة إلى أحكام المدارس سواء أكانت ملحقة بالمسجد أم لا وما يتعلق من حقوق العلم والمتعلم والأوقاف وغيرها من أمور صلاحها وكذلك مسائل في أحكام السور العام أو سور البلد وما يتعلق به من أحكام كالأوقاف والإصلاح وغير ذلك.

ومثل هذا الكتاب في موضوعه الفريد قلما تجد اعتناء بمثل موضوعه في كتب الفقه الأخرى وإن وجد فانه لا يكون بهذه الصورة التي أفرد لها الشيخ أبو نبهان مؤلفاً خاصاً.

### ٢- كتاب الطهارات:

كذلك تعددت نسخ هذا الكتاب فخمس في مكتبة التراث وثلاث نسخ في مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي<sup>(٢)</sup> واشتمل الكتاب على أربعة أبواب هي:-

- الباب الأول في الطهارات وأحكامها.
- الباب الثاني في الغسل من الجنابة.
- الباب الثالث في الوضوء.
- الباب الرابع في التيمم.

وكما ذكرنا سابقاً في أسلوب هذه المجموعة من المصنفات فإن هذا الأسلوب يتضح في هذا الكتاب جلياً فقد بدأه الشيخ بقوله: «مسألة من الشيخ سعيد بن بشير الصبحي ويسوق المسألة وجوابها». وكذلك حين تكون المسألة من إنشاء الشيخ نفسه كقوله: «من مسأله عن مؤلفه وفيمن أصابته الجنابة ويسوق المسألة». ويجيب عنها ويعود فيقول قلت له: ويسوق تعريفاً للمسألة ثم (قال) أي قال في جواب السائل.

### ٣- كتاب الحج:

تعددت نسخ هذا الكتاب وكثرت فقد وجدت في مخطوطات مستقلة عددها سبع في دار المخطوطات والوثائق بوزارة التراث القومي والثقافة وأربع مخطوطات في مكتبة السيد محمد بن أحمد هذا بالإضافة إلى وجود مسائل هذا الكتاب في مخطوطات جمعت مسائل متعددة ومختلفة في الفقه

١- انظر ١، ٢ من قائمة المخطوطات في نهاية البحث.

٢- انظر ٣، ٤ من قائمة المخطوطات في نهاية البحث.

والأحكام بعنوان جوابات أبي نيهان كالخطوطة المصورة بمكتبة الجامعة ضمت كتباً ومسائل مختلفة من مسائل الحج<sup>(١)</sup>.

وقد صور هذا الكتاب ونشرت هذه الصورة وهي متداولة في المكتبات التجارية بعد أن صورت بالألوان وجعل لها تجليد حسن حيث لون بالأحمر بداية كل مسألة وبداية كل باب ولكن للأسف ليس لها فهرسة وتبويب كما أنه لم يكتب اسم ناسخها ولا المشرف على تصويرها أو دار النشر، وقد طبعت وزارة التراث القومي والثقافة بالسلطنة كتباً ضم سلسلة (تراثنا) بعنوان كتاب الحج للشيخ جاعد بن خميس الخروصي. وأظن أن هذا الكتيب اختصار للكتاب الأصلي فمزقت منه تعريفات المسائل (قلت له... قال...) وحين طبعت وزارة التراث القومي والثقافة هذا الكتيب لم تسجل عليه مصدر الطبعة ومن الناسخ للأصل ومن محققها أو شارحها<sup>(٢)</sup>.

وقد تميز هذا الكتاب في أسلوبه في البداية خاصة حيث ظهر بأسلوب تعليمي إرشادي ثم انتقل إلى أسلوب المناقشة (قلت له: وإذا تهيأ للسفر وأعد جميع ما يحتاج إليه وأراد الخروج من منزله أعله أن يعمل شيئاً ويدعو بشيء، وإن كان له ذلك وعليه فبأي شيء يدعو إلى أن يصل ميقاته فيحرم، قال: أما لزوم ذلك عليه في الدعاء فلا أعلمه ولكن من المستحب له فانه مخ العمل وبأي شيء دعا من واسع القول فقد دعاه وينبغي أن يكون مطابقاً لما أراده في الحال...)<sup>(٣)</sup>.

وهكذا نلاحظ مرة أخرى أن الشيخ يبدأ بطرح السؤال أو يعرض المسألة ثم يجيب عنها ويتبع تفريعاتها ومدخلاتها بأسلوبه في المناقشة (قلت له... قال...) ونلاحظ أيضاً أن الشيخ لا يعتني كثيراً بذكر الخلافات والأقوال وإنما يكفي بالقول الذي يراه أو القول إلا أن كان فيه رخصة أو قول معمول به عرج عليه مثل: لا؛ قلت له: وعلى قول من يلزمه الإحرام فإذا جاوزها غير محرم هل ينبغي عليه لزومه قال: نعم على قول من يرى لزومه ذلك عليه. قلت له: وإذا ألزمه فمن أين يحرم؟ قال: أنه قد قيل. أنه يحرم من مكة وقيل: يخرج من الحرم إلى الحل فيحرم.

وقيل يحرم من ميقاته فيحرم لذلك...

ونلاحظ أيضاً أن الشيخ كثيراً ما يستدل أو يستشهد بقول الشيخ أبي سعيد مثل قوله: «في قول الشيخ أبي سعيد... أو قال الشيخ أبو سعيد... أو هو أحب إلى الشيخ أبي سعيد...» وهكذا.

#### ٤- كتاب دقاق أعناق أهل النفاق:

يبدو هذا الكتاب من عنوانه كأنه كتاب في التصوف أو السلوك أو ما شابه ذلك ولكنه كتاب حوى عدة مسائل تتعلق بجبايات السلطان وإمام الجور على وجه الظلم والغصب وما يتعلق بذلك من أحكام الجابي وأمواله ومسائل أخرى عن المظالم عموماً.

وفي الحقيقة فإن مسائل الكتاب الرئيسية والتي عليها مدار الكتاب ثمان مسائل ولكن لكل مسألة تفريعات كثيرة فمثلاً المسألة الأولى طالت تفريعاتها ومدخلاتها حتى بلغت ما يزيد المائة صفحة. وقد بدأت بما يلي:

١- انظر ٦، ٥، ٧، ٢٥، ٢٨ من القائمة.

٢- أبو نيهان، جاعد، كتاب الحج، سلسلة تراثنا العدد ٢٨، ١٤٠٦ هـ وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان.

٣- نفس المصدر.

«وسئل عمن ابتلي بغصب شيء من أموال العباد على الجبر منه لهم واذهبها وماله لا يفي بجملتها ولا يقدر هو ولا غيره على توزيعه وكانت عليه حقوق لله والعباد منها معلوم مثل ديون وصدقات نساء وكانت على نفسه وصايا وضمائنات منها مجهول واستسلم لحكم الله - تعالى - خوفاً من عذابه ورجاء لرحمته... أيجوز له أو عليه أن يقضي من هذا المال ما يقدر على قضائه من الديون... المعلوم بها ومقدارها وإن استغرقت ماله ويدين بالباقي أم يكون ماله شرعاً فيها ولها وينزل ونفسه بمنزلة الحاكم فيها...»<sup>(١)</sup>.

وهكذا يطول السؤال واضعاً كل الاحتمالات وتفرعات المسألة ودقائقها حتى يأتي الجواب مستغرقاً كل تفريعه ودقيقه في المسألة ثم لا يقف عن ذلك بل يتابع في المسألة بأسلوب المناقشة قلت له... قال.... وقد كانت المسألة الأخرى أقل طولاً من المسألة الأولى ولكن يلاحظ فيها نفس الأسلوب. وقد تعددت نسخ هذا الكتاب فمع النسخة التي في مكتبة الجامعة توجد سبع نسخ في مكتبة التراث وأربع أخرى في مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي<sup>(٢)</sup>.

### المجموعة الثانية:

واشتملت هذه المجموعة على كتابين هما (كتاب العدد) و (كتاب إيضاح البيان فيما يحل وما يحرم من الحيوان).

وهذان الكتابان لهما أسلوب خاص فريد وذلك أن الشيخ جعل لهما ما يشبه المتن والشرح فالتن يأخذه من كتاب آخر احتاجت بعض مسائله إلى توضيح وتبيين وإضافة ويجعله الشيخ في بداية المسألة فيقول: «ومن الكتاب كذا وكذا» وبعد أن يسوق ذلك المتن يأتي بالشرح له أو التعليق والإضافة عليه مباشرة يتقدم على كلامه جملة (( قال أبو نيهان أو قال المؤلف أبو نيهان أو قال الشيخ أبو نيهان )) ولعل هذا من إضافة النساخ ولأجل أن يتبين لنا هذا المنهج التأليفى بجلاء... نتناول كل كتاب من الكتابين على حدة:

#### ١- كتاب العدد:

توجد نسخه مصورة من هذا الكتاب في مكتبة الجامعة ونسخة أخرى في دار المخطوطات والوثائق بوزارة التراث القومي والثقافة<sup>(٣)</sup> والعدد: جمع عدة وهي ما تحصيه المرأة وتعدده من الأيام والإقراء وهي اسم للعدة الزمنية التي تنتظر فيها المرأة وتمتنع عن التزويج بعد وفاة زوجها أو فراقها<sup>(٤)</sup>. فالكتاب يتناول مسائل العدة سواء عدة المطلقة أم عدة المتوفى عنها زوجها أو الغائب عنها زوجها وأحكام كل ذلك.

وكما ذكرنا سابقاً فإن لهذا الكتاب متناً يقوم عليه ومتن هذا الكتاب أخذ من كتاب الضياء الجزء العاشر للعلامة سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري<sup>(٥)</sup>. وقد أشار الشيخ أبو نيهان إلى ذلك في مقدمة

١- أبو نيهان، جاعد. بقاء أعناق أهل النفاق. مخطوط مصور بجامعة السلطان قابوس برقم (BP195.132).

٢- انظر ٨، ١٠٩ من قائمة المخطوطات في نهاية البحث.

٣- انظر ١١، ١٢ من القائمة.

٤- سيد سابق. فقه السنة. ج ٤. ص ٢٩٠.

٥- سلمة بن مسلم العوتبي. الضياء ج ١٠. ط ١.

كتاب العدد فقال: «لكن دعاني إلى التكلم في هذا الباب من الضياء...» أي من كتاب الضياء فوجدت أن هذا الباب باب العدة من كتاب الضياء في صفحة مائة وثلاثين. وحين أخذ الشيخ أبو نيهان المتن من الضياء لم يأخذه مرتباً من أول باب العدة وإنما كانت العبارات التي ينقلها الشيخ عبارات متقطعة من سياقها كما أنه لم يرتبها ترتيباً متوالياً حسب أسبقيتها في أصل كتاب الضياء وإنما كانت العبارات أو الجمل من وسط سياقها فعلق عليه الشيخ أضاف في المسألة ونظمها نظماً خاصاً بالكتاب.

ولنمثل على ذلك فقد جاءت أول عبارة في كتاب العدد بقوله: ومن الكتاب قال الله - تعالى - ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ وثلاثة قروء هي ثلاث حيض قال غيره: «هذا إن كان في صورة المطلقة» والمعنى لا ينطبق على كل المطلقات من النساء... فحيث إن هذه العبارة وردت كأول شيء من كتاب العدد بينما وردت في الضياء ص ١٤٤ متقطعة عن السياق<sup>(١)</sup>. ثم جاءت المسألة الثانية من كتاب العدد بقوله: «ومن الكتاب ومن طلق زوجته وهي طاهر ثم طلقها وهي حائض فإنها تعتد بهذه الحيضة فتكون عدتها من الطلاق الأول...» وردت هذه العبارة في كتاب الضياء (ص ١٤١) متقطعة أيضاً من السياق وجاءت المسألة الخامسة «ومن الكتاب وقيل في المرأة إذا اختلط عليها الدم في الأشهر وطلقت إنها تعتد بثلاثة أشهر» وردت هذه العبارة في (ص ١٣٩) وهذا يعني أن الشيخ أخذ العبارات التي احتاجت إلى إضافة أو تعليق أو توضيح أو ربما سئل عنها من قبل طلابه وغيرهم ورتبها ترتيباً خاصاً كما يتضح من كتاب العدد أنه لا تبويباً للموضوعات وثبتت عليها المسائل.

وقد أشار الشيخ أبو نيهان إلى كيفية جمعه وإنشائه لهذا الكتاب حين قال في المقدمة: «لكن دعاني إلى التكلم في هذا الباب من الضياء مع الاعتراف والإقرار بالعجز من التأليف العلم وركاكة الفهم وضعف الغريزة مني على التصنيف قضاء الله الذي لا مرد له ووجود الصورة التي اختلف فيها أبو محمد وأقليد أفعال أبواب العلوم أبو سعيد (رحمه الله) فيه ثانياً وجواب رسالة تشبه ما نحن عليه منا لبعض السائلين ثالثاً ثم نزل الكلام يستدعي بعضه بعضاً حتى صار التنبيه على أحكامها غرضاً إلى إتمام هذا الكتاب...»<sup>(٢)</sup>.

## ٢- كتاب إيضاح البيان فيما يحل وما يحرم من الحيوان:

وجدت نسخة من هذا الكتاب في مكتبة التراث ونسختين في مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد البوسعيدي وكل المخطوطات بحالة جيدة<sup>(٣)</sup>. وقد تناول الشيخ في هذا الكتاب كما هو واضح من العنوان الحيوانات بمختلف أنواعها وأحكامها من حيث الحلة والحرمة مناقشاً الأدلة ومبيناً مذهب الإباضية فيها. وأما بالنسبة إلى متن هذا الكتاب فإنه مأخوذ من كتاب حياة الحيوان للدميري وهو كتاب جمع فيه الدميري شتى أنواع الحيوانات البرية والبحرية ورتبها ترتيباً هجائياً وأتى لكل حيوان ما يتصل به من وصف هيئته وصفاته وطبائعه وما يتعلق به من أدب أو قصص أو أمثال أو غير ذلك ثم يعرج إلى ذكر أحكام الشرع في ذلك الحيوان سائفاً الأدلة الشرعية وأقوال العلماء من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين. وقد نص الشيخ في لُخْذه من هذا الكتاب في مقدمة كتابه فقال: «ولقد صنفت هذا الكتاب من حياة

١- نفس المرجع ص ١٤٤.

٢- كتاب العدد. أبو نيهان جاعد. صورة من مخطوط بمكتبة جامع السلطان قابوس برقم (K42. BP144).

٣- انظر ١٣، ١٤ من القائمة.

الحيوانات المرتب على الحروف المعجمات والمهمات وأخذت منه في الطيور والدواب وصنفته على غير تصنيفه وألفته مخالفاً لتأليفه لأنه لم يذكر الطيور والدواب على أول حرف فيها في أبواب مجتمعة على ذلك الترتيب ورتبته على غير ذلك الترتيب وجعلته أبواباً وجعلت كل باب منه ذكراً أقوالاً...<sup>(١)</sup>.  
فيتضح لنا من هذا أن الشيخ أخذ من كتاب حياة الحيوانات الحكم الشرعي من حيث التحليل والتحريم فقط ثم إنه رتب ترتيباً خاصاً وجعله كل نوع من الحيوانات في باب خاص وأبواب الكتاب هي:-

- الباب الأول: في السباع وذوات الناب والقول فيها.
  - الباب الثاني: في الأنعام وما شابهها.
  - الباب الثالث: في الحيوانات الخارجة عن السباع والأنعام.
  - الباب الرابع: في صغار دواب الأرض وخشاشها.
  - الباب الخامس: في الطيور ذات المخالب والنسر منها.
  - الباب السادس: في الطيور ذات المناقير التي لا مخالب فيها.
  - الباب السابع: في الطيور الخارجة عن ذوات المناقير والقول فيها.
  - الباب الثامن: في الدواب البحرية والقول فيها وفي البحرية البرية.
- وحين يورد الشيخ أبو نيهان الكلام من كتاب حياة الحيوانات فإنه يورد منه جزءاً ثم يتعقبه بذكر آراء الإباضية ثم يورد جزءاً أيتلوه بالتعقيب عليه مثل ذكر القول في الأسد ومن الكتاب قال الشافعي وأبو حنيفة وأحمد وأبو داود والجمهور يحرم أكل الأسد لما روى مسلم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير فأكله حرام» وقال مالك: (يكره ولا يحرم)... (هنا كلام لم يورده الشيخ وهو موجود عند الديميري)... وقال أصحابنا المراد بذي الناب ما يتقوى ويصطاد واحتج مالك بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ...﴾ ووردت نفس هذه العبارة في كتاب الديميري (ص ١٤)<sup>(٢)</sup> وعلق الشيخ عليه بقوله: ((أما الأسد فلا نعلم أنه صح فيه بعينه تحريم عن النبي ﷺ ولا صح فيه ذلك في الإجماع على الدينونة إلا أنه داخل في جملة نهى النبي ﷺ عن أكل ذات الناب والنهي صحيح لا نعلم في ثبوته اختلافاً وأما تأويله فمعني أنهم يختلفون فيه...))<sup>(٣)</sup>.
- ومن هنا يتضح لنا هذا الأسلوب في التأليف عند الشيخ أبي نيهان كما يتضح لنا أن الإباضية ومنهم الشيخ أبو نيهان لا يقتصرون على ما عندهم من الفقه بل يطلعون على فقه المذاهب الأخرى، وعلى مؤلفاتهم ويتناولونها بالدراسة والمناقشة.
- فالشَّيْخُ نسخ لنفسه كتاب الإشراف على مذهب أهل العلم للنيسابوري<sup>(٤)</sup> بعدما علق عليه الشيخ أبو سعيد الكدمي<sup>(٥)</sup>.

١- إيضاح البيان فيما يحل وما يحرم من الحيوان - أبو نيهان، جاعد - مخطوط بمكتبة وزارة التراث القومي والثقافة برقم (١١٩٧ - ١٠٨ ب).

٢- محمد بن موسى الديميري - حياة الحيوانات الكبرى - ج ١ - شركة مطبعة مصطفى الحلبي - القاهرة ١٩٧٨ ص ١٤.

٣- إيضاح البيان - أبو نيهان جاعد.

٤- محمد بن إبراهيم النيسابوري الإشراف على مذاهب أهل العلم - ط ١ - دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨٦ م.

٥- كتاب الإشراف - مخطوط مصور بمكتبة جامعة السلطان قابوس برقم (BA 144.K22).

ولعل الشيخ أباً نبهان متأثر في منهجه هذا بالشيخ أبي سعيد الكدسي في كتاب (الإشراف).  
المجموعة الثالثة: تضم هذه المجموعة مؤلفات كل مؤلف في موضوع معين يستقل بأسلوبه  
وموضوعه عن غيره وهي:

### ١- كتاب مقاليد التنزيل:

هذا الكتاب كما يتضح من اسمه كتاب في التفسير وما وجد من هذا الكتاب تفسير لسورة الفاتحة فقط وقد أشتهر عند العلماء عن الشيخ هذا التفسير وقد وجد لهذا الكتاب عدة مخطوطات منها نسخة مصورة في مكتبة الجامعة وفي الصحيفة القحطانية أتى به كاملاً<sup>(١)</sup>. وذكر الشيخ كهلان الخروصي في تحقيقه لهذا الكتاب أن عنده النسخة الأصلية التي كتبها الشيخ بخط يده<sup>(٢)</sup>.

ولكن لنا أن نتساءل هل وضع الشيخ أبو نبهان هذا الكتاب لتفسير سورة الفاتحة فقط أم أنه أرادته تفسيراً للقرآن كله ؟ ولنا أن نلاحظ قوله في مقدمة الكتاب: ((... ولم تكن هذه التفاسير التي عند المخالفين لأهل الاستقامة في الدين لعين الحق في ذلك جالية لكونها عن ضلال التأويل ليست خالية صار كأن حرف العناية إلى ذلك من أكبر العناية لا سيما إذ لم نجد لأهل العدل من أصحابنا تفسيراً يرجع بالحق إليه ويقضي فيعمل عليه وما نحن في هذا المنهاج لكثرة الطلب بالإلحاح من بعض إخواني في الله عليّ ومراجعتي في ذلك إلى...))<sup>(٣)</sup>.

فيستشف من هذا أن الشيخ أرادته تفسيراً للقرآن كله ذلك أننا نجد أنه يذكر الخلاف بين الإباضية وغيرهم في التأويل ومن العلوم أن الخلاف ليس في الفاتحة منه شيء إلا إذا اعتبرنا مسألة البسملة ولكن في القرآن آيات للإباضية رأي أو مذهب في تأويلها ولو أراد الشيخ التفسير للفاتحة فقط لوجدنا لذلك إشارة عنه في المقدمة ولكن

تلك الإشارة ترمي إلى أن التفسير أريد به تفسير القرآن كله.

والآن السؤال الذي يطرح نفسه هو أين باقي التفسير؟ هناك احتمالان اثنان:

أحدهما أن الشيخ مع عزمه على جعل التفسير للقرآن كله لم تسعفه يد القدرة على إتمامه فترك لنا تفسير فاتحة الكتاب.

والآخر أن الشيخ قد واصل في تفسيره وربما أتمه أو لم يتمه ولكن كل ذلك قد ضاع أو أن شيئاً منه مكنون ظلمة المندائيس لم يشأ الله له أن يرى النور.

وعلى أي حال؛ فإن الذي بين أيدينا من تفسير فاتحة الكتاب يشير إشارة واضحة إلى أهلية الشيخ العلمية لمثل هذا العمل العظيم فالناظر في منهجه يجده بين الإقلال المخل والإسهاب الممل وقد أراد الشيخ في تفسيره كما أشار في مقدمته: ((من علم اللسان ما لا بد منه للبيان ومن القراءات كل معمول به وشاذ))<sup>(٤)</sup>. فلنا أن نتأمل في تفسيره لقوله - تعالى -: (مالك يوم الدين) قال: (( قراءة عاصم

١- حميد بن محمد بن رزيق - صورة مخطوط بمكتبة أكسفورد ببريطانيا (١٢١١ هـ).  
٢- كهلان بن نبهان الخروصي - مقاليد التنزيل (دراسة وتحقيق) - بحث تخرج معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد - بحث غير منشور ص ٣٤.  
٣- جاعد بن خميس الخروصي - مقاليد التنزيل - مخطوط مصور بمكتبة جامعة السلطان قابوس برقم (BP 128.16X42)  
٤- المرجع السابق.

ويعقوب ومالك والكسائي (مالك) بآلف بعد الميم وقد قيل إنه قرئ كذلك بالرفع مضافاً ومنوئاً على أنه خبر لابتداء محذوف وبالنصب على الحال أو للمدح منوئاً). وقرئ (ملك) من غير ألف بالجر والنصب والرفع<sup>(١)</sup>. فمن هذا نجد أن الشيخ يورد القراءات الواردة في الآية كما يهتم بالإعراب والجانب اللغوي بالقدر الذي له الحاجة لتوضيح القراءات ووجوهها.

هذا بالإضافة إلى عناية الشيخ البالغة بالجانب السلوكي الصوفي أو ما أسماه الشيخ كهلان بالجانب التربوي والتهذيب الروحي<sup>(٢)</sup>. ذلك أننا نجد الشيخ يتعرض لبعض المصطلحات ويورد تصنيفها وأقسامها وما يدخل تحتها مثل قوله: «و الهداية إرشاد في غاية اللطف ومخارج أسبابها على الجملة أربعة لأصلين مكتسب وشرعي فالأول على قسمين أحدهما ضروري وذلك ما يتأوى إليه من المعلومات التي لا تقبل الشك والثاني الرأي نوع والنفث في الروح والكشف عن محض سر الحق المطلع بالأنوار القدسية على الأسرار الكونية...»<sup>(٣)</sup>.

ولنا أن نتوقف عند بعض العبارات التي تتعمق في هذا الموضوع وتسبر أغواره فيقول: ((ويفتح بمفتاح الكشف الحقيقي باب المحبة والأنس والرضى بأنواع القضاء فيفتح في عرصات الشوق إلى الله - تعالى - حتى يتخطى الملك إلى الملكوت فيسبغ ابتداء أسرار الإلهيات ويغوص في أذى بحارها...))<sup>(٤)</sup>.

## ٢- كتاب شرح قصيدة حياة المهج:

هذا الكتاب عبارة عن شرح قصيدة نظمها الشيخ في السلوكيات ومطلعها:

**تبين أخي في الله قلبي فإنني على النصيح في ذات الإله مع العتبي**<sup>(٥)</sup>

والشرح يقوم على النظام الثلاثي المتبع في شرح القصائد وهو شرح المفردات اللغوية في البيت ثم إعراب البيت ثم نثر المعنى ولكن شرح الشيخ يتميز بأخذه في شرح المفردات اللغوية الغربية بما يخدم الهدف من القصيدة وموضوعها كما أنه لا يتعرض لإعراب البيت كاملاً بل يكتفي بإعراب جملة أو كلمة ربما استغلت على القارئ أو أن بها نكتة نحوية أو بلاغية. أما بالنسبة لنثر المعنى فإن الشيخ يتعرض لنكت المعاني والبلاغة ويستطرد في شرح البيت ومصطلحاته مبيناً ما يريد قوله من المعاني الضمنية للبيت ولتمثل لذلك بشرحه على البيت التالي:

**ثوى في مقامات اليقين على الرضى تُسسى فانتسى من غيره زهنا**

حيث شرح معنى (ثوى) فقال: ((ثوى أطال الإقامة)) وبين كيف أنه ثوى في مقامات اليقين ثم سار في شرح المقامات التي مفردتها مقام وكيف أن لليقين مقامات ثم عرف اليقين فقال: ((واليقين قد مضى القول فيه فيما مضى من الشرح أنه عبارة عن معرفة راسخة في القلب صادرة عن برهان واضح البيان مزيج للشك في حق من أوتي رافع له بنوره عن ذويه وجميع المعلومات عن مجاريه ولكن القدر اللازم

١- المرجع السابق.

٢- كهلان بن نهبان الخروصي - مقاليد التنزيل (دراسة وتحقيق) - بحث غير منشور.

٣- المرجع السابق.

٤- أنظر ١٦، ١٧ من قائمة المخطوطات في نهاية البحث.

٥- أبو نهبان جاعد - شرح قصيدة حياة المهج - مخطوط بمكتبة وزارة التراث القومي والثقافة برقم (١٣٧٠ - ٤٥ ز).

في الدين ما لا يسع الشك فيه بعد قيام حجة العلم به على من قامت عليه)).  
ثم يضمني مستشهداً بآيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله مبيناً معنى الموقنين لغة واصطلاحاً  
ثم قام ببسط مقامات اليقين فقال: ((أحدها علم اليقين لأهل الاستدلال بالبرهان عند ذوي الاستقامة في  
الدين)).

والثاني عين اليقين لأهل الكشف والعيان من العارفين.  
والثالث حق اليقين لأهل القرب والتمكين والرسوخ في اليقين وهذا أعلاها جميعاً...  
هذا ويجدر الإشارة أن للشيوخ قصائد أخرى في السلوك وربما مؤلفات لم نطلع عليها ومن قصائده  
قصيدة مطلعها:-

أرى العذل عن لوم العذول هو العذل      وفضل الغني وصل الحبيب هو الدخل  
وحق الهوى ما صادق في الهوى فتى      تخلى به عن خله اللوم والعذل<sup>(١)</sup>  
وقصيدة أخرى سماها روح الأرواح وراحة الارتياح مطلعها:-

السدين نئين والمدان حماس      صفت القادة والروان حماس  
والأمرجد والجسوم هياكل      والروح غيب والنفوس وساوس  
**٣- كتاب في الاوفاق:**

والمراد بهذا النوع من الكتب التي تشتمل على نوع من العلاج الروحي للأمراض الروحية  
والنفسية وما يتعلق بها من مس الجان وغيره عن طريق التعرض لنفحات وبركات أسماء الله الحسنى  
وصفاته العليا وما تحمله من أسرار وانوار عظيمة وبآيات الكتاب العزيز الذي قال الله - تعالى - فيه:  
﴿يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور﴾<sup>(٢)</sup> وقوله - تعالى -: ﴿ونزل من  
القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾<sup>(٣)</sup> وقوله - تعالى -: ﴿قل هو اللذين آمنوا هدى وشفاء﴾<sup>(٤)</sup>.  
كما تعنى هذه الكتب بعلم الحرف وما يتبعه من طلاس وتشتغل على جانب من الفلك بحساب الأبراج  
وساعات القمر والنجوم هذا ما لاسعة لنا في البحث في مكنونه ولا طاقة لنا في البحث عن مضمونه.  
وللشيخ كتاب في الاوفاق غير هذا تشتمل على شيء مما ذكرنا سابقاً كما وجدت قطعة اسمها  
حز الشجرة منسوبة للشيخ<sup>(٥)</sup>.

### **ثانياً: مسائل وجوابات الشيخ أبي نبهان وهي:**

كما ذكرنا في البداية انها تتشابه مع المؤلفات وإذا كنا قد تناولنا المؤلفات فيما سبق فالآن نتعرض  
للجوابات والمسائل المختلفة والتي ضمتها ثانياً مخطوطات كثيرة في شكل غير منظم أي بلا تبويب ولا  
تقسيم أو تصنيف.

وكما أن الأمر في المؤلفات فإن هذه المسائل والجوابات تبدأ أيضاً بقوله « ومن جواب الشيخ سعيد

١- أنظر ٢٤ من قائمة المخطوطات في نهاية البحث.

٢- سورة يونس الآية ٥٧ .

٣- سورة الإسراء الآية ٨٢.

٤- سورة فصلت الآية ٤٤.

٥- أنظر ١٨، ١٩ من قائمة المخطوطات في نهاية البحث.

بن بشير الصباحي» في كثير منها أو من جواب غيره من العلماء الذين سبق ذكرهم حيث تناولنا المؤلفات التي تتشابه مع الجوابات.

وبالنظر إلى هذه الجوابات غير أن هناك مسائل معينة كثر ترددها في المخطوطات وهذه المسائل هي<sup>(١)</sup>:-

١- مسألة تزويج الصبية بدأت بـ «سئل أبو نيهان من جواب محمد بن عامر بن راشد المعولي سأل سائل عن رجل زوج ابنته رجلا والابنة صبية لم تبلغ الحلم...» حيث وردت هذه المسألة في ثلاث مخطوطات.

٢- مسألة تحليل الزوجة المطلقة بدأت بـ «فيمن طلق زوجته ثلاثا هل يحلله تزويج صبي أو ألقف أو مجنون أو... أو...» وقد وردت في ثلاث مخطوطات.

٣- مسائل مختلفة في الوصايا في أربع مخطوطات بعض المسائل تتكرر في أكثر من مخطوطة كما إن ترتيب هذه المسائل يختلف من مخطوطة إلى أخرى وبعضها يوجد في مخطوطة دون غيرها.

٤- مسائل مختلفة في جبايات السلطان والجباة وأحكام ذلك في ثلاث مخطوطات وليس بالضرورة أن تتكرر المسائل نفسها كما أن المخطوطة قد تجمع مسائل في الفقه والنكاح والأحكام وغيرها وربما كانت هذه المسائل أو بعضها من كتاب دقاق أعناق أهل النفاق».

٥- مسائل مختلفة في النكاح في مخطوطتين ضمن ما سبق.

٦- مسائل في الزكاة في ثلاث مخطوطات.

٧- مسألة في حق الجار في مخطوطتين.

والملاحظ أن المخطوطات التي وجدت فيها هذه المسائل أو بعضها هي أسفار جامعة لمسائل مختلفة في أبواب الفقه وكثيرا ما تعنون بجوابات الشيخ جاعد بن خميس الخروصي.

واحداها عنونت بجامع أبي نيهان وأخرى بجواهر الأشياخ<sup>(٢)</sup>. أما عن منهج إجابة المسائل فهو نفسه ما ذكرناه في المصنفات التي تتشابه مع الجوابات في بداية البحث.

### ثالثا: رسائل الشيخ أبي نيهان:

المراد بالرسائل هنا لا يفهم من معناها العصري بل هي تحمل مفهوم المقالات في هذا العصر بمختلف أنواعها ونحن نستخدم المفهوم التراثي للرسالة.

ورسائل الشيخ أبي نيهان ذات أهمية كبيرة في موضوعاتها رغم أن أكثرها يعالج قضايا وقعت أحداثها أو ملاعباتها في عصر الشيخ ولكن معالجته لها كان بأسلوب واسع الأفق فهو لا يضيق في معالجته لها بأحداث العصر والوقائع الآتية بل نجده يعالجها معالجة عامة يجعل القضية تتخطى حدودها الزمانية والمكانية.

ورسائل الشيخ أبي نيهان - ما وصلنا منها - بعضها فقهي وبعضها سياسي وما اطلعنا عليه ست رسائل هي:-

١- انظر ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨ من قائمة المخطوطات في نهاية البحث.

٢- انظر ٢١، ٢٢ من القائمة.

## ١- رسالة في حكم القهوة:

لقد اختلف العلماء في حكم القهوة فذهب بعضهم إلى حرمة شربها والشيخ في هذه الرسالة يرد على القائلين بحرمتها بالحجة والدليل العقلي المعتبر في أصول الفقه وقد اعتمد الشيخ على هذا نظرا - كما أشار هو - إلى عدم وجود نص من القرآن أو السنة يقضي تحليلا أو تحريما فيقول: «فاعلم أنا لم نجد لها في كتاب الله نبا ولا في سنة رسول الله عليه السلام خبرا ولا عن العلماء الماضين أثرا يقتضي لها ذكرا بتصريح تحليل ولا تحريم»<sup>(١)</sup>.

ولنا أن نتأمل كيف انه عالج هذه القضية مناقشا القائلين بالتحريم فيقول: « قالوا إنما ذهبنا إلى التحريم لها لاستعمال السفهاء لها في المحجورات وادارتهم لها في الكاسات بكلام على سبيل التلاعب لا يليق إلا بمن نسب للفسق. قيل لهم فالحرم هو المحجور من الكلام واللغو الخارج على معنى اللعب في الأحكام وكذلك الأفعال المقبوحة الخارجة على قانون الحق وحد الاعتدال المانع منها بشاهد الشريعة ولا يتعدى المدار من الاشرية وغيرها... »<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا نلاحظ ان الشيخ يثبت رأيه من خلال مناقشة رأي القائلين بالتحريم بأسلوب الحوار ومع ذلك فانه لم يتعرض لذكر أسمائهم بل يشير إلى الرأي فقط ذلك أنه يهتم هنا ببيان المسألة وما فيها من ملاسبات.

## ٢- رسالة في كيفية تعامل الإمام مع رعيته أثناء وجود عدو:

لم استطع تحديد الجهة التي وجهت إليها هذه الرسالة أو مناسبتها ولكن يبدو انها موجهة إلى جهة معينة والخطاب فيها إلى الإمام وجاء فيها: «ومهما بدا لك ان تجهز جيشا فتخرج به لمحاربة من لزمك أو جاز لك ما بداه من نسق فلا تكلف الرعية جبرا ولا غيرها من الناس ما ليس لك عليهم على حال في الخروج لقتال ولا ما دونه من بذل مال ولا تأخذ بهم قهرا لما لا يلزمهم من الأعمال...»<sup>(٣)</sup>.

ومضمونها واضح مما سبق ولعل لها مناسبة أو واقعة دعت الشيخ إلى الكتابة في هذا الموضوع ولكن كما أشرنا سابقا فإن الشيخ يخرج بالموضوع من حدود الزمانية والمكانية ويجعله عاما.

## ٣- رد الشيخ أبي نيهان على العبادي حين ادعى ان لا وجود في البرية لأهل التقى بقية:

جاءت هذه الرسالة ردا على العبادي حيث يستشف منها ان العبادي ادعى ان لا وجود في البرية لأهل التقى بقية فجاء رد الشيخ أبي نيهان بقوله: «وليس كذلك فان في أهل عمان أناسا من تقوم بهم الحجة في هذا كله ومنهم في شيء دون شيء ولكن دولة الأشرار هي التي غلبت على الأخيار وهذا كأنه أساء الظن بالجميع، من عرفه منهم ومن لم يعرفه»<sup>(٤)</sup>.

ومما جاء به العبادي أن ليس للعلماء في زمان أن يقيموا الحدود وينفذوا الأحكام ويقضوا بالحق ذلك انهم ليسوا أهلا لذلك ولا يحق لهم؛ فرد عليه الشيخ عارضا مسألة حجية علماء الإسلام في القيام بأمر الإسلام عند عدم الإمام في جميع الأحكام والحدود.

١- كتاب المستأنف. مخطوط مصور بمكتبة جامعة السلطان قابوس برقم (BP166.2.M331).

٢- المرجع السابق.

٣- المرجع السابق.

٤- أنظر (٢٠) من القائمة.

٤- رسالة وجهها إلى محمد بن الإمام أحمد رداً عليه فيما أثاره عنه من أخبار إثر حادثة نزوى: وحادثة نزوى مشهورة فبعد ذلك ساءت العلاقة بين الشيخ الخروصي والسيد البوسعيدي فجاء من يخبر الشيخ أن ابن الإمام حائق عليه وأن الوشاة يوجبون الفتنة ويذكون الفرقة وتؤكد الشيخ من هذا فبعث إليه بهذه الرسالة يحذره من الوشاة ويقدم له نصائح كثيرة.

#### ٥- رسالة رد على الشيخ محمد بن مقرن النجدي:

محمد بن مقرن هو أحد شيوخ آل سعود الذين دخلوا عُمان في ذلك العصر ويبدو أن ابن مقرن وجه رسالة إلى الشيخ للدخول فيما هم فيه فرد عليه الشيخ بهذه الرسالة وجاء في أولها: ((وصلني كتابك أيها الشيخ محمد بن مقرن النجدي سلمك الله تعالى وعافاك))<sup>(١)</sup>. من هذا يتضح أن الشيخ لم يعنف في رده بل رده رداً جميلاً وإن كان هو ثانياً رسالته شدد في الانتقاد ولكن من حصافة الشيخ أن يبدأ بهذه العبارة اللطيفة حتى يستمر القارئ فيها ولو بدأ ببداية عنيفة لكان ذلك داعياً إلى أن يطرح المرسل إليه الرسالة جانباً دون أن يقرأها.

وقد استنكر الشيخ أبو نبهان أعمال النجدية وتناولها بالنقد فبعد أن ذكر أنهم يجبرون الناس على فعل ما وسعهم تركه قال: ((وفي قول من نعلمه من هؤلاء - أهل السنة والجماعة - في الكفت ورفع اليدين والقنوت في الصلاة وقول أمين ما دل على أنها لا من وظائفها التي لا تصح إلا بها، وبلغني عن سعود بن عبدالعزيز في شيء من هذه الخصال أنه يأمر من يكون كل في قوله وفعله على ما في مذهبه لا على غيره من أجله والواجب على أميركم هذا فيما يرد إليه من الأخبار على السنة أهل عُمان أو غيرهم ألا يبادر إلى قبوله قبل البيان عملاً بما جاء عن الله في القرآن..... ونحن ما عندنا من الاستغاثة بأهل القبور ولا الذبح لغير الله بشيء...))<sup>(٢)</sup>.

#### ٦- رسالة إلى عامة المسلمين من أهل عُمان:

وجه الشيخ هذه الرسالة إلى أهل عُمان يدعوهم إلى التمسك بمذهب أهل الحق والاستقامة، ويبدو أن مجهولاً دعا الشيخ للتوجيه بهذه الرسالة ذلك أنه بدأها بقوله: ((يا من وصلني كتابه فلم أرد من هو جزاءه الله خيراً، هذا جوابه))<sup>(٣)</sup>.

١- كتاب المستأنف - مخطوط مصور بجامعة السلطان قابوس برقم (BP 166-2-M331).

٢- المرجع السابق - وأنظر (٧) من قائمة المخطوطات.

٣- المرجع السابق.

## الخاتمة

في نهاية هذه الدراسة نرجو أن يكون قد اتضح منها ما رمت إليه فقد خرجت الدراسة بتصور عام عن مؤلفات الشيخ جاعد بن خميس الخروصي ومنهجها فتبين من ذلك أن منهج الشيخ في التأليف أخذ عدة صور تمثلت في الآتي:-

المؤلفات التي تتشابه في أسلوبها ومنهجها مع الجوابات حيث تمثلت في أربعة كتب هي: ( كتاب المساجد وكتاب الطهارات وكتاب الحج وكتاب دقاق أعناق أهل النفاق ) والذي ميز هذه من الجوابات أنها وجدت في مخطوطات مستقلة غالباً، ويوجد فيها شئ من التبويب والتنظيم أما الجوابات فقد كانت تتضمن مسائل كثيرة ومختلفة جمعتها مخطوطات كثيرة في سلك غير منظم ونجد المخطوط يضم مسائل قد تكررت في مخطوطات أخرى إضافة على ما حوى من جوابات وهكذا في غير نظام.

وكثيراً ما ينقل الشيخ جواب الشيخ سعيد بن بشير الصبحي وغيره من العلماء في مسائل مختلفة وتميزت بوجود أسلوب المناقشة (( قلت له... قال...)).

وهناك من مؤلفات الشيخ ما تميزت بوجود ما يشبه المتن والشرح وهما كتاب العدد وكتاب إيضاح البيان فيما يحل ويحرم من الحيوان حيث أخذ الشيخ متن كتاب العدد من كتاب الضياء وأخذ متن كتاب الإيضاح من كتاب حياة الحيوانات الكبرى للدميري والشيخ يعلق على المتن موضحاً ومناقشاً.

وللشيخ مؤلفات أخرى ذات موضوع خاص، كتاب مقاليد التنزيل في تفسير سورة الفاتحة وكتاب شرح قصيدة حياة المهج وكتاب في الأوفاق.

وتناول البحث شيئاً من رسائل الشيخ أبي نيهان التي وجهها إلى جهات معينة أو كانت في موضوع معين لا علاقة له بالأحداث.

وأخيراً فإن هذه الدراسة حاولت تسليط الضوء على مؤلفات الشيخ أو شئ منها مستعرضة موضوعاتها ومنهجها... نرجو من الله تعالى أن يثبتنا ويغفر لنا زلاتنا وهو ولي التوفيق.

## قائمة المخطوطات التي اعتمد عليها البحث

| الملاحظات العامة                                                | عدد النسخ | رقم الكتاب في المكتبة | المكتبة     | اسم الكتاب أو الموضوع       |
|-----------------------------------------------------------------|-----------|-----------------------|-------------|-----------------------------|
| كل نسخة من الكتاب (مخطوط) برقم مستقل                            | ٧         | ٢٦٩ - ٣٩              | التراث      | كتاب المساجد                |
| كل نسخة برقم مستقل                                              | ٥         | ٣٩م                   | معالي السيد | كتاب المساجد                |
|                                                                 | ٥         | ٢٧٣ - ٤٣              | التراث      | كتاب الطهارات               |
|                                                                 | ٣         | ٦٧٣ط                  | معالي السيد | كتاب الطهارات               |
|                                                                 | ٧         | ١١٨٩ - ١٠٠أب          | التراث      | كتاب الحج                   |
|                                                                 | ٤         | ٥٦١ح                  | معالي السيد | كتاب الحج                   |
| النسخة مصورة واسمها (كتاب المستأنف)                             | ١         | (Bp166.2.M331)        | الجامعة     | كتاب الحج                   |
| خمس رسائل مختلفة في جواب الوهابية وفي حكم القاهرة               | ٢         |                       | التراث      | كتاب بلقاء أعناق أهل النفاق |
|                                                                 | ٤         | ١١٩٦ - ١٠٨أب          | معالي السيد | كتاب بلقاء أعناق أهل النفاق |
|                                                                 | ١         | ٥٥٤د                  | الجامعة     | كتاب بلقاء أعناق أهل النفاق |
| النسخة مصورة                                                    | ١         | (P1G5.I32)            | التراث      | كتاب العدد                  |
|                                                                 | ١         | ١١١٣ - ١٠٤أب          | الجامعة     | كتاب العدد                  |
|                                                                 | ١         | (BP144.K42)           | التراث      | إيضاح البيان                |
|                                                                 | ٢         | ١١٩٧ - ١٠٨أب          | معالي السيد | إيضاح البيان                |
| النسخة مصورة. حقق الشيخ كهلان الكتاب في بحثه لتخرج بمعهد القضاء | ١         | ١٧٧٤أ                 | الجامعة     | كتاب مقالات التنزيل         |
|                                                                 | ١         | (BP128.16.K42)        | التراث      | شرح قصيدة حياة المهج        |
|                                                                 | ٣         | ١٣٧٥ - ٤٥ز            | معالي السيد | شرح قصيدة حياة المهج        |
| حوى رسالة معاملة الرعية والرد على رسالة العبادي                 | ١         | ١١١ق                  | التراث      | كتاب في الأوفاق             |
| مسائل مختلفة                                                    | ١         | ١٩١٨ - ٣٣و            | التراث      | حز الشجرة                   |
| مسائل وجابات في الزكاة                                          | ١         | ٢٧٣٤ - ٤٣             | التراث      | جوابات أبي نبهان            |
| مسائل في مظالم السلطان ومسائل مختلفة.                           | ١         | ١١٩٢ - ١٠٣أب          | التراث      | جامع أبي نبهان              |
| مسائل متفرقة منها مسألة تزويج الصبية.                           | ١         | ٢٧١ - ٤١              | التراث      | الزكاة                      |
| ضم قصائد متعددة للشيخ.                                          | ١         | ١١٩٨ - ١٠٩أب          | التراث      | جواهر الأنشياخ              |
| مسألة حق الجار. مسائل في الحج ومسألة                            | ١         | ١٣١٤ - ١٥٩أب          | التراث      | جوابات الشيخ جاعد           |
| من طلق زوجته ثلاثاً ومسائل في الزكاة.                           | ١         | ٢٤٢٢ - ٣٧٣            | الجامعة     | بن خميس                     |
| ضم مسائل مختلفة شملت مسألة الجار                                | ١         | (BP1G5.I32.K42)       | التراث      | مسائل وأجوبة                |
| وتزويج الصبية ومسائل في جابابات                                 | ١         | ١١٩٤ - ١٠٥أب          | التراث      | جوابات الشيخ أبي نبهان      |
| السلطان وفي الأفلاج والنكاح.                                    | ١         |                       | التراث      | جوابات الشيخ أبي نبهان      |
| مسائل مختلفة في الوصايا ثم في الصلاة                            | ١         | ١١٩٠ - ١٠١أب          | التراث      | جوابات الشيخ أبي نبهان      |
| والزكاة والمعاملات والنكاح.                                     | ٥         |                       | الجامعة     | نسبها في الصلاة             |
| كل المخطوطات مصورة وكل قطعة تناولت موضوعاً.                     |           | (BN1G5.I32.K42)       | الجامعة     | والزكاة والطهارات           |
|                                                                 |           |                       |             | وفي الوصايا والحج.          |

## قائمة المراجع

\* إضافة إلى المخطوطات التي تضمنتها القائمة السابقة المطبوعات التالية:-

|   |                                                                                                                                    |
|---|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ١ | نور الدين السالمي. تحفة الأعيان. مكتبة الاستقامة. روي - سلطنة عمان                                                                 |
| ٢ | أبونيها جاعد بن خميس. كتاب الحج. سلسلة تراثنا. العدد ٢٨. وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان. ١٤٠٦هـ                         |
| ٣ | سيد سابق. فقه السنة. دار الكتاب العربي. بيروت. ١٩٨٥م.                                                                              |
| ٤ | سلمة بن مسلم العوتبي - الضياء - ط ١. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. ١٩٩٤م                                               |
| ٥ | محمد بن موسى الدميري. حياة الحيوان الكبرى. شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة. ١٩٧٨م.                                        |
| ٦ | محمد بن ابراهيم النيسابوري. الاشراف على مذاهب أهل العلم. ط ١. دار النهضة العربية. بيروت. ١٩٨٦م.                                    |
| ٧ | كهلان بن نبهان الخروصي. مقاليد التنزيل (دراسة وتحقيق). بحث تخرج في معهد القضاء الشرعي والوعظ والارشاد. سلطنة عمان - بحث غير منشور. |
| ٨ | حميد بن محمد بن رزيق. الصحيفة القحطانية. صورة من مخطوط بمكتبة اكسفورد ببريطانيا. رقم (١٢٦١ س٣).                                    |



(٦)

أسلوب الطرح في مؤلفات أبي نبهان

إعداد

د. ابراهيم الدسوقي

## أولاً: تمهيد:

لقد امتزج في تراثنا العربي الجانب اللغوي، والجانب الفقهي امتزجاً جعل من الصعب فصل أحدهما عن الآخر، وصار هؤلاء المعنيون باللغة؛ فقهاء، وهؤلاء المعنيون بالفقه لغويين... فأبو عمر الحرمي - الفقيه المعروف - يقول: (أنا مذ ثلاثين أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه). وهذه المسألة الفقهية بخصوص صلاة السهو، فإذا حدث سهو عن أداء صلاة السهو، هل نضلي صلاة سهو عن هذا السهو.

ويقول الشيخ: لا؛ (لأن المصغر لا يُصغر) فالاسم المصغر بعلامات التصغير المعروفة في اللغة لا يجرى عليه التصغير مرة أخرى، وكذلك القاعدة التي تقول: (إن الضدين لا يجتمعان على شيء واحد، فإن اجتماعاً فالتأثير للطارئ) قد جرى تطبيقها في مجال الفقه واللغة على السواء. فالتطهارة والنجاسة لا تجتمع على ثوب واحد، فالثوب إما أن يكون طاهراً، وإما أن يكون نجساً، والتأثير للطارئ، فإن كان طاهراً فوقعت عليه النجاسة صار نجساً، وإذا كان نجساً، فوقعت عليه التطهارة صار طاهراً.

وكذلك في اللغة في التعريف والتذكير، فالشيء إما أن يكون معرفة وإما أن يكون نكرة، ولا يصح أن يجتمع عليه هذان الأمران في وقت واحد، وكذلك التذكير والتأنيث، والإفراد، والجمع... الخ من موضوعات اللغة. ومن ثم صارت معرفة الفقيه باللغة أمراً معروفاً، ولكن أن يتميز هذا الفقيه في معرفته باللغة، ويصير أديباً شاعراً يصوغ الشعر ويكون قادراً على شرحه، ليقول في شرحه ما لم يقله في شعره، ويعضي مع النصوص مفجراً لألفاظها، حتى يكتشف ما وراءها من معانٍ وموضوعات، موعة في الصوفية سواء كانت هذه النصوص آيات قرآنية كما ظهر عند تفسيره لفاتحة الكتاب في مقدمة مقاليد التنزيل، أو أبيات شعرية (في شرحه لقصيدة حياة المهج التي كتبها بنفسه).

وهذا يقتضي منا أن نقف معه في هذه الجوانب: الجانب الفقهي، والجانب اللغوي، والجانب الأدبي، وقفة نلقي الضوء عليها، ثم نعقب بعد ذلك بأثر امتزاج هذه الجوانب من خلال حرز الشجرة الذي صاغه.

## ثانياً: الجوانب المختلفة في حياة أبي نيهان:

### ١- المجال الفقهي:

(أ) فقد صنف الشيخ كتاب (مقاليد التنزيل لإدراك حقائق التأويل).

ففي مقدمته يعرض لأهمية معرفة أسباب التنزيل، وإعجاز القرآن الكريم، وقد استه وتفسيره، ثم يعرف بكتابه ذاكراً أنه (قد اكتشف بنور الحق البرهان، وصار الأمر ظاهر العيان، أنه لا سبيل إلى الوصول إلى الله، والفوز في لقائه بالسعادة الأبدية، والتنعيم بالذات السرمدية، إلا بوجود الرعاية، والسير إلى منازل الهداية، على أنوار العلم، في عنان الحلم، لأنه من لم يكن له نور من ربه، لم يكن له نور يستدل به، وذلك هو العلم النافع، فالعلم هو الدليل على قصد السبيل، إلى الملك الجليل، والعلم كله القرآن، هو التنزيل، وما بعده من العلم تفسير له وتأويل، فهو الهدى والنور، والشفاء لما في الصدور، من أمراض الغرور، وأدواء الفجور... الذي من تعلق به نجا، ومن تركه ضل وغوى، وهلك فتردى...<sup>(١)</sup>).

١- مقاليد التنزيل لإدراك حقائق التأويل مخطوط ص ٣٠٢.

ويذكر منهجه المتبع في هذا الكتاب أنه جاء (على سبيل التوسط قصداً ، بين الإقلال المخل والإسهاب المخل ..) (وإني أؤرده من علم اللسان ، ما لا بد منه للبيان) . (ومن القراءات كل معمول به وشاذ) . (واسمي إن من الله علي بتمامه ، من فضله وإكرامه : مقاليد التنزيل ...) (١).

ويبدأ الكتاب بتفسير سورة الفاتحة تفسيراً روحانياً ، ثم يأخذ في عرض مسائله في (القياس ، والمتربي ، وفي أحكام تزويج الصبيبة ، وكتابة الأوراق من إقرارات ووصايا ، وفي الطلاق ، وفي أحكام بلدان الإحساء والبحرين وعمان وغير ذلك ، وفي الجباية والجباية ، وفيما يجب لهم وعليهم ، وفي حق الجار والنجاسات ...) (٢).

ثم يعرض في هذا الكتاب للمسائل ، فتكون المسألة في هيئة سؤال يطرح ثم يقول قوله مفصلاً بالمقدمات اللازمة حتى يصل إلى لب المسألة فيقدم فيها رأيه ، بإسطا قوله بسطاً ، مؤكداً ما يقول بوسائل التقليد المختلفة ، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة المحاور ، فتطرح الأسئلة ويقدم الإجابة المفتضبة ، المشتقة مما سبقت الإشارة إليه في شرحه للمسألة على شكل : قلت وقال .

ويمكن الاستشهاد على ذلك بقضية (كتاب الأوراق بالمتربي) فإن التاريخ بالمتربي مما تواضع عليه أهل عمان ، في هذا الزمان حتى عاد معروفاً حين صار مالوفاً (٣).

فقد عرض السائل سؤاله : بأسلوب المتعلم العارف بحقوق المعلم فيقول له : (لنقتدي بما معك من الرأي والعلم ، ولا نقتدي عن سواك) .

فيرد الشيخ بادئاً بقضية خلق الله للإنسان ، وتكريمه إياه بإرسال الرسل ومجيء الرسل بلسان قومهم الذي يفهمونه ، وعلّة أن يأتي الرسل بلغة مفهومة هذه اللغة المفهومة قد تكون مخطوطة وقد تكون مكتوبة ، وضرورة اللغة المكتوبة في حياة الناس ، والشكل الكتابي في اللغة العربية ، وفضائل هذا الشكل على غيره من الأشكال الكتابية في اللغات الأخرى ، وإن كانت كل اللغات حجة في إحقاق الحق وإبطال الباطل لدى من يعرفها ، ومن ثم لا يكون لاختلاف الشكل الكتابي مضرة طالما كان مفهماً بين أهله ، فالهم هو التعبير الصريح عن الحق ، واللغات كلها سواء في التعبير عن الحق بشرط معرفتها ، ولا يجعل اللغة غير جدية بالأخذ بها إلا عدم معرفتها ، ويستدل على ذلك بالأدلة والبراهين المناسبة ، هذه الأدلة التي تتم عن عدم تعصب للعربية ، فالرسول كان يخاطب كل قوم على قدر عقولهم ، (ويدعوهم إلى الله تعالى بما يعرفونه ويقيم عليهم الحجة بما يفهمونه من العرب والعجم ، تارة بمقاله ، وتارة بغيره ممن أرسله إليهم ، حجة لهم وعليهم ، ومن لم يفهم الخطاب إلا بلسانه ترجم له بها عنه لأجل بيانه ، ليرد ما يدعي إليه ، ويدل عليه ، فيسلم ، أو يبقى على كفره بعد أن يعلم ، فيكون للشيطان حرباً والرسول والمسلمين مسلماً أو حرباً ...) (٤).

ثم يذكر الرأي بأن الكتابة بحروف غير عربية لا يضير طالما يظهر الحق ويبطل الباطل ، ويكرر هذا في أكثر من موضع ، يقول (لكل قوم لغتهم ، لا جرم ، ولهم في الكتابة عاداتهم التي يعرفونها في صور حروفها فلا يجهلونها ، إذ هي فيما بينهم ، مذكورة ، معروفة مخبورة ، ظاهرة مشهورة ، حتى لا يجهل فيما بينهم اسمها ، ولا يشك في رسمها).

١- السابق ص ٣.

٢- السابق ص ١.

٣- مقاليد التنزيل ص ٥٢.

٤- مقاليد التنزيل ص ٤٦.

ويقول أيضا ( وإذا كان الغرض من الشيء المعرفة به على ما هو عليه من الماهية، أو الكيفية أو الكمية، ونحوها من الباحث، لإحاطة علم وما زاد عليه من إنفاذ حكم، فكل ما دل عليه، فأرشد إليه من اسم أو فعل أو معنى أو صفة، أو نعت، يكون بالمطابقة أو التضمين، والالتزام، جاز في تعريفه، فأجراه كيف ما كان من عبارة لسان، أو رسم بقلم لبيان، إلا في موضع ما لا يتجرأ فيه بالإشارة، غير صريح العبارة بمعنى في القضاة، وفصل الخطاب، بما صح لمن صح، عليه بغير مراء، ولا إشكال، ولا شبهة موجبة لاحتمال، لأن الحق لحق أن يتبع، والباطل لآخرى ألا يستمع، فإن رد الحق باطل، ودفع الباطل حق ..<sup>(١)</sup> .

ويقول أيضا ( ولا بأس فالعجمي مما يكتب به من شئ مثل العربي، ألا وإن كلا منها من نفسه حر، في غير أن المتربي من بينها مختص بالعدد، فهو إذاً طبيعي وكأنه مما يصلح للأمرين، ولئن خالفهما من مراتب الأعداد صورة، فقد وافقها لفظاً ومعنى، بغير شبهة موجبة لإلباس عند من عرفهما من الناس لمعنى ما ذكرناه، من أن المراد بالألفاظ، تأدية المعنى، والكتابة بدل منها، وأي شئ أفاد من الأدلة عليه أجزاء فيه، ولما صار هذا العلم، لكثرة إلفه من أحد الدلائل، بمنزلة العلم على ما أريد به، لم يجز أن يمنع من أراد العمل به أو عليه ولا أن يسرع إلى فساد حق ما به يكتب من حق فيما أعلمه<sup>(٢)</sup> .

ويقول أيضا ( وإن متربي الوضع فهو مثل العربي لا فرق بينهما في حق من يعرفهما ) ويقول ( لأنه بالمتربي، وإن كان من معرفة ما به مثل العربي )<sup>(٣)</sup> .

والأمثلة كثيرة على هذه النصوص الملحة المؤكدة لرأيه في هذه القضية بما لا يدع مجالاً لشك أو احتمال. ثم ينتقل بعد ذلك المتعلم إلى إثارة التساؤلات، ويجب عنها الشيخ بلغة قاطعة واضحة، مختصرة إذا ما قورنت بطريقة العرض الأولى.

فهذه مسائل فرعية عن الأصل الذي خاض فيه، وأشبعه حديثاً وتفصيلاً مستخدماً عبارات : هكذا عندي، ولا أعلم أنه يصح غيره، ولا يبين لي صوابه، وليس هذا من ...، ولا أعلم أنه مما يشكل، وإنما يجوز كذا، ولا أعلم أن كذا، نعم قد أجازه فلان، ولم يجزه فلان، والذي يتضح لي صوابه كذا .. الخ مما هو موجود في نص المحادثة الموجودة في الملحق.

### ب - كتاب ( مسائل في الصيام ) :

وفي هذا الكتاب يعرض للتعريف بالصوم في اللغة وفي الشريعة، ثم يعرض لمسائله : كاللهال، والشك، والحجة في الهلال، وفي مفسدات الصيام، وفي أحكام الجنب، وفي نقض الصيام بما يدخل الفم، والسعوط من الأنف، وما يدخل الأذن، والدم من الفم، والحقنة، والقبلة، وبخول المنازل والنظر إليها، واستماع ما لا يجوز والتجسس، والغيبة والكذب، والظن، والكحل، والشم، والسواك، والحامل والمرضع .. الخ من المسائل المطروحة في المخطوط ..

ويعرض لهذه المسائل مستشهداً بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ويقدم حكمه، مبرراً ذلك الحكم، ذاكراً إن كان من الخبر ما يؤيد هذا الحكم، أو لم يكن، وإن كان هناك رأي مخالف لرأيه، يعرض له بأمانة ويناقشه<sup>(٤)</sup>.

١- ص ٧.

٢- السابق ص ٤٣، ٤٤.

٣- السابق.

٤- يمكن مراجعة مسائل الحامل والمرضع، باعتبارها تطبيقاً لهذا المنهج في مسائل الصيام ص ٤٨، ٤٩.

وينعم هنا العرض بطرافة المسائل، وتشويق التناول، ووضوح اللغة .

## الجانب اللغوي :

فقد وضع الشيخ قصيدة ( حياة المهج ) التي يقول من بين ما يقول فيها :-

|                                   |                                  |
|-----------------------------------|----------------------------------|
| تبين أخي في الله قلولي فإنني      | على النصح من ذات الله مع العتبي  |
| وأهديه صرفاً من عموم أولي النهى   | كذا في خصوص من عموم أولي القربى  |
| وأدنى قريب كان ذاتي حقيقتي        | فنفس به أخرى ندباً وإن تابى      |
| أراها على قبح الصفات ذميمة        | ومن ساءها تسعى بمسعى الردى دأباً |
| أرى الجهل أمراً كالهوى يجذب الورى | إلى ورطة عن قرطة منهم جذبا       |

وقصيدة حياة المهج من القصائد الصوفية الطويلة التي أودع فيها شيخنا مشاعره وأحاسيسه، فجاءت مكثفة المعاني، متدفقة الأفكار مما يجعلها تبدو أحياناً غامضة نظراً لاستخدام المفردات، أو لاستخدام التراكيب اللغوية .

ومن ثم لجأ الشيخ إلى شرحها، وفك ما بها من طلاسم، فجاء شرحاً محملاً بمعان جديدة، وقضايا جديدة سواء أكانت هذه القضايا لغوية أم فقهية أم صوفية بالإضافة إلى الأسلوب الأدبي البديع الذي يستخدمه، ولرسم ملامح هذا المنهج نعرض للنقاط التالية : شرح معاني مفردات البيت اللغوية التي يثيرها .

### (أ) شرح المعنى المعجمي والسياقي لمفردات البيت:

فقد تناول أبيات القصيدة بيتاً بيتاً، وبدأ حديثه بشرح معاني المفردات الموجودة في هذا البيت شرحاً معجمياً، ويقول على سبيل المثال : التبيين هو التبصر .

وأهديه : أسوقه هدية له صرفة غير مكدرة بشيء من المكدرات لا (وأدنى) : أقرب والرؤية : عبارة تطلق على إدراك البصر الظاهر وعلى إدراك القلب بين البصيرة الباطنة، والذميم : القبيح، والسوء بالضم المكروه<sup>(١)</sup> والجهل نقيض العلم مأخوذ من الأرضيين المجهل، وهي التي لا أعلام فيها . والهوى : هويي، الشر الجامع لجميع المعاصي كلها؛ والمهمه : الأرض المستوية البعيدة، والبهماء : القلاة التي لا يهتدى فيها .

وإذا كان يشرح معنى كلمة، وورد عن طريق المصادفة كلمات أخرى لها بها صلة لا يتردد في الإشارة إليها، وشرح معناها .

يقول عند شرحه لكلمة الأخ: (والأخ في النسب لأب أو لأب، أو كليهما، والصديق والصاحب والأخ في الله هو الذي صحبته لصفاته أخوته، ووجبت لموافقته في القول والعمل محبته، ولزمت لبرأته في دينه من دخول التهم والريبة ولايته ص ١، فقد ذكر مع كلمة الأخ كلمتي : الصاحب والصديق وجعل حديثه مصوباً عليهما .. والليل : عبارة عن ظلمة تحدث عن توارى ضياء الشمس بالحجاب، والنهار نقيضه، والرأب: الصلاح) (٢) .

ويعتمد في صياغة المعاني ما يعتمد عليه واضعو المعاجم من الاعتماد على المرادف كما في الذميم : القبيح، والسوء: المكروه، والرأب : الصلاح أو يعتمد على المضد : كما في الليل : نقيضه النهار، أو

١- السابق ص ٨، ١٠، ١٢، ١٥.

٢- السابق ص ٨، ١٠، ١٢، ١٥.

يعتمد على العبارة الطويلة كما في : الهوى : هيوولي، الشر: الجامع لجميع المعاصي كلها إلى آخره من صور التعريف المختلفة .

وهذا المعنى الذي ساقه في بداية الشرح معنى معجمي اختاره بين معاني المعجم المتعددة، والمحتملة أيضاً، باعتباره الأقرب إلى المعنى السياقي الذي سينطلق إليه، فاستخدام الكلمة التي تعني هذا المعنى في هذا السياق بالذات يجعل من الممكن أن تحمل المعاني السياقية التالية، وينطلق بعد ذلك من توضيح هذه المعاني السياقية، ويجفر فيها هذه الإحياءات الصوفية المكثفة المختبئة خلفها، ويمكن أن نستشهد على ذلك بشرحه للبيت القائل :

**ولا تغضبني مهما هديت عن الردى طريق الهدى واستطرق المنهج اللجبا**  
فنفده بشرح مفردات الغضب، ومهما، والهدى، واستطرق، والمنهج واللجب فيقول : الغضب ضد الرضى، ومهما : كلمة تتضمن معنى الشرط . والهدى : البيان الواضح واستطرق : أي : أطلب، والمنهج: الطريق، واللجب : الطريق الواضح.

ومن ثم يكون معنى البيت معجمياً ( كن راضياً عن من منعك عن طريق الردى، وأخذك إلى طريق الهدى وعليك باختيار الطريق السليم ) وهذا المعنى على ما فيه من بساطة لا يرضي الشيخ بل يحاول أن يجر هذه المعاني المخزونة فيقول ( هذا وإنما نهى عن الغضب في هذا الموضع لأنه إذا كان الأمر في الجهل كما وصفه، فالهادي له عن الوقوع في الردى قمين على ما أهداه إليه، ودله عليه أن يوده، ويتلقى بالقبول هداه فلا يرده، لأنه أشرف هدية كان ذلك على وجه الابتداء به في القضية . أو كان قد وقع الخوض منهما في شئ، فظهر الحق فيه على شئ فيه فكله سواء . لأن الحكمة ضالة المؤمن.

وعلى المرید أن يقبل الحق من حيث كان، ويطلب المنهج الواضح المستقيم أين كان، وقد دل إجراؤه بكلمة المنهج اللجب، في أمره له، هو واحد المناهج على وحدة طريق الحق، وأنه لا ثاني، ولا ثالث له، فليؤممه مختاراً، وليستدل عليه بجهده كي لا يضل : مختاراً فإنه طريق الوصول إلى النعمة والنجاة من النعمة . وإذا كان كذلك - ولا شك في ذلك - فالدلالة على النجاة من الرزايا والنقم، والظفر بالعطايا والنعم، ولا شك أنها للبرايا من أسنى الهدايا فكيف يسنح في بال من له أدنى بال أن يقابل الغضب، من ينقذه من هوة العطب، ويهديه إلى أعلى الرتب، وإن يسنح يوماً ما فكيف لا يبادره كظماً؟! .

إن هذا لمن العجب، إذ لو أخذ بيده عن أن يقع في مهالك الدنيا، أو تقع عليه، أو أخبره بها ليحذر منها لشكره وأحبّه فذكره، وجعل المنة عليه، وليس أقصى ما فيها، إلا فوات حياة فانية دنيوية؛ ثم لا يرضى عمن أراد أن ينقذه من هالك الأبد، ليحيا حياة طيبة أبدية، ويعيش عيشة سرمدية، بل يعانده، ويقلاه فيباعده، ويعاديه فيناكده، ما هذه الرزية إلا خلق الجاهلية<sup>(١)</sup> ثم يمضي في الاستشهاد بالحديث الشريف والحديث عن الغضب، والعجب والرياء بحديث أدبي صوفي مؤثر. وقس على حديثه من كل بيت من أبيات قصيدة (حياة المهج) موضوع الدرس .

## القضايا اللغوية المثارة :

يحلل الشيخ آليات القصيدة تحليلاً لغوياً، ومن ثم يثير كثيراً من القضايا اللغوية المصاحبة نذكر من هذه القضايا:-

- ضبط الكلمة .
- وزن الكلمة .
- المفرد والجمع .
- الإعراب .
- التعدي واللزم .
- اللغات واللغة العامية .

### أ - ضبط الكلمة :

احتل ضبط الكلمة مكانة متميزة في شرحه، إذ يكون ذلك مدعاة لنطقها نطقاً صحيحاً . والأمثلة متناثرة في ثنايا شرحه للقصيدة، ونذكر من هذه الإشارات ما يلي:-

- الفرطة : بضم الفاء وتسكين الراء هي الخروج ... ويفتح الراء : المرة الواحدة .
- اللهيا :- بكسر اللام، وتسكين الهاء، وفتح الباء : كل مهواة بين جبليين .
- الكبر :- بكسر الكاف وتسكين الباء : الركون في الباطن إلى رؤية النفس بعين العظمة .
- شصى : بالشين المعجمة والصاد المهملة<sup>(١)</sup>.

فقد ظهر أن النطق الصحيح يكون بذكر حركات الضبط، أو بذكر حالات الإعجام أو غيره جاء الإلحاح ليعكس هذا الحرص على نطق الكلمات نطقاً صحيحاً.

### ب - وزن الكلمة :

ويشير الشيخ إلى وزن الكلمة سواء باستخدام الميزان الصرفي، أو باستخدام كلمة أخرى مشهورة على وزنها . يقول الشيخ : العتبي على وزن فعلى<sup>(٢)</sup>، «والورى ك(فتى) الخلق، والثأى كالسعي : الإفساد ... الخ من أمثلة»<sup>(٣)</sup>.

### ج - الإشارة إلى قضايا التعدي واللزم، مع ذكر معاني حروف الجر في سياقها:

ويمكن أن نستشهد على ذلك من الأمثلة التالية :

في قوله : «فإني على النصيح » يقول وعدّي بعلى، وهي من حروف الاستعلاء، مبالغة في وصف حاله بالتمكن فيه، والكون عليه<sup>(٤)</sup>.

ويقول أيضاً في شرح قوله «ربما لا يقبلن ثاءه الربأ» يقول : « ورب : حرف خفض، لا يقع إلا على نكرة، وهي كلمة تقليل وتكثير، وهي في موضع المبالاة للتقليل أو لا تكون لأحدهما، وأناستفادان من سياق الكلام .

١- المرجع السابق.

٢- المرجع السابق.

٣- انظر السابق ص ٨، ٥.

٤- السابق ص ٢.

#### د - الإشارات الإعرابية :

وعند تناول الشيخ لفردة من مفردات البيت أحيانا يشير إلى موطنها الإعرابي، لأن الإعراب يوضح وظيفة الكلمة في التركيب، وبالتالي يتضح معناها المناسب للسياق ونستشهد على ذلك بالمثال التالي:  
ففي شرحه للبيت القائل :

وأُنسى قريب كان ذاتي حقيقتي      فنفس به أحرى بدبا وإن تأبى  
يقول : «وذا الشيء نفسه التي هي حقيقة، فكذلك أعقبها في اللفظ ذكرا لها على سبيل البدل من الذات فكأنهما اسمان متواردان بالتراصف على مسمى»<sup>(١)</sup>.

#### هـ - الاهتمام باللغة العمانية :

يشير الشيخ إلى استخدام الكلمة وخاصة إن كانت لهجة من اللهجات، ويقول « هي لغة » كما في قوله : « والضرب لغة الحق»<sup>(٢)</sup>. وإن كانت الكلمة تنتمي إلى لهجة محددة، لا يتردد في الإشارة إليها وخاصة إذا كانت لهجة عمانية : كما في شرحه لقوله :

ولا تغضبني مهما هديت عن الردي      طريق الهدى، واستطرق المنهج اللجبا  
يقول : «واستطرق : أي اطلب، أو بمعنى جز، لغة عمانية»<sup>(٣)</sup> ص ٢٧ .

#### - الجانب الأدبي :

وقد ظهر الجانب الأدبي واضحا في صياغته للشعر، وشرحه لهذا الشعر في قصيدة « حياة المهج » وشرحها، وتفسير سورة الفاتحة، وسنعرض لهذا الجانب من خلال، الموضوعات الأدبية التي يطرحها، والسمات الأسلوبية التي يتميز بها أسلوبه .

#### - موضوعات يطرحها أثناء التناول :

وفي سياق هذا التدفق للمعاني الصوفية المختبئة خلف النص، تأتي كلمة في سياق الحديث وتكون هذه الكلمة مثيرة لنفس الشاعر، فيعرج عليها متناولا إياها تفصيلا في القول وإتيانا على الفكرة . ومن هذه الكلمات التي عرضت أثناء شرحه كلمات : الجهل، والتواضع، والكبر، والبخل، والعجب، والحسد<sup>(٤)</sup>. ويمكن أن نستشهد بتناوله للكبر باعتباره نموذجا لتناول الشيخ لهذه الموضوعات يقول إن الكبر - بكسر الكاف وتسكين الباء الركوز في الباطن إلى رؤية النفس بعين العظمة، وأثره المترشح على الظاهر، المقتضي للترفع إلى الغير يسمى تكبرا، والفاعل لذلك يسمى متكبرا والكبرياء بالعظمة وهي من صفات الربوبية ولا يليق بالعبد غير التواضع، والاستكانة تحت ذل العبودية، وفي الحديث : «الكبرياء رذائي، والعظمة إزارني فمن نازعني في واحد منهما قصصته ..» فليستشعر أن أفة الكبر وخيمة، والبلية بها عظيمة . وأنها تستدعي في نفس من أتصف بها كرون الأنفة عن مثل هداية من أفضى به إلى التكبر عليه، وإرشاده له، ويصير مستكبرا، وربما هيح في نفسه نار الغضب على من يأمره بالتقي، ويدله على المنهج الأهدى، يوبنهاه عن فساده في أرض الله وبلاده، وذاك أن الغضب يورثه النفرة أيضا عن قبول الحق كبرا، وإن كانت متميزة فيه.

(١) السابق ص٤

(٢) السابق ص٣٦

(٣) السابق ص٢٧

فقد كانت قضية الفصاحة وشروطها مقدمة جوهرية للدخول في علوم البلاغة المعروفة، المعاني والبيان والبدیع، ولم يفت الشيء أن يدلي فيها برأيه بأسلوبه الأدبي أيضا. يقول: (فلان المعاني جواهر ولباب، والألفاظ تشویر وأصداف، ولا تنال فتخرج عن أصدافها، مجردة عن تشویرها محال على التمام والكمال إلا المؤمن القلب، وغوصه في بحر حقائق المعاني المحمولة، في محامل الألفاظ الحاملة لها فهي في المباني للمعاني كاللعاني . ومن لم يلج المنزل، فيطلع وينظر من دالج إليه، فكيف يعرف على اليقين ما فيه من الخارج . كلا فلا سبيل إلى إدراكها .. إلا باستعمال الفكر، والتزام التدبر والاعتبار، والمطالعة لمعنى القول اللفظي من القلب النوراني، لا سيما في عويصات الأمور).

كأنه بهذا يتحدث عن نفسه، إذ يعد نفسه للفوضى في معاني أبيات قصيدة حياة المهج، وما يتطلبه ذلك من استعمال الفكر، والتزام التدبر والاعتبار، والمطالعة لمعنى القول اللفظي من القلب النوراني. والقلب النوراني هو قلب الصوفية الذين بلغوا في درجات سلم الوصول إلى الله مبلغا، وهو واحد منهم. ولا يفوته وهو يعرض لشرح الأبيات إلى الاستخدامات المجازية ككلمات في النص ويستخدم لذلك إشارات واضحة كأن يقول «شبهه بمدرك حس»

«ولكن أتسع في القول فاستعار»، وقد يطلق (كذا بمعنى كل) مجازا وليس على الحقيقة . ونستشهد على ذلك بقوله في شرح البيت القائل :-

**كليل بجوجي على أهله سجا** **فضلوا على تيهاء قيعانه الجديا**  
 فيشرح « قيعانه» حيث يعود الضمير على الجهل يقول:- « والجهل ليس فيه على الحقيقة قيعه ولا تيهاء، ولكن أتسع في القول واستعار له هذه الأسماء تجوزاً، لأنه في المعنى، كأنه مما كان فيه نوع من المحاكاة لها، فلذا ك شبهه بها، وقدر بها، في التشبيه تمثيلاً، وأجراه على وجه التصوير تخيلاً، وتمثيلاً له في الشبه بالليل من حيث ستره الحقائق عن درك عين البصيرة من القلب لها وموازنته لها عن تصورها .. (١) ».

## **ب) السمات الأسلوبية في كتابته :**

الأسلوب مرآة الشخص يعكس ثقافته وروحه، ولا تظهر السمات الأسلوبية إلا في مواضع الاختيار في اللغة، وهي مواضع الجواز حيث يجوز هذا أو ذاك، فيميل الأديب إلى هذا الاختيار أو ذاك . كان يختار بين الجملة الاسمية أو الجملة الفعلية ويختار بين القصر بإنما أو بما وإلا والتأكيد باللام، أو بإن، والتقديم والتأخير للمفعول، والجار والمجرور والتعليل بلام التعليل أو كي، أو لكي، الخ .. وبالقراءة في كتابات أبي نيهان تتضح السمات الأسلوبية التالية :-

أ - **الجملة لديه ليست بسيطة**، كما أن أفكاره ليست بسيطة فلم تكتف الجملة بأركانها الأساسية (المبتدأ والخبر) أو (الفعل + الفاعل + المفعول، بل حملت الجملة بالمكملات المكثفة كالنواسخ والصفات والمضاف والمضاف إليه والحال، والجار والمجرور)، ويمكن أن نمثل عليه بالجمليتين التاليتين :-

يقول : « لا يزال في تردده على غيره في ليل عماء متحيراً »

فعل ناسخ + اسمه + حال + حال + مضافات + خبر الفعل الناسخ .

ويقول كذلك : « كذلك لا يحصى أنواع هلكات المنغمسين في ظل الجهالات، جار ومجرور + لا نافية

+ فعل + فاعل + مفعول + مضاف إليه + مضاف إليه + جار ومجرور + مضاف إليه .

فوجدنا الجملتين محملتين بالحال، والمضاف إليه، الجار والمجرور، وكانت العناصر الأساسية ثالثة وسط هذا الزخم من الكمالات الموجودة في الجملتين .

ب - الميل إلى توكيد الكلام :- ويكون توكيده بوسائل شتى بالإضافة إلى استخدام الجملة الأسمية المنسوخة بأن فنراه يستخدم « إنما » و« ذلك » و« فكيف لا » و« لا - إلا » و« لا سيما » و« لا - و » « إن - ألا » و« نعم ولا » و« لا جرم » و« التأكيد بالضمير المنفصل » ولو « و » « لو - لما » و« هكذا » و« كيف » . في الأمثلة التالية :-

إنما أمره بالتبين على وجه الإطلاق .

فلا بأس، وذلك ليتضح فيظهر المراد حقيقة .

فكيف يعرف على اليقين ما فيه من الخارج وكيف يرضى عنها وهي الجامع لصور الشر أجمع .

فلا سبيل إلى إدراكها إلا باستعمال الفكر .

المطالعة لمعنى القول اللفظي من القلب النوراني لا سيما في عويصات الأمور .

أنه لا يريد غير الله سلوكا .

إن أجره إلا على الله .

فالدين كله نصح، نعم ولم لا .

( النصح ) لا بد وأن يستدعي منصوحا، هو موضوعه لا جرم أخبر فقال.. لأن الصرف هو

الخالص .

ولو كان من الممتنع رشادها، وإصلاح فسادها لما كان في علاجها بأنواع المجاهدة في الرياضة

معنى .

وهكذا ينبغي للمؤمن أن ينظر إليها بعين السخط .

وكيف يرضى عنها وهي الجامع لصور الشر أجمع .

والأمثلة السابقة تحمل معنى التوكيد الذي جاء بوسائل شتى في اللغة، فهناك التعبير البسيط الخالي

من مثل هذه الاستخدامات التطريزية أقل في الدلالة على المعنى منه باستخدامها محملة « إنما أمره

بالتبين، أقوى من جملة « أمره بالتبين » .

وجملة « وذلك ليتضح فيظهر المراد حقيقة » أكد من جملة « ليتضح المراد حقيقة » .

وجملة « لا سبيل إلى إدراكها إلا باستعمال الفكر » أكد من جملة « سبيل إلى إدراكها باستعمال الفكر » .

وقس على ذلك بقية الأمثلة بعد حذف هذه الأدوات التوكيدية التطريزية التي مثلت خاصة أسلوبية

زينت أسلوب الشيخ وجعلته أقدر على نقل المعنى والتأثير في السامع .

ج - الميل إلى استخدام التعليل : فكثيرا ما يستخدم كلمة « لأنه » في شرحه إذ السبب لا بد لأنه

يعود إلى سبب، وهو في مجال الكشف، وبالتالي فلا بد من ذكر السبب فلا تخلو صفحة من صفحات

المخطوط من تعليل أو أكثر يسوقه إكمالا لشرحه . ونذكر من هذه الأمثلة ما يلي :-

( والمراد بالروية هنا : العبارة عن بصر غير القلب، لأن النفس من عالم الملكوت، فلا سبيل إلى

إدراكها بالبصر الظاهر .. )

- « وإنما قدم الهوى في ضرب المثل حين شبه الجهل به في ذلك لان بحره أطم وضرره في الورى أعم »

- ( ولكن اتسع في القول فاستعار له هذه الأسامي تجوزا، لأنه في المعنى كأنه لما كان فيه نوع من

المحاكاة لها، فذلك شبهها بها، وقدره بها)

- (وما كان ذلك منهم إلا لتمكن الجهل من صميم قلوبهم، وانطباعه في نفوسهم حتى أورثهم الجهل بالذي هم عليه من الجهل، ولتأكده من وقوعه فروعه، ورسوخ أصله صار لا يقبل المحول لها ما شاء الله، فلهذا وصفه بأنه معضل..)

- (ونهاك عن الانهماك في سبيل الضلالة كي لا يقع في هلاك الأبد على الجهالة)

- (وإنها أخلاط فاسدة تحتاج إلى أن تجرد عنها لئلا تستحكم عليها بخلطها الفاسد ..)

فقد استخدم للتعليل، لأن، ولأنه، ولأن، ولأنه، وكيف لا . كل في سياقه وكل حسب التركيب الوارد به.

**الميل إلى استخدام السجع في الكلام:** وهذا سمت الأدباء الذين يريدون لكلامهم أن يكون مقبولا لفظا ومعنى، أي جرسا موسيقيا ومعنى، وقد استعان على إظهار هذا الجرس الموسيقي بالسجع . ونذكر على ذلك الأمثلة التالية <sup>(١)</sup>.

يقول : « لأن الخير عادة، والشر لحاجة »

وكيف يرضى عنها (النفس) وهي «الجامع لصور الشر أجمع، ولها صفات أربع» حيث إنه «جاهد في خلاصه، وأقام فيه مناصرة على إخلاصه، حتى تخلص من الغرور، وتجرد من الشرور، ولم يغره بالله الغرور، فبقي كاملا، وصار خيرا فاضلا» .

ويقول : (وكيف لا، والجاهل لا يزال في تردده على تحيره في ليل عماء متخطبا، ويحيل جهله مرتبطا، يجري فيما لا يدري، إن قال غلط، وإن قام سقط، يمسي ويصبح في ضلالة، في ظلمات جهالة إذا أخرج أحدهم يد له يكن يراها .. فتراه في أقواله، وفي تعسفه في أحواله كحاطب ليل، له الوليل، تارة يسعى فيقبض على أفعى، وتعلق به شوكة في نعله، في يده أو رجله، وتارة يعثر بالقدم، فيخر للبدن والفم، وربما يهوى في انتكاسه على أم رأسه، ومرة يهجم على غرة لعن البصيرة، بفساد السريرة. والأمثلة على ذلك جد كثيرة متناثرة في ثنايا الكتاب).

هـ - **الميل إلى استخدام الجناس وخاصة : الجناس الناقص،** حفاظا على موسيقى الكلام، وإظهارا للبراعة اللغوية، ويمكن أن نستشهد على ذلك بما يلي : - <sup>(٢)</sup> .

يقول : (وفي البيت إشارة إلى أن النفس صالحة بالفطرة إلى ذلك، وإنها قابلة للإصلاح بالمجاهدة والإصلاح) وهذا من الجناس الناقص في الإصلاح والإصلاح .

ويقول أيضا : (لأن الخير عادة، والشر لحاجة وتتنعم بما يرد عليها، ومن مولاهما كيف أولاهما فتحبه وترضى ..) الجناس الناقص بين مولاهما وأولاهما .

ويقول أيضا : « وعلى الحقيقة، ليس للهوى ربع ولكن لسكونها كالمساكن في المساكن . وكونه لها في إحاطته بها كالمنازل للننازل » فالجناس الناقص بين المساكن والمساكن والمنازل والننازل .

ويقول أيضا : (حتى تخلص من الغرور، وتجرد من الشرور، ولم يغره بالله الغرور) فالجناس بين الغرور، والغرور مع اختلاف في ضبط الغين حيث في الأولى بالضم وفي الثانية بالفتح.

**و - يحظى الجار والمجرور بدرجة عالية من الاهتمام في استخدام الشيخ اللغوي، إذ يميل دائما إلى التقدم عن موقعه الطبيعي في الجملة . وتقديم عنصر لغوي يعني مزيدا من الاهتمام به، ولا**

١- أنظر : شرح قصيدة حياة الموهج ص ٨٠،٤ على التوالي .

٢- أنظر السابق ص ٨٠٦ و٨٠٧ على التوالي .

تكاد تخلو صفحة من صفحات كتبه من هذا التقديم للجار والمجورر إما لأنه عنصر ضعيف يمكن أن يهمل إذا وقع في آخر الجملة، وهو يؤثر أن تكون نهاية جملته قوية، مشغولة بعنصر أساس من عناصرها . وإما ليحقق الغرضين معا غرض زيادة الاهتمام، وغرض الحفاظ على آخر الجملة القوي . ويمكن أن نستشهد على ذلك بمجموعة من الأمثلة المتناثرة في ثنايا كتابه . يقول : (الاخ هو الذي في الله صحت لصفائه أخوته ووجب لموافقته في القول والعمل محبته . ولزمت لبرأته في دينه من دخول التهم عليه والريبة ولايته) .

حيث تقدم الجار والمجورر في (الله) و«لصفائه» وموافقته في القول والعمل) و«لبرأته في دينه من دخول التهم عليه والريبة» لزيادة الاهتمام بها في الجملة فالترتيب الطبيعي لهذه الجمل على هذا النحو: الأخ هو الذي صحت أخوته في الله لصفائه ووجب محبته لموافقته في القول والعمل ولزمت لبرأته في دينه من دخول التهم عليه والريبة . حيث جاء الفاعل تاليا للفاعل ثم جاء الجار والمجورر، ولكن في التقديم فصل بين (أكثر الناس في هذه الدنيا كالفراس يتهاقنون، ومن دورة هذا الصراط يهون، وبعضهم ينزلق، ويرجع فيلق، فالتثبت عليه، لا غناية عنه) والنص طويل ممتد، مكثف، محمل بكثير من التعابير الصوفية الرائقة .

### ثالثا - الامتزاج بين الجانب الديني والجانب اللغوي :

فإذا ما ارتقى الإنسان في الدرجات صار عبدا ربانيا «يقول : للشيء كن فيكون» وقد انعكس هذا في هذا الحرز اللغوي المسمى حرز الشجرة .

الذي تمثل اللغة فيه وسيلة فنية عالية، نقلتنا إلى حلبة مصارعة بين الشخص وبين الشيطان، ومن هذه الحلبة يستعين الشخص بكل قوة ممكنة، ويسدد ضرباته القوية المتتابة، ويتقوى ويضرب، ويتقوى ويضرب، وتتابع الضربات إلى أن ينهك الشيطان، فيجهز عليه بالضربة القاضية مكررا « اعزم عليك » « أقسم عليك » إلا ما سمعت وأطعت وعجلت المخرج، وابتعدت ونأيت، ولا تعود له أبدا مستعينا بالله وملانكته وكتبه ورسله وآياته في الأرض والسماء. وأنى لأية قوة أن تقف أمام الله أو تتحداها، وهي من صنعه، وتحت سيطرته، ممن احتفى بالله عز، ومن احتفى بغيره ذل .  
رحم الله شيخنا وأثابه خيرا عن الفقه والأدب، جزاء ما تقدم لهما وأظهر بهما من علامات . ونسأل الله أن يجعل أجره من هذه الأعمال موصولا .

فإذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث « صدقة جارية، وعلم نافع، وولد صالح يدعو له .  
اللهم أجره خير الجزاء، فأنت نعم المولى ونعم النصير.



(٧)

العلامة أبو نبهان الخروصي

ومنهجه الفقهي

اعداد

الدكتور: مبارك بن عبدالله بن حامد الراشدي

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة:

الحمد لله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وجعل له البيان نبزاساً إلى العلم، ورفع مكانة العلم والعلماء، لسلوكهم سبيل الأنبياء، والصلاة والسلام على أشرف الرسل وسيد الخلق على الإطلاق محمد الهادي الأمين وآله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد شرفنتي وزارة التراث القومي والثقافة ممثلة في المنتدى الأدبي بالدعوة للمشاركة في احياء ذكرى العلامة الشيخ أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي «رحمه الله، بكتابة بحث عن منهج أبي نبهان الفقهي لإلقائه في المنتدى ضمن بحوث الندوة التي أقيمت بالمنتدى احتفاءً بذكرى العلامة الشيخ المرحوم جاعد بن خميس الخروصي، فلبيت الطلب شاكرًا لمن دعا وإكرامًا لمن احتفي به، فجزى الله القائمين على هذا المنتدى كل خير ولن ساهم في انجاح هذه الندوة جزيل الثواب.

وكانت تلبيتي لهذه الرغبة للمشاركة فقط وإلا فإنني أعرف نفسي اني لست هناك. ورحم الله امرأة أعرف قدر نفسه، واعترف من هذا المكان انني لم استطع ذكر حياة أبي نبهان بكاملها، ولا منهجه بالتفصيل، ولكن ما سمح القدر من الله به لأنني ضعيف عن ذلك ولا يصف أباً نبهان إلا من كان مثله وله رجال، ولكنني وضعت بهذا البحث المفتاح على القفل كي يواصل الطلاب مثلي مسيرة البحث، وأنا متأكد أنهم سيأتون بأكثر مما أتيت. من المعلوم عند الجميع أن مؤلفات أبي نبهان ما زالت مخطوطة لا تساعد على القراءة والاطلاع الكافي، ونظراً لكثرتها وحاجتها إلى فترة كافية من الزمن، وبما أن الوقت قصير، ولا يكفي للإجابة عليها كلها، فقد التزمت بقطعة الأحكام من كتاب الجوابات، وبكتاب حياة المهج وبسيرة أبي نبهان مع ما وجدته من تفسير الفاتحة المسمى «مقاليد التنزيل»، وتركت الباقي؛ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد كان عنوان البحث: «جانب الأحكام في فقه أبي نبهان»، ومن المعلوم أن هذا العنوان لا تكفيه رسالة بكتورة، وذلك لغزارة المادة وكثرة أبواب الأحكام، فقد حاولت أن أختزل العبادات وما يتعلق بها، ولكن وجدت أن أبواب الأحكام كثيرة جداً لأنه تدخل فيه الأحكام المدنية والجناائية والشخصية والسياسة الشرعية وكل هذه الأربعة بحر غزير يحتاج إلى رسالة، ثم رأيت أن أبين بادئ الأمر «منهج أبي نبهان في الأحكام»، والحق إنه صعب أيضاً ولكن حاولت الاختصار قدر الامكان، وذلك لأن معرفة المنهج مدخل لمعرفة الأحكام، وهذا عمل جديد في حد ذاته يخدم

الباحث في فقه أبي نهبان.

ولعل وعسى أن يقوم الباحثون بدراسة فقه أبي نهبان كله في المستقبل، ولا يفوتني ان أقول الحقيقة وهي:

إن آثار أبي نهبان متداخلة حسبما رأيت وما وقع في يدي، وهناك مسميات كثيرة لآثار غير معروفة، ولعل بعض هذه المؤلفات فقدت، وبعضها تداخل مع غيره، واقترح لذلك ان يعتنى بها فتجمع وتصنف وتلقب باسم «موسوعة آثار أبي نهبان»، ولا تضير هذه التسمية جانب أصول الدين شيئاً وذلك لأنها تدخل ضمن فقهه وآثاره. وعند بداية العمل قسمته إلى فصلين كما يرى القارئ.

فالفصل الأول: يتحدث عن شخصية هذا العالم الجليل، ويتضمن سبعة مباحث، أما الفصل الثاني فيتعلق بمنهج أبي نهبان في الفقه ويتضمن تسعة مباحث ولو أن المبحثين الثامن والتاسع خارجان عن المنهج ولكن بخلا ضمن الفصل بحكم الأغلب؛ ثم الخاتمة. وليعذرني المطالع على هذا البحث عندما يلاحظ النقل أو التكرار فإنما ضرورة اقتضاها العمل نفسه، وكما قلت سابقاً إنه عمل متواضع لا يرقى إلى بحوث المختصين، ولكنها مساهمة وبداية لعمل أكثر جدية ومتانة، والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل.

## الفصل الأول

### شخصية الشيخ أبي نبهان

يشتمل هذا الفصل على عدة مباحث:

\* المبحث الأول: من نشأة الشيخ أبي نبهان.

\* المبحث الثاني: دراسته وشيوخه.

\* المبحث الثالث: أخلاقه وصفاته.

\* المبحث الرابع: تصوفه.

\* المبحث الخامس: مكانته الفقهية.

\* المبحث السادس: آثاره العلمية.

\* المبحث السابع: موقفه من العلم والفن.

### المبحث الأول: من نشأة الشيخ أبي نبهان:

أولاً: نسبته:

هو الشيخ جاعد بن خميس بن مبارك بن يحيى الخليلي نسبة إلى ورد ابن الامام الخليل بن عبدالله بن عمر بن محمد بن الامام الخليل بن شاذان الخروصي نسبة إلى خروص بن شاري بن اليعلم من الأزد اليمنية، ويلتقي هو والشيخ العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي في الامام الخليل بن شاذان<sup>(١)</sup>.

وكان مولده في عام ١١٤٧هـ/ ١٧٣٥م في قرية العليا من وادي بني خروص<sup>(٢)</sup> وهذه القرية تقع على سفح الجبل الأخضر في آخر الوادي بمكان مرتفع، فهي أولى بلدان الوادي من جهة الجبل ولآخرها إذا دخلت الوادي من جهة العوابي، فهناك شُب وتزعزع في أحضان أبويه الكريمين، بين الجبال الشاهقة، والمياه المتدفقة، وخضرة النخيل الباسقة، فكان مرهف الحس واسع الخيال، ولم يكن مولعاً بالتعلم من صغره \*، بل كان رجل صيد ورفاهية حال كما سيأتي، وقد لقب الشيخ جاعد بالرئيس، وكني بأبي نبهان، ولا يوجد أحد من علماء عمان بهذه الكنية إلا هو كما سيأتي.

وعندما يقال الخليلي فهو نسبة إلى الامام الخليل، والخروصي نسبة إلى خروص بن شاري، فالأولى نسبة إلى الفرع والثانية وهي أكثر شيوعاً نسبة إلى الأصل، ولا شك انه في النهاية يتصل نسبه بالنبي هود عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

ويظهر للباحث أن نسبة آل خليل إلى الامام الخليل بن عبدالله - كما هو ظاهر من نسبه الشيخ المحقق الخليلي - لا إلى الامام الخليل بن شاذان، وذلك لأن الشيخ جاعد من أولاد ورد بن الامام الخليل بن عبدالله

١- ابن رزيق - الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، مخطوطة ص ١٢٦، انظر: الشيخ عبدالله الخليلي، الحقيقة مخطوط، السبائي سالم بن حمود، اسعاف الاعيان في أنساب أهل عمان ١١١ بمكتبة الجامعة / قسم عمان.

٢- محمد بن راشد الخصيبي - شقائق النعمان: ١٣٩/١

\* هذا الرأي قد ناقشته بعض بحوث الندوة، وتوصلت إلى خلاف ما يراه الباحث (المحقق).

٣- أنظر السالمي - محمد بن عبدالله: نهضة الاعيان: ٣٢٣

والشيخ سعيد من أولاد أخيه محمد بن الإمام الخليل بن عبدالله، والدليل على هذا الافتراض من جهة أخرى هو ما ذكره الشيخ محمد بن عبدالله السالمي في كتابه (نهضة الاعيان) نقلاً عن الشيخ خميس بن جاعد من خط الشيخ خلفان بن عثمان حفيد الشيخ خميس حيث قال ما نصه في نسب الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي: (من نسل الإمام الخليل بن عبدالله بن عمر بن محمد بن الإمام الخليل بن العلامة شاذان<sup>(١)</sup>). فإذا عرفت هذا تبين أن نسبة آل خليل إلى الإمام الخليل الثاني لا إلى الأول فيكون ذلك أصبح نسبته إلى الأول لما ذكرنا.

وأما هي ابنة للشيخ عبدالله بن مبارك بن عبدالله بن ناصر بن محمد فهي ابنة عم الشيخ جاعد، ولم أعر على اسمها<sup>(٢)</sup>.

وللشيخ جاعد ستة أخوة ذكور وبنت واحدة، وعدد أولاده الذكور والاناث ثلاثة عشر من عدة زوجات، ويظهر من ذلك أنه كان ميسور الحال ذا أسرة كبيرة، عاش مستهل عمره قرير العين، ولا ننسى أنه عاش حقبة طويلة من الزمن، فقد كان يناهز التسعين عاماً عندما وافته المنية رضي الله عنه وأرضاه<sup>(٣)</sup>.

وبنى بيتاً كبيراً بالعوابي وهو الذي يسمى الآن (حصن العوابي) وكان وطن آبائه مدينة بهلا ثم انتقل جده مبارك إلى إركزي ثم إلى الجبل الأخضر منحدراً منه إلى قرية العليا التي ولد فيها الشيخ ومن قبله والده خميس.

وكان كسبه من عمل يديه في الزراعة وخاصة النخيل والليمون والبرسيم والحبوب وكان له أموال ولم يأمر أولاده بالعمل فيها كل يوم وقد حكى ذلك عنه ولده ناصر بن أبي نبهان، وما زالت المزارع التي كان يقوم بها باقية لأزريته حتى الآن في آخر بلدة العليا مما يلي الجبل، وبنى مسجده الصغير هناك ولا يزال المسجد باقياً كذلك وعاش في مستهل أيامه في أمن وأمان بين بني قومه في وادي بني خروص، ومضى على سيرة العلياء العاملين والفقهاء المصلحين.

### المبحث الثاني: دراسته وشيوخه:

لم يكن الشيخ أبو نبهان مولعاً بالعلم منذ صغره \* بل كان يحب البادية والصعود في الجبال لتتبع الصيد البري كما هي عادة كثير من الناس يومئذ، وكانت عنده بندقية ضعيفة للصيد وكثيراً ما تخطئ، ولكن إرادة الله غالبية ونهوض الحظ له لم يقف أمامه عائق فقد سبق في علم أن يكون الشيخ عالم زمانه. وهناك روايتان في سبب دراسة الشيخ، الأولى: أنه في يوم من الأيام - حسب رواية الشيخ عبدالله الخليلي - أتى الشيخ جاعد إلى الشيخ العالم سعيد بن أحمد الكندي<sup>(٤)</sup> في بلدة الهجار من نفس الوادي ليكتب له شيئاً من آيات الله البينات لتعينه على جلب الصيد، بحيث يضع ما يكتبه له الشيخ على بندقيته كي لا يخطئ الهدف، ولكن الشيخ الكندي لمع من الشيخ جاعد قوة الألفية وحدة الذكاء، فكان يحدثه

١- أنظر بحث المؤلف عن الشيخ سعيد بن خلفان ضمن «قراءات في فكر الخليلي»، ص ١١١ - ١١٢ ط١ نشر وزارة التراث القومي والثقافة (المندى الأبني).

٢- أخذنا من مذكرة نسب الشيخ جاعد التي أعدها الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي.

٣- أنظر بحث المؤلف عن الشيخ جاعد المقدم في الندوة العلمية للتراث لم ينشر ويوجد بمكتبة جامعة السلطان قابوس.

٤- سيأتي ذكره.

ويسأله عن أخباره، فلما أفصح له عن طلبه قال له الشيخ الكندي - في جواب الرجل الحكيم - يا هذا ان لي بندقية لا تخطئ الهدف ولا تعدو الثغرة، قرب المرمى أو بعد، فكان لهذا القول أثر في نفس أبي نبهان، فقال له: أرني هذه البندقية التي تذكرها، فذهب الشيخ الكندي مسرعاً فجاءه بكتاب ضخم، فوضعه بين يديه، وقال له: هذه بندقيتي، فإن كنت ترغب في الإصابة وأن لا تخطئ هدفاً ما حبيت فتعال أعلمك الرماية بها، فقال: هيه، فألقى بندقيته الحسية ولأخذ البندقية المعنوية، وخرج من صبغة البدو إلى صبغة الحضرة والتدبير والتفكير، وأكب على طلب العلم، وواظب على الدروس ليل نهار حتى فتح الله عليه كنوز العلم والمعرفة<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى عن شيوخنا: ان الشيخ جاعد خرج ذات يوم للصيد كالعادة فلما رجع إلى المنزل وجد والدته قد أخرجت كتب أبائه المخطوطة ووضعتها في الشمس لتذهب عنها الرطوبة والأرضة، فلما رجع سألها عن سبب تخريج الكتب في الشمس، فأجابته على سبيل التهكم به: لماذا لا أخرجها في الشمس وأهلك لم يتركوا لها أحداً يقرأها إلا أنت وأمثالك.

فتأثر الشيخ بذلك المقالة، فترك الصيد وواظب على الدرس والقراءة ولا شك انه قرأ على الشيخ الكندي، وقد تكون القصة واقعتين، وعلى أي حال فإن أحد السببين كاف في التحول عن مسار اللهو إلى مسار الجد والعمل الصالح.

ولازم الشيخ جاعد الشيخ سعيد بن أحمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد بن محمد بن سليمان بن عبدالله الكندي النزوي من أهل الردة، وقد خرج من نزوى إلى وادي بني خروص لظروف كدّرت عليه صفو عيشه، وتوفي بنخل ولا تزال ذريته باقية إلى اليوم بها.

فأخذ عنه الشيخ جاعد فنون العربية كالنحو والصرف والبيان وفنون العلوم الإسلامية كأصول الدين والتفسير والحديث والفقه والسير والتاريخ وغيرها ورحل بعد ذلك إلى نزوى فأخذ عن الشيخ العالم هلال بن عبدالله بن مسعود العدوي النزوي، وعن الشيخ العالم حبيب بن سالم الأمبوسعيد النزوي وأظنه من أهل فرق وقد قال فيه ابن رزيق (أعلم أهل زمانه وقصدته الوفود بالمسائل من كل بلد من بلدان عمان)<sup>(٢)</sup>.

وعاصر الشيخ أبو نبهان الشيخ محمد بن خميس بن سالم البوسعيد وكان بينهما تبادل آراء في الأحكام<sup>(٣)</sup>.

ولكن الشيخ أبا نبهان فاق شيوخه وأقرانه بعدما تبخر في العلم وفتح الله عليه من كنوز المعارف ما شهد به الركبان.

ويظهر لي - والله أعلم - أن الشيخ درس آثار العمانيين الأقدمين كثيراً، وخاصة آثار الشيخ أبي سعيد الكندي فكثيراً ما يثني عليه ويقلده، ويحتج بقوله في مواضع كثيرة من جواباته، وذلك بعدما بلغ درجة الاجتهاد من العلم، ولقد تعلق بآثاره أيما تعلق وشغف بها أشد الشغف، وهذه بعض النصوص التي قالها في أبي سعيد:

١- الشيخ عبدالله الخليفي - الحقيقة: ١١ مخطوط، ابن رزيق - الفتح المبين: ١٤٦ نشر وزارة التراث القومي والثقافة ط١  
٢- ابن رزيق الفتح المبين: ١٤٦، وانظر منكرة الشيخ مهنا في نسب الشيخ وحياته العلمية.  
٣- السيد حمد بن سيف البوسعيد - الموجز المفيد: ٨٦.

قال: (فانظروا فيه وفيما ذكرته إما مفصلاً، فإن الرجوع إلى صحيح الأثر أولى من تكلف النظر بلا علم ولا بصر، خصوصاً آثار هذا الشيخ الكدمي، لأن له اليد الطولى والمنزلة الأعلى والبصيرة النافذة، فهو من الجهابذة، على ما ظهر له في الدار، فشهر في الفن الفقهي، فله دره من عالم بليغ رباني ما أغزر وأقوى فهمه، وأصفى نظره، وأصح أثره، إنه في العالمين لنور يستضيء به لدينه في دنياه من الله هداه<sup>(١)</sup>).

وقال: (بل ربما كان الواحد أقوى نظراً في العلم من الجمهور، يدرك بنور غريزته ما قد غابت عن الجمهور رؤيته، وكلت بصائرهم عن دركه، ألا وإن هذا لهو الغالب على العلماء من الناس، لأنهم وإن كانوا علماء وإليهم ينسب العلم، فإنه لبيّنهم اليون الشديد والفرق البعيد، والمستبصرون الذين صفت غرائزهم، واستنارت بنور العلم الغريزي قلوبهم، ونظروا الصحيح بعين البصيرة، وباشروا أسرار العلم الدينية بصحيح المعرفة حيث بلغ بهم العلم إلى درجة الربانيين من الأبحار كالشيخ أبي سعيد (رحمه الله) ترجمان المذهب الحق على الصحيح، ورباني الحواري من الدين المنشأت في بحر الحقيقة على الصواب قليل. ألا ترى أنه يقصر الذي وجدنا آثارهم من مشايخ المسلمين عند البلوغ إلى درجة هذا الشيخ (رحمه الله)، فسبحان من جعله رحمة إلا من عصى واستحب العمى على الهدى<sup>(٢)</sup>).

وقال: (وكفى بأبي سعيد حجة ودليلاً، لمن أراد أن يتخذ لنفسه الحق سبيلاً، لأنه أعلم من تعلم من الأبحار، وآثاره أصح الآثار، لا على سبيل محض العصبية، ولكن لظهور أنوار الحق في أقواله المرضية<sup>(٣)</sup>).

وعده في موضع آخر من جهابذة العلماء المستبصرين بأنوار البصائر في علوم الشريعة<sup>(٤)</sup>، وصحح كلامه في غير موضع من جواباته<sup>(٥)</sup>.

وبالجملة فقد اعتنى الشيخ بأثار الشيخ الكدمي ودرسها دراسة واعية مع ما أثر عن السلف، فيكاد يكون هذا الشيخ أستاذه الأول.

### المبحث الثالث: أخلاقه وصفاته:

كان الشيخ جاعد واسع الصدر، رحب الخلق، لا يضيق صدره بسائل، بل يتلقى كل طالب علم، فيظهر ذلك من أجوبته فهو لطيف في جوابه، واسع الاطلاع كثير النصائح لطلاب العلم وللسائلين كلما واتته الفرصة للنصيحة فكتبه المشحونة بجواباته مدرسة تعلم القارئ والمطالع.

١- أبو نيهان جاعد، جوابات ١٢٣

٢- أبو نيهان جاعد، جوابات ٤٣٦

٣- أبو نيهان جاعد، جوابات ٤٧٤

٤- أبو نيهان جاعد، جوابات ٤٢٧

٥- أنظر أبا نيهان جاعد، الجوابات ص: ٣٨، ١١٤، ١١٦، ١١٩، ١٢٢، ١٣١، ١٣٣، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٨، ٢٠٨، ٣٣٩، ٤٣٩، ٥١٠.

لا يفارق المسجد بعد طلوع الفجر حتى يصلي الضحى، حدث بذلك ابنه الشيخ ناصر بن أبي نبهان<sup>(١)</sup>.

كان الشيخ يقف عند الحق ولا يخاف في الله لومة لائم، ولو كان ذلك عند أقرب الناس إليه، حدث ولده ناصر بأنه هو وإخوته ربما توفتهم سنة الفجر فيصلون الفرض جماعة معه وذلك في وقت صباهم، فيخففون عنه ويبدلون بعد الفرض، فينهاهم الشيخ فلا يستمعون إلى نهيه فما زالوا كذلك لأنهم - كما يقول - يشتغلون بخدمة الأموال في الصباح الباكر ويقعد هو في المسجد حتى يؤدي صلاة الضحى فينسبون أدامها حتى توفتهم حيث يقول: (كان والدي - رحمه الله تعالى - يمنعنا أن نصلي سنة الصبح إذا فاتتنا صلاة الفرض جماعة معه بعد الفرض ونحن نختفي عنه ونبدلها بعد صلاة الفرض، ولم نزل كذلك ولم نستمع إلى نهيه، لأنه كان يقعد في المسجد إلى صلاة الضحى، ويشغلنا هو بخدمة أمواله، فنذهب إلى خدمة الأموال وننسى بدل السنة، هكذا في غالب الأوقات إذا فات وقتها، وكان «رحمه الله» يشتد غضبه علينا، ونختفي عنه ويقول: من أجاز لكم هذا، وهو يعلم مني اني وجدت كلام الشيخ أبي سعيد - رحمه الله - في ذلك)<sup>(٢)</sup>.

وحدث أيضاً عنه الشيخ ناصر بأن نبهان كان يقرأ للشيخ من مصنف للشيععة وقد كتب في ذلك الكتاب علي عليه السلام وعندما كان نبهان يقرأ يقول: مكتوب علي - عليه السلام - أي بزيادة كلمة مكتوب، فأخذ الشيخ الكتاب ونظر هذه الكلمة فلم يجدها فغضب على نبهان، ونهره قائلاً: (أترك كلمة مكتوب وأقرأه كما صنفه صاحبه علي - عليه السلام - لأن هذا كلام غيرك، وإن زدته أوهمت السامع إن مصنف الكاتب صنفه كذلك)<sup>(٣)</sup>.

يحارب الابتداع في الدين، فلا يرضى بتشريك أهل القبلة ولو كان ما كان ويحذر من ذلك، وفي جواب له من سألته عن ذلك، نهى عن الدخول في اعتقاد تشريك المتولين لليهود والنصارى فلا يحكم عليهم بحكم المشركين، ولكن يحكم عليهم بكفر النعمة وباطلاق الفسق والتفارق عليهم، وإن مأواهم النار وبئس المصير بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وخذ مثلاً مما كتبه جواباً لمن سألته عما يقوله النجدي والأزارقة ويدعون إليه في رسالة طويلة ونقتطف منها هذه الأسطر: (روى من صبا من العمانية إليها ليت شعري ما الذي حملكم عليها، أهو شدة رهبة فيكم من أهلها فيعز من اتقى أن أظهر ما جاز له في إعلان، فأسر في قلبه ما قد اضمره من الإيمان، ولم يأت ما ليس له أن يفعله بالأركان، ويجوز الفضل من امتنع منها ظاهراً فأبدي لله كبرها، ولم يرض بها قليلاً ولا كثيراً، أو كان هذا منكم لرغبة فيها عن جهل بأوامرها، أو علم بحرامها أفلا تسألون أهل الذكر عنها قبل مرامها، فإنهم القادة لن ألقى إليهم قيادة، فلا تقبلوا من غيرهم قولاً ولا

١- أنظر السعدي، قاموس الشريعة ١٣١/٢.

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر ص ٢٧٧-٢٧٨.

٤- الانفال: ١٤٠، ١٤١ من سورة النساء

عملاً في عموم ولا خصوص، إلا ما عرفتموه عدلاً فجاز لكم أو لزمكم أن تقولوه، أو تعملوا به حيناً... وقد نزل بكم من هذه الفتنة العمياء والداهية الدهياء ما قد بان ضرره فيمن دنا منه، فأصابه شرره، فلم أسرعتم الوثبة إليه، زهداً في الذي كنتم عليه، وبه النجاة ولا شك لأنه العروة الوثقى والحبل المتين من ربكم، فإن تكونوا في ريبه من إفك من يقول على الله كذباً فدان في أهل الاقرار بالشرك فاقروا رسالة المهنا بن جيفر مع ما دونه خلف بن زياد في سيرته وانظروا إلى ما أرسل به محبوب بن الرحيل إلى عمان في أمر هارون بن اليمان حين زلّ وأبى أن يرجع فضل، وما لغيرهم من السير مثل أبي الحواري وأبي قحطان وأبي المؤثر، لعسى أن تجدوا ما قد أثبتوه وأثروه على الأولين هذا يتم من في زمانهم ولمن يأتي من بعدهم في الآخرين) .. الخ ما قال<sup>(١)</sup>.

وقد جاء في هذه السيرة الشيء الكثير من الرد والبيان والحجج والبرهان والنصيحة الواضحة عن الانزلاق في هذه الفتنة العمياء.

كما أن الشيخ يجيز هدم ما بناه البغاة وقطاع الطرق من مراصد ضد المسلمين<sup>(٢)</sup>. ويشد غضبه على من يعاون الجابرة على الظلم، أو يجبي لهم الصدقات والخراج، أو يدلهم على فعل ما هو غير جائز في دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم وأطال النصيحة لمن سأل عنه مثل هذه المسائل وهي كثيرة في جواباته وفي كتابه الدقاق لأعناق أهل النفاق وغيرها. ولولا خوف الإطالة لأتيت ببعض النصوص المتعلقة بذلك<sup>(٣)</sup>.

وكان ذا يقين بالله وثقته به على كل حال، توفي أحد أولاده وكان في تلك الحال وهو يجيب سائلاً فذكر له ما أصابه من موت ولد له أوجعه فحمد الله واسترجع وسأل الله المغفرة له ولولده<sup>(٤)</sup>. ولا يتزلف الشيخ إلى أمراء عصره ولا يتقرب منهم، بل يقدم لهم النصائح ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ولا يخافهم ولا يرهبهم شأنه في ذلك شأن علماء الأخرى<sup>(٥)</sup> ولولا خوف الإطالة لأتيت بنص تلك الرسالة.

### المبحث الرابع: تصوفه:

بلغ أبو نيهان في هذا الجانب مبلغاً عظيماً لا يدانيه فيه أهل زمانه فقد بلغ في علم السلوك ما جعله وحيد زمانه، ومن يقرأ قصيدة حياة المهج وشرحها يعرف مبلغ ذلك العالم التحرير والزاهد العارف البصير بربه، فإن فيها ما لا يكاد يصدقه طالب مثلي فقد غاص في علم السلوك وعرف مداخل ومخارج هذا العلم، وما يؤدي إليه وما ينتج عنه وسوف أنقل لك نصاً من كلامه على مصطلحات مسميات النفس عند الصوفية، ونصاً آخر في تجلي صفات الذات للسالك.

١- أبو نيهان جاعد، سير أبي نيهان ص ٥.

٢- أبو نيهان جاعد، جوابات: ١٠٥

٣- أبو نيهان جاعد، جوابات: ١٠٥، ١٣٨، ١٨٠، ١٩٢، ٢٢٣، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٧٤، ٤٢١، ٥٣٩، ٥٦٩، ٥٦٧

٤- أبو نيهان جاعد، جوابات: ١٤

٥- أبو نيهان جاعد، أنظر الرسالة من جوابات ص ٥٨٣، ٥٨٨

## النص الأول في صفات النفس قال:

(ومراد إن هذه الصفات على عددها كل واحدة منها في النفس تقتضي كون ضدها، في حالة الطرد والعكس، فيكون في موتها كون حياتها، وعلى العكس في حياتها كون موتها، وفي ذلها كون عزها وعلى العكس ففي عزها كون ذلها، وفي غيبتها كون حضرتها، وعلى العكس ففي حضرتها كون غيبتها، وهذا صحيح، ولكن فيه لأهل الضعف في الافهام نوع غموض وإيهام فيحتاج في حقهم لإقامة البرهان إلى مزيد بيان، حتى يتضح لهم المعنى بحال فيرتفع الإشكال، ومن البيان له أن يعرف أولاً المراد بهذه الصفات في هذا الموضوع، فإن الموت عبارة يطلق في هذه النفس الدنية في مصطلح الصوفية بوجه اختياري، على الحماية لها من شهواتها الردية، ومنعها عن مواضع رداها المخالفة هواها، ومن مساوئها ورد دعاويها، والتهمة في جميع مراداتها، والأنفة من مجاراتها، والتبري من حولها وقوتها وطولها، والرجوع إلى الله في جميع الأمور، والاستسلام لأمره في التزام الطريقة، بأنوار الشريعة وأسرار الحقيقة، والخروج منها بالفناء عنها حتى تحمد فتتسلخ من رذائل صفاتها، وتفسخ من غوائل آفاتها، وتطلع في سويداها أنوار العرفان فتتسخ ظلماتها، وتنتشر آثارها بالأحسان في جميع الأركان، فتحيا لصفاء الأحوال بروح أسرار المعارف والأحوال، وهذه هي الحياة الأمدية الموجبة للحياة الأبدية<sup>(١)</sup>.)

النص الثاني من شرح البيت:

تجلى ظهوراً بالصفات لذاته إلى طوره فاندك من نورها شهباً  
قال: وذاته عبارة عن نفسه التي هو هي لا غيرها وهي هو لا غيره، لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، له الأسماء الحسنى والصفات العليا، ليس كمثله شيء في ذاته ولا في شيء من صفاته، تسبح له السماوات والأرض، تعالى عن الطول والعرض، وعن درك الأفهام، وتصور الأوهام، وجل عن الكيف والالين، وعن أن يرى في الآخرة والأولى بالعين، وتقدس عن أن يكون له لون، أو يحوي نفسه كون أو تعثره حركة أو سكن، أو يلحقه شيء مما يلحقه الخلق، لأنه الملك الحق مقدس النفس عن كل نقص ورجس، وقد أن إلي من هنا في هذا أن أقول أنه مقام الذهول، وحيرة العقول، لأنه منقطع الإشارة لعجز العبارة عن حقيقة ذاته القدسية، من حيث أنه ليس للخلق سبيل يصلون به إلى معرفته إلا بالذي جعله لهم من الأدلة عليها، ولم يجعل لهم علماً يدلهم على حقيقة ذاته، وإنما دلهم على معرفته بأسمائه وصفاته، ونصب لهم من جوده أعلام شهوده أدلة على وجوب وجوده، فبه عرفوه، ولولاه ما عرفوه بصفاته ولا سموه بشيء من أسماء أفعاله ولا أسماء ذاته<sup>(٢)</sup>.)

وكفى بهذين النصين دلالة على مقام هذا الشيخ العظيم في معرفته بربه وتجرده من أغيار النفس الدنية واتصافه بصفات المعرفة للذات العلية.

## المبحث الخامس: مكانته الفقهية:

بلغ الشيخ أبو نبهان مبلغاً من العلم برّ فيه أقرانه، وصار من الشهرة والمكانة الرفيعة فيه بحيث يشار إليه بالبنان، قال عنه الشيخ العلامة سعيد بن خلفان الخليلي عندما ذكر الشيخ ناصر بن أبي نبهان

١- شرح حياة المهج.

٢- شرح حياة المهج.

ورأى، وهم كانوا أكثر منا علماً وأصح نظراً وإنا لهم في الحق تبع؛ إن شاء الله... الخ ثم تمثل بقول القائل:

**وابن اللبون إذا ما نزل في قرن لم يستطع صولة الجبل القناعيس<sup>(١)</sup>**

وقال عنه نور الدين السالمي: (إن أبا نبهان كان المتقدم على أهل زمانه بالعلم والفضل والشرف واتخذة الناس قدوة في مرشد دينهم ومصالح دنياهم وقلده الأفاضل أمرهم لما علموا من علمه وورعه)<sup>(٢)</sup> وكفى بشهادة هذين العالمين للشيخ بهذا المقام، الذي لا يقولونه إلا لمن كان مشهوراً بذلك ولكونه بالغاً درجة كبرى في المعارف الإنسانية.

وقال عنه الخصيبي:

**وأخو الفضل جاعد بن خميس من خروص ومن ذوي المآثرات  
شمس علم وكنز سر وكهف وشهاب مريد لكل الطغاة**

قال في الشرح: (كان عين جهابذة العلماء في ذلك الزمان، والحبر الرباني المشار إليه بالبنان، وكان الفرد الوحيد في علم الأسرار فعنده ملكة قوية)<sup>(٣)</sup>.

واشتهر علم الشيخ جاعد وتخرجاته الفقيه بين الخاص والعلم، وعرف بالعالم الرباني وبالشيخ الرئيس، ومدحه شعراء عصره بقصائد طويلة ومما قاله فيه الدرمني من قصيدة طويلة:

**وإن أبا نبهان للناهب الذي تنبه عنه منه بيض الفعائل  
فيفضح مهما جاد هملان وابل ويفضح مهما قال سحبان وائل  
وينصب أعلاماً من العلم عاملاً وأنسى رأيتم عالماً غير عامل  
ويسخو بجود للموالين نافع ويسطو بسيف للمعادين قاتل  
فلم نر إلا راضعاً در عارض ولم تر إلا صالياً نار صائل  
فيتلو علينا سورة الشمس وجهه وأخلاقه تتلو كتاب الشمايل<sup>(٤)</sup>**

الشاعر راشد بن سعيد بن بلحسن العبسي؛ أيضاً في مدحه من قصيدة على الحروف الهجائية في بداية كل بيت بحرف:

**صنع الخروصي الصلاح ووصفه بصوابه لم يحصه احصاء  
ضخمت فضائله فضايق ببعضها عرض الفضاء وبعضهن ضياء  
طم الفطانة والطباع تعطفا لسطائعين وطاعة وعطاء  
ظان بوعظ الواعظين بلفظه ظعن الظما والظلم والظلماء<sup>(٥)</sup>**

ومن الذين مدحوه في حياته الشيخ العالم منصور بن ناصر الخروصي الستالي، والشيخ الفقيه ناصر بن محمد بن سليمان الخروصي الحاجري السمايلي، والشيخ سيف بن ناصر الغشري، والشيخ

١- الخليفي، سعيد بن خلفان، تعهيد قواعد الإيمان: ج ١٣/٢٥٩ نشر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ط ١.

٢- السالمي، عبدالله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ج ٢/١٨١ نشر وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٨١.

٣- الخصيبي، محمد بن راشد بن عزيز، شقائق النعمان: ١/١٣٩ نشر وزارة التراث القومي والثقافة ط ١٩٨٩.

٤- الخصيبي، المصدر السابق ص ١٥٠.

٥- المصدر نفسه ص ١٥١.

سعيد بن حسن بن درويش الخروصي، والشاعر حميد بن محمد بن رزيق النخلي، والشاعر علي بن خميس بن عامر الحراصي الجبري وغيرهم كثير. وقد جمعت قصائد مديحه في ديوان كامل أطلق عليه لقب (قلائد المرجان في مدح أبي نبهان)<sup>(١)</sup>.

وكان الشيخ جاعد من العلماء العاملين، والفقهائ المجتهدين، وإلى مرضاة ربهم من السالكين الذين منحهم الله في كتابه عز من قائل: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾<sup>(٢)</sup>.

فكان عابداً لله مبتتلاً إليه لا يفارق مسجده إلا لحاجة عياله ومأكله ونومه عاش طالباً للعلم مطلوباً فيه يرد إليه السائل من كل أنحاء عمان في أمر الدين والدنيا ويزدحم إليه طلبة العلم، وكان شديد الغيرة في دين الله لا يخاف فيه لومة لائم، وقد قام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب استطاعته في زمانه وله في ذلك مواقف مشهورة، وصحائف مأثورة، ذكر بعضها نور الدين في تحفته<sup>(٣)</sup> والشيخ عبدالله الخليلي في رسالته (الحقيقة)<sup>(٤)</sup> وغيرهما.

ونظر ما قاله الشيخ عامر بن علي العبادي في جواب له: (وقد كفاني دليلاً ومنهجاً وسبيلاً من سلك بحالي دار السلامة ومقام الكرامة الباقي إلى يومنا هذا في مصرنا وعصرنا وهو الشيخ أبو نبهان جاعد بن خميس الخروصي العلياني (رحمه الله تعالى) وهو الامام لأهل العدل من ملة الإسلام في هذه الدولة وهذه الأيام، وهو القدوة لمن جاء بعده من الاعلام وهو الأمة والقائد من اقتدى بأثاره الصحيحة إلى الجنة، فسبحان من بعث في هذه الأمة في آخر الزمان بشيراً للمؤمنين ونذيراً للمجرمين، وداعياً للغافلين إلى الله بإذنه إلى سبيل مرضاته بالتزام طاعته، وسراجاً للمهتدين منيراً في هذه الليالي المكفهرات ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٥)</sup> والحمد لله الذي جعل لكل قوم هاد إلى يوم المعاد، جزى الله أبا نبهان أفضل ما جزاه<sup>(٦)</sup> به إماماً أقام له بقسطه في بريته، وجاهد وشمر وذاد عن محارم رعيته على ما أوضحه للعالمين من البرهان وبينه بأوضح بيان) فهذا كلام رجل معاصر للشيخ أبي نبهان، وهو عالم به وبمن في زمانه، وقد نص على انه كان إمام زمانه، وانه قام بواجب الدفاع عن الدين ورد البدع وأوضح دين الله للناس من حلال وحرام، ودعا إلى الله على بصيرة، وأقام الحجة على المعاندين.

وأضيف إلى ما كتبت هنا عبارة قالها الشيخ سعيد بن ناصر الكندي وهو عالم مشهور في زمان الشيخ أبي نبهان بل هو من شيوخه في رده له حين سأل عن كلام الشيخ أبي محمد في تعارض أقوال المجتهدين في المسألة الواحدة، حيث قال: إن الحق في واحد والباقي خطأ عند الله فلم يصوب الشيخ الكندي الشيخ أبا محمد في ذلك، ثم على اثر جوابه قال: (وفي حسابي انه لا يغيب عليك أمثال هذا)،

١- المصدر نفسه ص ١٤٨

٢- الذاريات، الآيات من ١٧ - ١٩

٣- الخليلي، عبدالله بن علي، رسالة الحقيقة ص ١٥ وما بعدها

٤- آية ١٤٩ سورة الأنعام

٥- لعله جزى به

٦- السعدي، جميل بن خميس، قاموس الشريعة، ٢١١/١٩ نشر وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٨٨

ثم قال: (وانظر ما كتبت لك ولا تقبل منه إلا ما وافق الحق)<sup>(١)</sup>.

وقد عجز علماء عصره عن مجاراة في الاجتهاد، وفي سؤال وجه لابنه الشيخ ناصر بن أبي نبهان حول الاجتهاد قال السائل: (وقد اتفق العلماء في بعض الأمصار على تحريم القهوة ثم أتى من بعدهم والدك- قدس الله سره ونور فكره- ورأى أن تحليلها هو الأعدل، وأظهر الحجج على ما رأى، حتى ظهر نوره في عقول ذوي العقول من الوري أنه هو الرأي الأكمل)<sup>(٢)</sup>.

وفي جواب الشيخ ناصر لمن سألته فتعرض لذكر والده في الجواب ثم قال: (ولا يشك أحد في علو درجته في الفهم، وفضيلة منصبه في العلم). وقال في مواضع أخر: (وحيث لم يرد الله الملك الخلاق، أن يكونوا على هذا الاتفاق، كشفه الله على من ألهمه بجنانه، فأجراه على لسانه، فاستعمله في بلدانه، ولم أنفرد فيه بنفسي بل أعانني عليه بتصحيحه والدي أبو نبهان، لمن اتخذته عوناً عليهم من الإخوان)<sup>(٣)</sup>.

هذا كلام هؤلاء العلماء الجهابذة في علو مقام الشيخ أبي نبهان ورسوخ قدمه في العلم، ولا شك أنه كان في زمان وبعد وفاته صار مشهور المكانة بين الخاص والعلم، فإذا كان هذا موقف الخاص منه، فكيف بمواقف العامة؟ ولله في خلقه شؤون يختص برحمته من يشاء، كما يجعل الحكمة في قلب من يشاء. ولا أدل على ذلك من كلام الشيخ أبي نبهان نفسه في مراسلاته وجواباته فقد جاء فيها ما يغني طالب العلم عن البحث عن شهادات المشهود وأقوال العلماء فيه، وسأنقل لك نصين ليتبين موقفه من الدفاع عن الإسلام وازهار معاله.

النص الأول من رسالة له: (بسم الله الرحمن الرحيم. يا من وصلني كتابه فلم أدر من هو جزاء الله خيراً، هذا عني جوابه، إن عمان لا يخفى على من بها ما قد ظهر على القلب من أهلها فشهد من الفساد والطفیان، وهذه نازلة أخرى زيادة على ما هم به من البغي والعدوان، وكأنها من أختها أكبر وأقبح وأضر لأنها داعية في دين الله إلى اطفاء نوره وأخماده، وازهار ما لا شك في فساده لعدم صوابه بدليل ما قد أنزل الله به على رسوله في كتابه، وخوفي أن تعم البلدان، فتتمحو خير الأديان أو تبقى به في كتمان، ألا فاتقوا الله بأداء ما أمره والانتها عما عنه زجر، ولا تركنوا إلى من دعاكم إلى متالف الردي، تاركين لما كان عليه أئمة الهدى، فإنهم أقرأ منكم للتنزيل وأعلم بالتأويل، وأدل بالطريقة المثلى إلى منازل العلى، وقد ضربوا في منارها الصوى، فبصروا من العمى، وأمروا بالقوى، ونهوا عن متابعة الهوى، وأوضحوا لكم في دين الله ما لا مزيد عليه من الهدى، ودلوكم على المحجة البيضاء التي كان عليها سيد الأنبياء ففرغوكم ما تاتونه فرضاً ونقلاً وما تذكرونه نية وقولاً وفعللاً، وبينوا لكم من زاع عنها من أهل الجهالة فجادلوا أهل الزيف بالتي هي أحسن لما بها من دلالة على صحة ما هم به وعليه وفساد ما عداه حتى ظهر الحق وبطل ما خالفه من دعوى العمامة) الخ<sup>(٤)</sup>.

النص الثاني: جواب لمن سألته عن رجل يدعى عمير بن محمد الغلابي ولا أدري أعماني هو أم لا؟

١- السعدي، نفس المصدر السابق ص ٩٨-٩٩، جوابات

٢- السعدي، المصدر السابق: ٢٦٢/٢

٣- نفس المصدر ص ٢٦٥

٤- أبو نبهان جاعد، سيرة أبي نبهان، مكتبة المخطوطات بوزارة التراث القومي والثقافة ص ١.

حيث ادعى النبوة وصار يدعو الناس إلى تصديقه، ومما جاء في جواب الشيخ أبي نهبان: (فإن كان ما قد ظهر على لسانه من دعوى نزول جبرائيل بالوحي على جنانته أو يكلمه به، فينبغي لكم من طريق الواجب في تصديقه والعمل به أن تنظروا فيه نظر من أجهد نفسه في جواز تحقيقه قبل سلوك طريقه، فإنني لا أدري لما ادعاه في الحق وجهاً يجيز لبعده من الصدق وإن صح أن له قريباً من الجنة يأمره أن يصدق به في الناس فيظهره، فليس هو إلا من خدع شيطانه فأضله، وأعمى قلبه عن طريق رشدته فأزله، ألم يبلغ إليه قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾<sup>(١)</sup> أو ليس فيه ما دل أنه لا نبي بعده، بلى ومن أصدق من الله قيلاً. كلا وأنه أصدق القائلين. إلى أن قال: فاحذروا أمثالها وإياكم وتصديق من قالها، فإنها للسالك أن أصيب المسالك لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>. ألا فاتقوا الله وذروا ما لا وسع فيه من تقوله وغروره لما به من الإفك المودى بأمله إلى التفاق أو ما فوقه من الشرك، ومن الواجب على من قدر أن يقابله بنكيره، لأن الوحي قد ارتفع لموته - صلى الله عليه وسلم - فانقطع عن الأرض إلا ما يكون من الإلهام أو رؤيا في منام) الخ<sup>(٣)</sup>. وقد أفاض الشيخ في الاستدلال على كذبه، وهناك رسالة أخرى في هذا المجال ومقطع من رسالة

ثالثة في الموضوع.

ومن هنا يتبين أن الشيخ كانت ترسل إليه عويصات المسائل ويطلب منه حل لمختلف المشكلات، لأنه عالم زمانه بل مرجع العلماء في عصره كما سبق وإن بينت ذلك في هذا المبحث ولا أحب الإطالة في الموضوع، وإذا كان الأمر كذلك، فلا شك أن للشيخ أثارا في هذا الميدان سواء المحمول في الصدور أو المنقول في سطور.

### المبحث السادس: آثاره العلمية:

أولاً: من حمل عنه العلم، ولا شك أنهم تلاميذه الذين لازموا في الدرس والتحصيل، إذ لا بد للعالم من أن يؤثر في مجتمعه وخاصة فيمن حوله ويتأثر بهم فكيف بمن خالطهم وخالطوه، فالعالم كعبة لطالبي العلم أينما يكون فهو كالغيث أينما وقع نفع، وطلاب العلم لدى العلماء هم الكفيلون بنقل موروثاته الفكرية إلى الناس، وهل نقل سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - بأقسامها إلا أصحابه وهكذا. والشيخ أبو نهبان كان من جملة العلماء الذين بذلوا العلم لطالبيه، فكان مسجده الموجود ببلدة العليا هو مدرسته التي يتزاحم فيها الطلاب بالركب، وهذا المسجد ما زال موجوداً ببلدة العليا على سفح الجبل، فنهل الطلاب من علمه الغزير وقصده السائلون والعلماء في ذلك المكان النير، وكما قيل: بجيرانها تغلى الديار وترخص. أو كما قيل:

مررت على الديار ديار سلمى وما حب الديار شغفن قلبي  
أقبل ذا الجدار وذا الجدارا ولكن حب من سكن الديارا

١- الأحزاب آية ٤٠

٢- الأنعام آية ٩٣

٣- أبو نهبان جاعد، سيرة أبي نهبان ص ٨

وأول من حمل عنه العلم أولاده الكرام، وأول من نبغ منهم في العلم وتأثر بالأسلوب الشيخ ناصر بن أبي نبهان فهو أغزرهم علماً وأعظمهم فهماً فيما بلغنا، وله مؤلفات عدة وعاش أكثر عمره في العليا ثم انتقل إلى نزوى ثم غادرها إلى زنجبار وتوفي بها عام ١٢٦٣هـ<sup>(١)</sup>. والشيخ خميس بن أبي نبهان وقد دفن بجوار أبيه في بلدة العليا<sup>(٢)</sup>، والشيخ نبهان بن أبي نبهان كني به والده ولعله أكبر أولاده وتوفي - رحمه الله - في بلدة العليا على رواية أحفاده عام ١٢٣٦هـ أي قبل وفاة والده بسنة<sup>(٣)</sup> وكذلك بقية اخوتهم، فاتصفوا بالعلم والورع والمعرفة والخصال الحميدة.

وأما من كان من غير أولاده فكثير ومنهم:

الشيخ منصور بن ناصر بن خميس وهو ابن أخ الشيخ جاعد وقد شرح لامية ابن النضر<sup>(٤)</sup> والشيخ سعيد بن محمد بن راشد الخروصي المعروف بالغشري \* صاحب الديوان، وهو ممن رثى والد الشيخ جاعد وتوجد له في ذلك عدة قصائد ضمن الديوان.

وأبو محمد عبدالله بن محمد بن ناصر الخروصي من أهل العوابي الذي قال فيه الشيخ أبو نبهان: (لو اجتمع عليه العلماء إماماً لكانت أول من يبايعه لكمال شروط الإمامة فيه، والشيخ حسن بن درويش بن سعيد الخروصي من العوابي أيضاً وولده سعيد بن حسن، وقد كان شاعراً نابغاً وفقهياً بارعاً والشيخ راشد بن سعيد بن أبي نبهان وهو ولد ولد الشيخ وكانت له معرفة بالأدب وغير هؤلاء كثير.

### ثانياً: مؤلفاته الفقهية:

ترك لنا الشيخ أبو نبهان عدة مؤلفات، كان أكثرها في الفقه بجانب ما له من مؤلفات في السلوك وعلوم اللغة العربية وأشعار وأوقاف وغير ذلك مما ذكر عنه ولم نثر عليه ولكن ما يهمنها هو المؤلفات الفقهية وبها تظهر مكانة الشيخ في هذا الميدان، وإليك بيانها:

١- الدقاق لأعناق أهل النفاق: وهو في السياسة الشرعية وأحكام أموال الجبايرة والتعاون معهم، وتوجد منه عدة نسخ بمكتبة وزارة التراث القومي والثقافة واخترت واحدة منها تحت رقم ٢٢١٢ عام و ١١٠ ب خاص وتحتوي على مائتي صفحة من خط الناسخ سالم بن شامس بن سنان المنذري، وتوجد منه نسخ أخرى بمكتبة المخطوطات تحت أرقام أخرى.

- ١- أنظر بحث المؤلف: الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي وفكره ضمن قراءات في فكر الخليلي نشر المنتدى الأدبي
- ٢- أراد المسلمون في زمان الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي أن ينصبوا الشيخ خميس إماماً لهم بالرساق لعلمه وأهليته فأبى، أنظر السالمي، تحفة الأعيان: ٢/٢١٩
- ٣- ونكر نور الدين في التحفة أنه قتل بنزوى في نفس العام، أنظر ج٢/ ٢٦٩ وما بعدها
- ٤- من لسان أحفاده.

(\*) يبدو لي أن الشيخ الغشري ليس من تلاميذ الشيخ أبي نبهان حيث إن الغشري من مواليد العقد الثاني من القرن ١٢هـ، ببديل إنه: ١١٣٧ قد رثى أمه. ١١٣٧ أرخ لبناء مسجد الشداوبة. ١١٤٤ أرخ لبناء منزله. ١١٤٦ أرخ لهطول الأمطار والسيول التي أفسدت الزرع.

وهذه التواريخ كلها قبل مولد الشيخ جاعد (ت ١١٤٧) ولا يمكن أن يتمكن من الشعر إلا إذا بلغ ١٨ وزيادة ولهذا من الممكن أن يكون من مواليد عام ١١١٩ أو قبلها وبالتالي يكون عمره حينما ولد أبو جاعد نحو ٣٠ سنة، وحين بلغ جاعد ٢٠ سنة يكون عمر الغشري خمسين سنة وإن المجالسة التي تمت بين الغشري وأبي نبهان لا يمكن أن تتم إلا حينما يبلغ الأخير ٣٠ سنة على أقل احتمال، وفي هذه الحالة يكون الشيخ الغشري تجاوز ٦٠ سنة فكيف يكون من تلاميذه واعتقد العكس إن أبا نبهان كان تلميذاً للغشري. (الحق).

٢ - أحكام المساجد والمدارس وما أشبهها وقد ذكر انه جزء من كتاب المستطاب، وهو الثاني وتوجد منه عدة نسخ بوزارة التراث القومي والثقافة وقد اخترت نسخة تحت رقم ١٢٠٤ عام ١١١١ ب خاص وتحتوي على ٣٣١ ورقة.

٣- ايضاح البيان فيما يحل ويحرم من الحيوان، وتوجد منه عدة نسخ في وزارة التراث القومي والثقافة وقد سجلت منها نسخة تحت رقم ١٠٩٧ عام ١٠٨٠ ب خاص ويحتوي على مائة وتسع وثلاثين ورقة بخط الناسخ مسيعيد بن سويعد بن مسعود السعدي.

٤ - الصيام وهو مجموعة مسائل وتوجد نسخة منه بمكتبة وزارة التراث القومي والثقافة بعنوان (مسائل في الصيام) للشيخ الفقيه العالم العلامة أبي نيهان جاعد بن خميس الخروصي بدون ذكر الناسخ وليس فيه ترقيم.

٥ - جوابات أبي نيهان وهو في سبعة أجزاء وتوجد بوزارة التراث القومي والثقافة وقد صنفت كالتالي:  
أ- الطهارات والوضوء تحت رقم ١١٩١ عام، ١٠٢ ب خاص وتوجد منه نسخ أخرى تحت أرقام أخرى وعدد أوراق هذا المجلد ٢٢٥ ورقة بخط الناسخ سالم بن سعيد بن محمد الغيثي وتوجد منه نسخ متعددة بمكتبة الوزارة.

ب- الاعتكاف والذنور والكفارات وما أشبهها تحت رقم ١١٩٥ عام ١٠٦ ب خاص وعدد أوراق هذا الجزء ٢٤١ ورقة بدون ذكر الناسخ وتوجد منه نسخ أخرى مرقمة أيضا.

ج- الميراث تحت رقم ١١٩٦ عام، ١٠٧ ب خاص وعدد أوراقه ٢١٢ ورقة ولا يوجد فيه ذكر للناسخ.

د- النكاح والزمن والمضاربة وغيرها تحت رقم ١١٩٤ عام، ١٠٦ ب خاص وعدد أوراقه ١١٠ ورقات وهذا الجزء ناقص من نهايته، ولذلك لم نعرف الناسخ.

هـ - الطلاق وأحكامه تحت رقم ١١٩٣ عام، ١٠٤ ب خاص وعدد أوراقه ٢٠٨ ورقات ولم نعرف الناسخ.

و- الأحكام وهو تحت رقم ١١٩٠ عام، ١٠١ ب خاص وعدد أوراقه ٢٣٤ ورقة بخط الناسخ سالم بن سعيد بن أحمد الرواحي.

ز - مسائل متفرقة تحت رقم ١١٩٢ عام، ١٠٣ ب خاص وهذا الجزء ناقص من أوله وآخره ولهذا لم نعرف الناسخ.

٦ - أحكام الزكاة وسجل هذا المجلد تحت رقم ١١٩٨ عام، ١٠٩ ب خاص وعدد أوراقه ٢٠٤ ورقات بخط الناسخ محمد بن علي الغداني.

٧ - كتاب الحج وقد تم نشره مصوراً عن طريق مكتبة معالي السيد المستشار محمد بن أحمد البوسعيدي بالسبب وتداوله الناس فهو في حكم المطبوع ولكنه غير محقق.

ويظهر لي - والله أعلم - ان هذه المؤلفات موسوعة واحدة متكاملة، وتضم بين جنباتها جوابات الشيخ أبي نيهان ما عدا كتاب الحج الذي يشعر من لفظه انه ألفه بنفسه، والذي يرجع هذا الظن خلو هذه المجلدات المسماة بالجوابات من أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد، ولهذا يمكن أن تكون كتب الصيام والزكاة والحج والمساجد من جملة الجوابات التي رتبها الشيخ محمد بن خميس

السيفي من أهل نزوى، عاش في القرن الثالث عشر الهجري.

ولكن الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي وهو من أحفاد الشيخ جاعد يقول في مذكرة كتبها عنه ان له موسوعة خاصة في فقه العبادات في خمسة أجزاء من الطهارة إلى الحج ولعله يشير إلى هذه المجلدات التي أشرت إليها فتكون جواباته في العبادات داخلة ضمن أجزاء العبادات المشار إليها ولكن لا بد أن يخرج منها جزء الطهارات، ويحل محله جزء المساجد لأن الظاهر فيه انه سؤال وجواب مخلوط مع غيره من أجوبة المشايخ المعاصرين للشيخ أو قبله كبقية الجوابات... والله أعلم بذلك.

٨ - كتاب المغانم في الخلاص من المظالم ولم أعثر عليه إلا اني وجدته قد ذكره الشيخ مهنا في مذكرته ولعله كتاب الدقاق المشار إليه أنفاً نفسه.

٩ - القضايا في حل عويص الوصايا ولم أعثر عليه بل ذكره الشيخ المذكور ولعله داخل فيما رمزت إليه في (٥:ب) فإنه يحتوي على الوصايا أيضاً.

١٠ - المسائل المنثورة في أحكام الفقه أيضاً ذكرها الشيخ المذكور أيضاً ولعلها داخلة فيما سبق.

١١ - العدد وأحكامها ذكرها الشيخ المذكور ولم أعثر عليها ولعلها داخلة فيما سبق والله أعلم بها، وهذه الأربعة ذكرها الشيخ مهنا ولم يزدها فإله أعلم بها.

١٢ - مناسك الحج وهي رسالة صغيرة غير الكتاب السابق وقد نشرتها وزارة التراث القومي والثقافة ضمن سلسلة تراثنا.

وهناك مؤلفات أخرى غير فقهية كما يلي:

١ - المستطاب الجزء الأول في أحكام الولاية والبراءة وقراءة القرآن والتعبد وغير ذلك ويوجد بمكتبة وزارة التراث القومي والثقافة تحت رقم ١٢٠٣ عام، ١١١ ب خاص ويحتوي على ٢٣٢ ورقة ولم يذكر نسخه، أما الجزء الثاني منه فهو الذي في أحكام المساجد هكذا في فهرس مكتبة الوزارة ولكن ليس في الكتاب نفسه ما يدل على ذلك.

٢ - موسوعة أصول الدين في الخلاف والرد على المخالفين، هكذا ذكر الشيخ مهنا ولكني أميل إلى أن هذه الموسوعة هي الجزء المعنون له بمقاليذ التنزيل لادراك حقائق التأويل لأنه لا يحتوي إلا على تفسير سورة الفاتحة في اثنتي عشرة صفحة من صفحات الكتاب أما الباقي فهو في هذا الموضوع نفسه، وهو جزء كبير في ٥٨٩ صفحة من القطع الكبير.

٣ - مقاليذ التنزيل في تفسير سورة الفاتحة وقد ذكر الشيخ انه كان عازماً على تفسير القرآن الكريم كله ولكنه توقف ولم يذكر الناسخ السبب بل استمر في ذكر مسائل في أصول الدين ويوجد بمكتبة وزارة التراث القومي والثقافة ضمن المصنوعات من غير ترقيم وهو المشار إليه أعلاه.

٤ - شرح قصيدة حياة المهج في معرفة الله وثوابه للمؤمنين وتبيين فيها مكانة الشيخ في هذا الجانب فعلمه ليس منشوراً فحسب بل هو معلق برب العزة صاحب الملك والملكوت والعز والجبروت وقد رقم تحت ٢٤٢٨ عام بمكتبة المخطوطات من وزارة التراث القومي والثقافة وله عدة نسخ من عدة ناسخين أما التي بين أيدينا فناسخها سعيد بن سليمان بن محمد السعدي وأول هذه القصيدة قوله:

تبين أخى في الله قولى فإننى على النصح في ذات الله مع العتبى  
أما الشرح فقد بين أيضاً مكانة الشيخ في العربية وأنه عالم بليغ فيها بلا جدال فكلامه فيه خير  
دليل ومثال.

٥ - شرح كتاب الجاهلات للشيخ أبى عمار عبدالكافى الوارجلانى الجزائرى فى أصول الدين ولم  
أعثر عليه ولكنى وجدت ذكره فى مذكرة الشيخ مهنا ولعله موجود عنده.  
٦ - له عدة سير ومكاتبات ونصائح إلى ملوك زمانه وإلى العلماء والأمراء تشتمل على كثير من  
الارشاد والتوجيه والنصائح الدينية والدنيوية فى السياسة الشرعية الموصلة إلى إعزاز  
الاسلام وطلب العلم والمحافظة عليه والاستقامة فى الدين أو رسالة تسمى حرز الشجرة كلها  
دعاء فقط وانما ذكرت بعض المؤلفات أو الآثار من باب الاستطراء، والا فإنما يهمنى فى دور  
البحث المختصر انتاجه الفقهى لمعرفة جهود الشيخ فى ذلك، ولعل هذا الاستطراء يفيد  
الباحثين فى شىء.

ويذكر الشيخ مهنا أن الشيخ أبى نبهان ألف فى علم السلوك والتصوف وعلم أخلاق النفس  
والصناعة الكيميائية بطرق التكليس والتقطير، وله فى ذلك عدة رسائل كثيرة ألف فى الفلك  
والاجرام السماوية، وأسرار الحروف والآيات القرآنية وأنواع رياضاتها وما يتصل بها، ولم نعثر  
على شىء من ذلك ولكنه غير مستبعد فهو مشهور بذلك، ومما يدل عليه أن تلميذه الشيخ الغشبرى  
قد نظم قصيدة فى علم الفصول السنوية والكواكب التى تتعاقب عليها وغير ذلك وهى موجودة  
بديوانه المطبوع، كما إن الشيخ ناصر كانت له يد طولى فى علم الأسرار وألف فيها عدة رسائل،  
ولا شك أنه أخذ هذا العلم عن والده (رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة).

وبجانب ما ذكرنا فإن فقه الشيخ جاعد قد انصهر فى مؤلفات من جاءوا بعده فقد أخذوا كثيراً  
عنه، ومنهم العلامة جميل بن خميس السعدى فى القاموس، والعلامة موسى بن عيسى البشبرى  
فى الخزائن ومكتون الخزائن، والعلامة السيد مهنا بن خلفان البوسعيدى، والعلامة سعيد بن  
خلفان الخليلى فى التمهيد، والعلامة نور الدين السالى فى المعارج وغيرهم كثير.

## المبحث السابع

### موقفه من العلم والفتوى

وإذا كان الشيخ أبو نبهان قد بلغ هذه المرتبة من العلم، فينبغى للباحث أن يذكر مكانة العلم عنده  
وموقفه من الفتوى والتقليد لأبراز أهمية هذا الجانب فى فكر العلامة أبى نبهان ويتضح ذلك فيما يلى:

### أولاً: مكانة العلم:

أ - يرى الشيخ أن كنز الكنوز هو العلم النافع الذى يستضيء صاحبه بنور الله المستمد من معرفته  
- تعالى- فالعلماء العاملون هم القدوة ولا يؤخذ علم الدين إلا من الثقات، وأما غير الثقات فلا يحسن  
أن يؤخذ منهم علم الشريعة وأصولها، اللهم إلا ما تقوم به الحجة من أى معبر وخاصة ما لا يسع جهله

ويرى الشيخ أن يتعلم الإنسان جميع فنون العلم، فيأخذ المتعلم من كل شيء بما تسنح له الفرصة لينبذ الجهل عن نفسه، فالعلم كله شرف ونور، وفنونه كثيرة لا تحصى ولكن حسب الاستطاعة. ويحث الشيخ على طلب العلم لله تعالى دون غيره، لا للمراء والسمة، ويقول في هذا الصدد: (إلا فتعلموا العلم لله تعالى، وكونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار، وإياكم والرياء والمجادلة والمناضلة والمراءات في الدين فإنها من آفات العلماء وعلامات العلماء السوء، الذين ليس لهم في الآخرة من المغفرة والثواب من عند الله حظ ولا نصيب، وفي الرواية عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: «من تعلم العلم ليرائي به الناس فهو في النار»، وقال عليه السلام: «دع المراءات وإن كنت محققاً، فإن من ترك المراءات بنى الله قصراً في الجنة»، وفي الأثر الصحيح عن أهل العلم: (إن من التواضع ترك الجدل ولو كنت محققاً)<sup>(٢)</sup>.

ب - ويرى الشيخ أن نور العلم يشع في القلب، ولكن بعد استعمال الأسباب المؤدية لذلك، كي يستطيع التمييز بين الصحيح والسقيم، والحق من الباطل في فنون العلم وبشتى الأعمال، فاسمع ما يقول في ذلك: (ومهما شئت ذلك فاعلم أن مبدأ الطريق في تحصيل ذلك إنما هو بطريق الرياضة، في إقامة الظواهر وتصفية السرائر علماً وعملاً أن ساعد القضاء على ما يحب الله ويرضى، وبعد صفاء الأحوال، ونصب فخ علم المادة والأعمال، في مقامات الاخلاص والأنس والرضى والمحبة والذكر وملازمة الفكر، ربما يقع الاقتناص للحقائق في القلب بواسطة الكشف لأمر خفي، يتجاوز به الملك إلى الملكوت، فيحترق في سيره الحجب، ويصل بمن الله المطلب، وتحصل البغية بعد الرؤية لذلك بعين اليقين للعيان، لاستنارة القلب بنور الايمان، ونور السنة ونور العزائم من هنالك ينبع من بينهما... أمور عجيبة وأقوال غريبة، يحار فيها الباب أولى الأبصار، وأرباب المادة والاستبصار، لأن فوق كل ذي علم عليم، فنفانس في مثل هذا يا أخي، وابدل فيه مجهودك.. وانظر في كل حادثة محتملة للنظر، أو واقعة اختلف فيها أهل العلم والبصر، إن كان لك قلب تقدر به على تجريد الصفو من الكدر، وإلا فبمن تقدر به عليه، فإن لم يكن فعلى ما تقدر عليه، وخذ من ذلك بأحسنه لله تعالى مخلصاً له الدين، تكن من المحسنين، وتدخل في غمار الدالخين حتى المدحة التي اقتضتها الآية: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٣)</sup> وما التبس عليك من شيء فكنك فيه على ظلمة الاشكال عن رؤية الصواب فاقبّس من أنوار علماء الآخرة نوراً تستضيء به في ذلك، وإياك والاستشارة في ذلك لعالم أسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبة الله أولئك قطاع الطريق على عباد الله اليريدين)<sup>(٤)</sup>.

هذا نص كلامه وهو دليل واضح على موقفه من العلم وطلبه والعلماء وتقسيهم ولا يحتاج الأمر إلى زيادة بيان، وتوجد نصوص أخرى في صفات علماء الدنيا والتحذير منهم فراجع<sup>(٥)</sup>.

ج - كما أن الشيخ يوجب على العلماء اظهار علمهم عند ظهور البدع وتحريف قواعد الدين ذباً عن

١- السعدي، قاموس: ٥٣/١.

٢- نفس المصدر: ٩/١.

٣- الآية ١٨ سورة الزمر.

٤- أبو نيهان جاعد، جوابات: ٤٣١ - ٤٣٢ وانظر ص ٤٥١ - ٤٥٢.

٥- جع هذا النص بكامله في المرجع السابق: ٤٢١ - ٤٢٢، وانظر ص ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٩.

الدين وتأدية لواجب الدفاع عن الاسلام والمسلمين حيث يقول: (وانه لحق على كل ذي علم بالحق مع الطاقة له على اظهاره اذا ظهرت البدع والضلالات والشنع، ان ينشر علمه لتنجلي الظلمة وتتكشف الغمة، فتكون كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا، وان لم يفعل ذلك فيدفع ويرفع فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمع، ولا يقبل منه صرف ولا عدل، إلا أن يكون على تقية في الأصل، أو وجه يوجب له في الحق عذراً يوماً ما، لأن عليه حال وجود القدرة له مع الإقامة على سبيل الاستقامة الذب عن الدين عن تأويل الجاهلين وتحريف الغالين وانتحال المبطلين، في أحكام دين المسلمين، وكلاية الشريعة عن تشويش المبتدعة، مع خوف التزلزل بالبدعة وأنواع الضلالة لاقدام العامة، الذين كلت أبصارهم عن رؤية الحق في ذلك ولم يكن لهم قدم راسخ في قواعد الاسلام، ولا أصل ثابت في معرفة الأديان والأحكام)<sup>(١)</sup>.

وقد قام الشيخ في هذا الجانب بواجبه الشرعي، فاجتهد وأصاب، وذنب عن الدين وأمات البدع وجاء بالحق ولم يخش عدل العاذلين ولا لوم اللاتمين فلا يترك الفرصة حين يراها عن تقديم المشورة والنصيحة والحث على طلب العلم والبعد عن الجهل والتقليد، وتحذير الناس من البدع، رحمه الله ورضي عنه، ولا يتعفف عن سؤال أي أحد عن العلم<sup>(٢)</sup>.

وقد أخذ الشيخ من فنون العلم ما شاء الله من المنطق<sup>(٣)</sup>، والحساب واللغة العربية نحواً وصرفاً وبلاغة وشعراً إذ هو شاعر بليغ وناطق أديب<sup>(٤)</sup> وعلوم الشريعة تفسيراً وحديثاً وفقهاً وحاز في علم السلوك مرتبة كبرى، إذ يكاد الوحيد بين من كان قبله ومن جاء بعده<sup>(٥)</sup>.

### ثانياً: موقفه من الفتوى:

أ- لا يجب الشيخ أن يتصدر للفتوى إلا من بلغ رتبة الاجتهاد، ولم يعجب برأيه ولا يأنف من قبول الحق ممن جاء به، ولا نصب الرأي ديناً والعكس، فقال في معرض رده على بعض من ضيق على الناس الجائر بجهل منه ما نصه، (وانما العيب على من خالف الأصول وصدف عن ملة الرسول، أو نصب الرأي ديناً أو تكلم مينا، وتكلف القول في العلم جهالة، وعاش في الناس على ضلالة، وعاب على الناس سلوك سبيل الجائر، وضيق في الرأي عليهم الواسع، وحملهم على رأيه في الرأي، أو رأي من رأى رأيه من الرأي، في غير موضع الأحكام وفصل القضاء بين الأنام، ولقد قيل في الصحيح: (ليس العالم من حمل الناس على ورعه، إنما العالم من افتاهم بما يسعهم من الحق)، ولقد قال الشيخ أبو سعيد (رحمه الله) في حق السائل على المسؤول عن المسألة التي لها وجهان: ان يخيّر بين الوجهين جميعاً في التعارف والحكم، لينخل عليه الفرع من وجهه، والضيق من وجهه ليطلب الآخر لنفسه السلامة انتهى، وكذلك كان الشيخ محمد بن محبوب - رحمه الله - إذا سئل عن شيء، فيضيق فيه ليأمر السائل له أن يسأل القاضي لعله أن يرى غير ما رأى فيوسع ما ضيق في ذلك، فيدخل الفرع على الناس، ويطلب كل

١- أبو نيهان جاعد، جوابات: ٤٣٠.

٢- كان يسأل حتى غير الأباضية: أبو نيهان جاعد، جوابات: ٤٢٢.

٣- المصدر نفسه: ٤٨، ٤٨٨.

٤- له قصائد عديدة أنظر حياة المهج وشرحها.

٥- أنظر شرح حياة المهج.

مريد منهم باب المخرج إلى السلامة لنفسه، وهذا لمن أوضع دليل في أوصافه على تجرده من العجب برأيه لانصافه في ذلك من نفسه، وانصافه دال على صفاء بآله وحسن أحواله، وكذلك لكل من أراد الله تعالى والدار الآخرة بعلمه، ينبغي في هذا له أن يكون، لكنه قد أخذ الأكثر من الناس في الانعكاس في هذا والانعكاس على أم الرأي، ألا ترى أنك تلقى الواحد من المتسمين بالعلم فتجده المعجب برأيه يقول: أنا انا وليس هو من ذلك في شيء، والمعجب لا يكاد ينجع فيه العلاج فيبيرأ، لعظيم الداء وعزة الدواء، إلا أن يتداركه الله في أمره بلطف خفي<sup>(١)</sup>.

ب- والشيخ ليس ممن يعجب برأيه، بل يظهر القول بالضيق والقول بالسعة ويفصل في الجواب في كثير من الأحيان إلى حد الاسهاب، ولكن ذلك الاسهاب فيه مزيد علم وبحث وتمحيص واستدلال، وليس ثثرة كلام، وذلك عند الحاجة إليه وانظر ما قاله في هذا الموضوع: (وقد آل بنا الشرح إلى الاسهاب في القول على هذه المسألة حرصاً منا على هذا المبتلى من ظلم ظلمه وفكه من أسر ما دخل فيه على جهله بجعله، عسى أن يكون لنا في إعانتة على ما رامه من هدايته موضع قربه، فإن للضعيف بجوابه في قربه من ربه شدة اربه، وقد أبدى له في قوله ما لا يكاد يخفي في هذا عليه أمره معه، تارة بالضيق وأخرى بالسعة، ومراده بذلك أن يكون فيهما ناظرًا لنفسه).

وقال: فانظر في هذا كله من جوابي فإن فيه زيادة، أهديناها على وجه التطوع إليك سؤالاً وجواباً، وقوله: وإنما زدناه من عندنا، وذكرنا رضى البالغ وإن لم نذكره لتمام الفائدة فإن البلية بمثل هذا غير قليلة في أهل زمانك، وقوله: فانظر كيف فرقنا سؤالك في اصلاحه ليكون مع كل شيء جوابه، فجعلناه مثلاً مع كل شيء جوابه، فجعلناه مثلاً لعسى أن اتخذته فيما بعد سؤالاً زدنا فيه ما لم تسأل عنه كذلك<sup>(٢)</sup>، بل يامر السائل أن ينظر في الجواب بعين البصيرة، ويشاور فيه أهل البصر ولا يأخذ منه إلا ما وافق الحق والصواب، وإن يرد أن ظهر أنه باطل فلا يجوز القول بغير الحق، مثل قوله: فانظر في ذلك ولا تأخذ به ولا بشيء منه إلا ما وافق الحق<sup>(٣)</sup>، فانظر في هذا كله ثم لا تعمل إلا بصوابه، فإن غير الحق لا يجوز قطعاً<sup>(٤)</sup>، وقوله: (فاقبل ما وافق الحق ودع ما سواه)<sup>(٥)</sup> (فانظر في هذا كله ولا تقبل منه إلا العدل)<sup>(٦)</sup> (فخذ ما وافق الحق ودع ما سواه \* )<sup>(٧)</sup>.

وغير هذا الكثير وإنما أتينا ببعض الأمثلة لنعرف طريقة الشيخ في اتهام نفسه دائماً في اصابة الحق، وهذه طريقة علماء الآخرة الذين لا يلزمون الناس بقولهم ويدعون الحق في مقالهم، بل يتروكون للناس الخيار، ومن أراد الأحوط نظر لنفسه الأخذ بالأشد خروجاً من الخلاف<sup>(٨)</sup>.

١- جوابات أبي نيهان جاعد، ٤٢٩ - ٤٣٠ وانظر ص ١٨٠

٢- نفس المصدر: ١١٥، ٧١٧

٣- نفس المصدر: ١٩٠، ١٩٢، ٢٧١، ٣٩٧، ٤٢٢، ٤١٦، ٢٧٣، ٥٣٩، ٥٦٧، ٥٧٦

٤- نفس المصدر: ١٨٠

٥- نفس المصدر: ١٨٧

٦- نفس المصدر: ١٨٢

٧- نفس المصدر: ١٩٢

\* ورفع عنه الشيخ ناصر بن أبي نيهان قوله: (تعرف قوة العالم في علمه بكثرة الشروط في الجواب فإنه يدل على أن ينظر وجوهاً لا تدخل في تلك اللفظ) هـ قاموس الشريعة: ٩٤/١

جـ - وعندما تحين الفرصة لتذكير السائل بالله وبالأخرة، لأجل الخروج من مأزق الضلال والأوبة إلى المولى - ذي الجلال - يفتنهما الشيخ أبو نيهان، فيطيل في موعظة السائل إلى درجة كبيرة، فلا تكاد إلا كأنك تقرأ خطبة بليغة لصلاة العيد أو يوم عرفة، وقد تكرر ذلك في كثير من جواباته وخاصة في مسائل التوبة من المظالم لأجل التنفير من ذلك المأزق، والرجوع إلى المولى - عز وجل - عن التعامل مع الجبابة في الأموال<sup>(١)</sup>.

د - كان الشيخ يكتب اجاباته بيده برغم كثرة أشغاله ومطالعته، ولا يرد السائل ولو كان به أشد الأحوال، وقد وقفت على قصة وفاة ولده، يذكر ذلك في جوابه للسائل ولكن خوف القطيعة والهجران للسائل أجابه رغم تلك الحال التي فيها، وهو يذكر أن الحزن قطع كبده والألم على فراق ولده يكاد ينفطر به قلبه، ولكنه يسلي نفسه باليقين بالله وإن كل انسان يصير إلى ذلك المصير وينقلب إلى ذلك المنقلب، ولكن رغم ذلك يكتب تلك الأجوبة الطوال بخط يده، مما يدل على قوة جلده وسعة صدره، وكثرة تحمله في سبيل العلم، برغم صغر السؤال، ولكن الجواب عليه صفحات عديدة، يكاد يملأ القارئ وهو يكتبها بيده، فله دره من عالم فرغ نفسه للعلم<sup>(٢)</sup>.

هـ - ترد لهذا الشيخ أسئلة من الأفاق، بجانب كونه مفتياً عاماً لعمان مما يدل على شهرته وذبوع صيته، فقد وقفت على جواب منه لأحد المغاربة ولكن لم يوضح اسمه ولا أدري أهو من ليبيا أم من الجزائر أم من تونس، ولكن ذكر أنه من المغرب، الذي يطلق عليه اليوم (شمال افريقيا)<sup>(٣)</sup> وهذه عادة اتبعها علماءنا سواء من المشرق أم من المغرب إلى يوم الناس هذا، كما وقفت على جواب طويل منه لبعض الأمراء النجديين يسمى محمد بن مقرن النجدي عن سؤال يدعو فيه الشيخ إلى المخول في مذهب الوهابيين، ويظهر من فحوى الجواب أن السائل يذكر له أن كثيراً من العمانيين قد اعتنق هذا المذهب، فرد الشيخ على المبادئ التي ذكرها، ولم يتعرض للإطالة في الموضوع الآخر، ويوجد عنه جواب طويل رد فيه على من سألته على مذهب محمد بن عبد الوهاب حين وجه كتاباً إلى الشيخ ولم يذكر اسمه في الكتاب فرد الشيخ مفنداً مبادئ صاحب هذا المذهب وبين عوارها، وطلب منه الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله وعمل الصحابة في حروب الجمل وصفين وغيرها وإلى آثار السلف الصالح من أهل الاستقامة في الدين، وألا يكونوا كابن الأزرق وأصحابه حين استحلوا الدماء والأموال والفروج بتشريكهم أهل القبلة المقربين بالتوحيد، ثم وجه نصيحة له بالألا يسمع جهال الاباضية وعوامهم فيما يفترونه على الاباضية ولا يغروهم بالمخول في بدعتهم، ثم وجه نصيحة لأهل عمان عن مثل هذه الفتن والأهواء التي جاءت في هذه الرسالة وأمثالها<sup>(٤)</sup>.

و - الشيخ في جواباته بحث على اتباع السلف ما أمكن، وألا يحيد عنه المتعظم وخاصة غير القادر على الاجتهاد، بل بحث على اتباع جهابذة المشايخ العمانيين أمثال محمد بن محبوب وأبي سعيد الكمي

١- أبو نيهان جاعد، الجوابات: ص: ٥٩، ٧٧، ٨٤، ٩٦، ٩٨، ١٤٢، ١٤٨، ١٦٦، ١٧٧، ١٠١، ١٠٣، ١١٥، ١٢٢، ١٢٣، ١٥٨، ١٨٦، ١٨٧، ٢٧٣، ٣١٩، ٣٧٦، ٣٩٧، ٥٧٦، ٥١٠

٢- نفس المصدر: ١٩، ٢٠٣، ٢٧١، ٣٢٩، ٣٣٢، ٥٤٨، ٥٥١

٣- نفس المصدر: ص: ١٤، ١١٥، ١١٦، ٤٢٢، ٤٥٢

٤- نفس المصدر: ص ١٦٧ وما بعدها

٥- توجد هذه الرسائل في مكتبة المخطوطات بوزارة التراث القومي والثقافة تحت مسمى سيرة أبي نيهان

وأبي علي موسى بن علي وأبي المؤثر وأبي قحطان وغيرهم من كبار العلماء<sup>(١)</sup>.

ز - يتخرج الشيخ كثيراً في أمر الفتوى والاقدام إليها بغير علم في مسائل الفروج، وكأنني به يذهب مذهب الإمام أبي عبيدة في ذلك، وقد أثرت عنه مقالة عندما قيل له إن أهل عمان يقتون بالرأي فقال: (ما سلموا من الدماء والفروج، فهنا يقول الشيخ أبو نيهان عندما تكلم على مسألة زواج الصبية إن الأكثر من الأقدمين يذهبون إلى أن لها الخيار، وفصل هذه المسألة وتوسع فيها وبعد ذلك قال: (ونحب لمن استنصحننا وأحب أن ينصح نفسه أن يأخذ في جميع أمورهِ بالوثيقة ما قدر لا سيما في الفروج، وأن يتبع في ذلك بالحلال الصرف العاري من الاختلاف، وإن توسع في ذلك بغير ذلك من الجائزات ولم يخرج من صحيح آراء المسلمين لم نشرع إليه بالتخطئة تعنيفاً والقول في تقرير فصول أصول جمل هذه المسألة يتسع، وأرجو أن في هذا ما يأتي على جميع مسائلك، فلا تسألني عن شيء فإني لا أجيبك بعدها لأنني لا أحب أن أفتح هذا الباب على نفسي ما وجدت إلى ذلك سبيلاً إلا أن يشاء الله ربي وسع ربي كل شيء علماً، لأنني ضعيف العلم قليل الفهم، وفي المناظرات دقائق آفات موبقات، قل أن يسلم منها سائل أو مجيب، إذ لا يسلم منها إلا أولو الأكباب، وقليل ما هم)<sup>(٢)</sup>.

ي - التقليد بغير دليل:

لا يرى الشيخ أبو نيهان التقليد للعلماء من العلماء المجتهدين بل يشجع على الاجتهاد فليس هو ممن يقول بخلق باب الاجتهاد، وإليك أيضاً مما قاله في هذا الموضوع:

(فانظروا أخي في هذا وخذ بالحق في كل حال، وجانب كل رأي قال، وإياك والنظر إلى من قال ولكن إلى ما قال، والحذر والحذر كل الحذر من التقليد في الدين لأحد من البشر كائناً ما كان وكان ممن كان، من أهل العلم من المسلمين، ولو كان في الفضل والكمال كأبي بكر وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - أو كان في العلم كآبى عباس وجابر بن زيد - رحمهما الله - وبلغ في ضروب علم الشريعة بلاغة الشيخ أبي - سعيد رحمه الله -)<sup>(٣)</sup>.

وقال: (ولم يكن في الدين تقليد في الحق لغير نبي أو لكتاب نزل على نبي لم ينسخ)<sup>(٤)</sup>. فالشيخ لا يحب التقليد للمجتهد بل يأمره بالنظر والاجتهاد وقد حث على ذلك في أكثر من موضع<sup>(٥)</sup>.

هذا وبعدما أشرنا أشارات عابرة على حياة الشيخ ومكانته العلمية، فمن الجدير بالقول بيان المنهج الذي اتبعه الشيخ في مسائل الفقه، ومدى أخذه بأصول التشريع، لأن ذلك يعطي القارئ نبذة عن موقف الشيخ منها، ومدى التمسك بها وسأجعل ذلك في فصل مستقل كما يلي:

١- أبو نيهان جاعد، جوابات: ٥٩، ٢٧١، ٤٢٤، ٤٥١، ٥٩٨، ٦٠٠ وغيرها.

٢- نفس المصدر: ٤٢١، ٤٢٥، ٤٩١

٣- نفس المصدر: ٤٣٩

٤- نفس المصدر: ٤٣٦

٥- نفس المصدر: ١٨٠، ٢٠٦، ١٨٧، ٢٧١، ٤٢٠، ٤٢٣، ٤٢٨، ٤٢٩

## الفصل الثاني منهج الشيخ أبي نبهان الفقهي

إن هذا الفصل يشتمل على تسعة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: تعامله مع الكتاب العزيز

المبحث الثاني: تعامله مع السنة

المبحث الثالث: تعامله مع الاجماع

المبحث الرابع: موقفه من القياس

المبحث الخامس: رأيه في الاجتهاد

المبحث السادس: لُخذه بالأدلة الأخرى

المبحث السابع: لُخذه بالقواعد الفقهية

الأخذ بالرخصة عند أبي نبهان

مصطلحات فقهية في الجوابات

المبحث الثامن: اسهاماته الأدبية

المبحث التاسع: وفاته وراثؤه

### المبحث الأول: تعامله مع الكتاب العزيز:

#### أولاً: احتجاجة به:

لا يختلف موقف أبي نبهان عن موقف غيره من العلماء العاملين بكتاب الله من جهازة العلماء من حيث الاستدلال بكتاب الله العزيز، فهو شديد التمسك بما جاء فيه، ويعتبره الأصل الأول للتشريع الإسلامي فهو يقول بما معناه: إن الله عز وجل أنزل القرآن على عبده بواسطة الملك الأمين جبريل مصدقاً لما بين يديه من التوراة والانجيل مبشراً ونذيراً، ولهداية البشر إلى أمور السبل وإن الله أنزله بعلمه فأخرجه من عالم الغيب إلى عالم الشهادة ولم يصرح بأنه مخلوق أم لا ولكن ظاهر كلامه يدل على إنه كذلك، وقرر بأن القرآن كامل لا يأتي عليه النقص والخلل، ولا يعترى قارنه السامة والملل، فهو معجز بذلك ومعجز بأسلوبه وأفاظه ومعانيه وغوامض مبانيه إذ يقول: (على أنه في تأليف كلامه وعجيب نظامه لغرابه تراكيب ألفاظه العجيبة وعدم تنامي معانيه الغريبة مع شدة إيجازه اقتضى كون إعجازه من رام هضمًا أن يعارضه نظامًا، فتحدى ذلك جميع العالمين أن يأتوا بمثله أو سورة في صورة شكله وأنى لهم بذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)<sup>(١)</sup>.

وقال في موضع آخر: وكلام ذي الطول محكم القول لفظاً ومعنى، عارٍ من التناقض والتضاد (ليس فيه خلل في شيء ولا زلل)<sup>(٢)</sup>.

كما ألح الشيخ على أن الصواب ما وافق الكتاب العزيز قولاً وعملاً ونياً وقال: (واعلم انه لا يصاب

١- أبو نبهان جاعد: مقدمة سورة الفاتحة ص ١، أبو نبهان جاعد، جوابات: ٥١٠، ٥١١

٢- أبو نبهان جاعد، الجوابات: ص ٤٥، وانظر السعدي قاموس ٧٣/١

العدل في الرأي ولا في شيء بالدين على مخالفة الثابت من حكم الكتاب أو السنة أو الإجماع<sup>(١)</sup>، وإن الأخذ بالحكم واجب والإيمان بالحكم والمتشابه واجب والأخذ بالناسخ واجب أيضاً، والإيمان به وبالنسوخ واجب، وإن الكتاب ينسخ بعضه بعضاً<sup>(٢)</sup>. والقرآن عند أبي نيهان ناسخ للكتب السابقة فهو المصدق لها والمهيمن عليها وما فيه من الأحكام يجب الأخذ به. ولننسخ إلى ما قاله في هذا الموضوع: (إن قد جعله الناسخ لجميع ما تقدمه من الشرائع التي في الكتب المنزلة على الأنبياء المرسله وبه الكفاية عنها فلا يحتاج إلى شيء منها فهو المصدق لها والداعي إلى الإيمان بها)<sup>(٣)</sup>.

## ثانياً: ألفاظه وكتابه:

وكتابة القرآن عند أبي نيهان لغیر العربية لا تجوز حيث يقول: (والقرآن بغيرها لا يجوز لأن الشارع قد خصهما<sup>(٤)</sup> بالفاظ لا يجوز لأحد أن يعدل عنها إلى غيرها)<sup>(٥)</sup>.

كما يجوز عنده أن يفسر القرآن بلغات أخرى، وذلك لأن الفهم للتنزيل قدر مشترك بين الأمم، فكل قوم أدري بمعاني لغتهم حيث يقول: (ولا خلاف في الترجمة أنها مجزية<sup>(٦)</sup> في كلمة وإن كانت بلغة أخرى فهي به أخرى لأنها له أدري فيما به يؤمر أو ينهى، وجميع ما إليه بالقول ينهى، حتى فيما لا يفهمه من التنزيل، لأنها من صحيح التأويل، من متفق عليه أو مختلف فيه، بأي لغة عبر عنه المعنى الذي به فسر)<sup>(٧)</sup>.

وسئل الشيخ أبو نيهان عن اشتقاق اسم القرآن، فأجاب: (قد قيل لافتراق حروفه وآياته وسوره. وقال: وسألت رجلاً من قومنا عن اشتقاق اسم القرآن فقال: لاجتماعه واختلفه، وسمي بجمع الدم في رحم المرأة فرق<sup>(٨)</sup> لجمعه من الحيضة إلى الحيضة)<sup>(٩)</sup>.

ويرغب الشيخ أبو نيهان في تلاوته بالتجويد حيث أن التلاوة به متروكة فهو يقول: (وقراءة القرآن على ما يقرأه أهل هذا الزمان من المعربين المجتهدين عندي جائز لأن قراءة التجويد متروكة من عهد طويل.. وعلى كل أن يجتهد في تجويد القرآن وتحسين القراءة له)<sup>(١٠)</sup>.

ويقسم الشيخ الآيات التي يقرأ بها القرآن عند التلاوة إلى صواب لفظ أو أحكام قراءة، وبيان حروف، حيث قال ما نصه: (فأما القسم المتعلق باللفظ نحو الاعراب والوقف والتغليظ والترقيق والاقحام والظهار والادغام والإمالة والموصول والمفصول، والفرق بين الحروف المجهورة والمهموسة، والحلقية والقمية، والشفعية والهوائية المتصلة بالفم، وإخراج كل حرف من الحروف من مخرجه، من

١- أبو نيهان جاعد، الجوابات: ص ٤٢٧.

٢- المصدر السابق: ١٤، ٥٠، ٩١، ٩٢، ٢٠٦، ٣٢٦، ٣٩٧، ٤٢١، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٩٥، ٥٠٨، ٥١٠، ٥٩٠، ٥٩١.

٣- نفس المصدر ص ٥٠.

٤- أي الصلاة والقرآن

٥- نفس المصدر: ص ٤٥

٦- يعني ترجمة المعاني لدلالة ما بعد ذلك عليه

٧- نفس المصدر: ص ٤٧ لكن جاء في موضع آخر موافقته للشيخين سعيد بن بشير الصباحي وناصر بن خميس الحمراشي حيث قال لا يجوز ترجمة القرآن بغير العربية حيث قال: (وبه أقول وإذا جاز به القلم العربي جاز بغيره من كل قلم) أنظر نفس المصدر: ص ٦٢

٨- لعل الصواب: هـ

٩- المصدر نفسه: ص ٤٢٢

١٠- المصدر نفسه: ص ٢١٤

هذه الأربعة الخارج، وما اختلف أو اختلف فيه القراء السبعة في القراءات، وهذا النمط منوط بالقرآن والقرآن به لخص<sup>(١)</sup>.

وعند الشيخ أبي نيهان أن دراسة العلم النافع للأمة أفضل من حفظ القرآن، وهو يؤول الوعيد الوارد في الحديث، لمن تعلم القرآن ثم نسيه على من نسي القرآن كله حتى لم يبق معه ما يؤدي به الصلاة، حكى عنه ذلك ابنه الشيخ ناصر بن أبي نيهان حيث يقول:

(وقد تعلمت القرآن كله حفظاً بالتلاوة له في شهر، ولا أتخفظ فيه في كل يوم إلا منذ أصلي الصبح إلى طلوع الشمس، فلما تم وذهبت مع والدي، لم أستطع أن أقرأه سراً، لأنني لم أتمكن من حفظه، ولا يرضى لي بالجهر لئلا أشغله عن التفكير فيما يفكر فيه، وأظهر لي في وجهه الكراهية باشتغالي بقراءات القرآن عن التحفظ بما أقرأه من الأثر، فتابعته على ما تنهوا نفسه لي فنسيت جميعاً، وأظن أنني لخبرته بذلك فذكر لي كما ذكرته في التأويلين لما روي عنه - صلى الله عليه وسلم - واستحسن في ذلك الذي استحسنه وبالله التوفيق)<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: تفصيل معانيه:

أما بيان معاني ما جاء في الكتاب العزيز من حيث تراكيب لفظه فقد بينه أبو نيهان فيما نقله عنه صاحب القاموس، وذلك بأن القرآن مشتمل على أمور، لخيار وأمثال، وأمر ونهي، وما يسع من الأحكام وما لا يسع، وخاص وعام، ومجمل ومفصل، ومبين ومجمل، ونص وظاهر، ومطلق ومقيّد، وحقيقة ومجاز، وظاهر وباطن، ومحكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وما أشبه به ذلك من المعاني التي استنبطها أولو العلم الراسخون فيه<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا فالأصل الأول عنده هو القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وهو الواجب الاتباع فمن تمسك به سلك الطريق السوي، ومن أتى شيئاً يخالفه تنكب الجادة وهوى إلى أردى السبل، وكل ما يأتيه الإنسان وما يذره فلا بد من عرضه أولاً على ما جاء في أصول الشرع لئلا يزيغ عن الطريق المستقيم، فما نص عليه في هذه الأصول أتاه أو توافق مع هديها العام لأخذ به وإلا فلا. وأما موقفه من السنة المطهرة فسوف أوجزه فيما يلي:

### المبحث الثاني: تعامله مع السنة

#### أولاً: الاحتجاج بالسنة:

الأصل الثاني: من أصول التشريع عند أبي نيهان هو السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام<sup>(٤)</sup> الذي يقول فيه أبو نيهان بما معناه: إنه النبي والرسول الأمي هادي الأمة ونبي الرحمة (الذي أدار الله بجلوه هالة هلاله وجوده في قبة سماء بهجة الدين من حيث أنه جعله في الناس قمراً

١- الشيخ جميل السعدي، قاموس الشريعة: ٧٢/١

٢- السعدي، قاموس الشريعة: ٣٠٥/٣

٣- المصدر نفسه: ج ٧٢/١ - ٧٣

٤- أبو نيهان جاعد، نفس المصدر: ص ٥١، ٩٢، ١٦٨، ١٩٤، ٣٢٦، ٣٩٧، ٤٣٠، ٤٩١

وسراجاً منيراً<sup>(١)</sup>.

وقال: (واعلم أنه لا يصاب العدل في الرأي ولا في شيء من الدين على مخالفة الثابت من الكتاب أو السنة أو الإجماع)<sup>(٢)</sup> وقال: ودليله في قول ربكم وسنة نبيكم وكفى بهما هادياً لمن اتبعهما في سلوكه إلى ربه بعد المعرفة منه لتأويلهما)<sup>(٣)</sup> فلا تسع مخالفة الكتاب والسنة أياً كان من الناس إذا ورد في تلك الحادثة نص من الأصول الثلاثة، فكل أمر مخالف لها مردود على صاحبه فهو في ذلك يقول مستدلاً على إبطال تزويج المطلقة ثلاثاً من صبي أو محرم أو غيرهما هل يحلها للأول أم لا، فقال: (ولا خلاف في أنه كل ما خالف الكتاب أو السنة أو الإجماع من تأسيس ذلك التزويج بها على ما لا يسعه في الحق تزويجها ولا يحل لها بالنص نكاحه لكونه ذا محرم في الأصل أو أنها محرمة عليه.. على خلاف الحق بأجمعه... لأنه واقع في الأصل على غير أساس راسخ في الحق... وإذا فسد الأساس تلاشى فرعُه المبني عليه)<sup>(٤)</sup>.

وفي موضع آخر يقول: (وإنما العيب على من خالف الأصول، وصدف عن ملة الرسول)<sup>(٥)</sup>، وقال: (لأن الدين ما جاء في السنة أو الكتاب أو الإجماع حكمه والرأي ما كان فرعاً لهذه القواعد الثلاث من الدين فإنها الأصول وما أشبه الأصول فهو مثلاً)<sup>(٦)</sup>.

وقال: (والحق في الحقيقة في الباطن هو الحق الذي أظهره في الظاهر لعباده على لسان نبيه في كتابه وسنة رسوله - عليه السلام - وإجماع الأمة لا غيره لا يختلف بإجماع، ولو كثّر الاختلاف والنزاع)<sup>(٧)</sup>.

وعندما تحدث عن العدل بين الناس ذكر أنه هو أن يسير الحاكم على ما يوافق الكتاب والسنة والإجماع والصواب من الرأي<sup>(٨)</sup> وما كان منه غير ذلك فليس بعدل، فترى أن اتباع السنة عنده هو العدل الذي لا مزية فيه، لأن سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - هي المصباح الذي تهتدي به هذه الأمة، إذ لا ينطق عن الهوى، فكل ما يأتيه وما يذره إنما هو مطابق لكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهي الترجمان للقرآن قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾<sup>(٩)</sup>.

وينبغي أن تعرض الأعمال على مقتضى كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - والإجماع لنلا يقنع الإنسان في مجبور، حتى أنه يحث السائل على عرض أجوبته في المسائل الفقهية على هذه الأصول خوفاً من مخالفة الحق، فقد جاء في بعض جواباته ما نصه:

١- أبو نيهان، مقدمة تفسير سورة الفاتحة ص ١

٢- جوابات: ٤٢٧

٣- أبو نيهان، رسالته إلى النجدي ص ٢

٤- نفس المصدر، جوابات: ٣٩٧ - ٣٩٨ وانظر ٤٢١ - ٤٢٢

٥- نفس المصدر: ص ٢٩

٦- نفس المصدر: ص ٤٧٥

٧- أبو نيهان، جوابات: ٤٩٤ - ٤٩٥

٨- أبو نيهان، نفس المصدر: ٥٦١

٩- آية ٤٤ سورة النحل، وانظر نفس المصدر الجوابات: ٤٠

(وما أشكل عليه فيه من شيء فقف عنه، والتمس عدله إن اضطرت إليه وأردت العمل به من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة أو رأي أهل العدل من الفرقة المحقة لعل أن تصيب القصد، وتهدي فيه إلى الرشd، ويرتفع منك عن بصيرتك الحجاب، فتراه على ما هو عليه من خطأ أو صواب)<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: أما من حيث مكانتها:

فإن السنة عند أبي نهبان يستحيل فيها ثلاثة أمور، الأول: الغلط فيها لأنها صادرة من المعصوم - ﷺ -<sup>(٢)</sup>، وأما النسيان فيطراً لأنه بشر - صلى الله عليه وسلم - ولكنه مع ذلك يعتقد أبو نهبان أن صاحب الرسالة المحمدية في كمال بشري لا يساويه فيه أحد، ولنسمع إلى ما قاله في ذلك: (بدليل ما في الحديث، يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه في صلاة الظهر سها حتى زاد فيها ركعة ومرة صلى بأصحابه فقام عن ركعتين ولم يقعد لهما، وإذا كان هذا مما يجري عليه مع كماله فيكون منه في نواذر أحواله، فكيف بغيره أبظن أحد أن يلحق به في حضوره، وإن صفى باطنه لاشراق نوره، كلا إنه لفي غاية البعد أن يكون مثله عبد، فإن جميع ما عده لا بد وأن يكون في كل أمر واه، فضلاً أن يساويه، فأنى بتقدمه فيتعداه)<sup>(٣)</sup>.

الثاني: الغلط في أحكامها لأنها وحي رسالة وقد أوضح أبو نهبان لمن سأل أن الوحي ثلاثة أقسام، الأول: وحي رسالة وهو للأنبياء فقط، والثاني: وحي إلهام وهو لمن يشاء الله من الأولياء، والثالث: الإيحاء وهو للخلق كليم يعني الإشارة، فالثاني وإن سها لكنه يرجع إلى الصحيح فوراً مثل ما وقع له في الصلاة، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد حرس بالوحي في أمره فأيد بالتنزيل وعضد بجبريل<sup>(٤)</sup>.

الثالث: تسويغ إباحة العمل على خلافها أو الحكم بخلافها، فهذا مما لا يجوز شرعاً<sup>(٥)</sup> لأنها توحى من الله فالله - عز وجل - يقول عن نبيه الكريم: ﴿وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(٦)</sup>. وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾<sup>(٧)</sup> فلا يجوز أن يحكم أحد أو يفتي بغير ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله وإجماع المهتدين من هذه الأمة.

فعلى المسلم في نظر أبي نهبان أن يمثل للأمر والنهي الثابتين من السنة النبوية<sup>(٨)</sup> فالله عز وجل يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(٩)</sup>، وقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾<sup>(١٠)</sup>.

ومعاني السنة النبوية مختلفة، ف بجانب ما فيها من الأوامر والنواهي يشتمل على المندوب إليه والمجبر

١- أبو نهبان، نفس المصدر: ص ٦٠٠

٢- السعدي، قاموس الشريعة ١/٧٣ (وفعل النبي عليه الصلاة والسلام عند أبي نهبان يقتضي الإباحة باستغراق الجنس في الكل من الأمة عموماً، إذ لم تثبت معه قرينة التخصيص في ذلك له الموجبة لافراذه به أو لاحقة أو مقدمة، والأمة داخلة معه فيما لم يصح أنه مخصوص به). جوابات: ٤٢٤

٣- جوابات: ١٦٦

٤- أنظر جوابات: ١٦١، وأنظر جوابات: ٤٢٣

٥- قاموس الشريعة: ١/٧٣

٦- الأيتان: ٣ و ٤ من سورة النجم

٧- الآية ٦٤ سورة النساء

٨- السعدي، قاموس ١/٧٣

٩- الآية ٧ من سورة الحشر

١٠- الآية ٩٢ من سورة المائدة

فيه والمباح وما يسعه جهله وما لا يسع من الأحكام، وفيها الخاص والعام، والمجمل والمفصل، والمبين والمحتمل، والنص والظاهر، والمطلق والمقيد بالكتاب والأضمار والحقيقة والمجاز، والظاهر والباطن، والناسخ والمنسوخ<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: الرواية: وكثيراً ما يرد في كلام الشيخ لفظ الثابت من السنة أو السنة الثابتة أو ما ثبت من السنة أو الحديث الصحيح أو السنة الصحيحة وذلك دليل واضح على أن الشيخ أبا نيهان لا يأخذ إلا بالسنة الثابتة بالرواية الصحيحة بأقسامها، وهي الواردة برواية الثقات، وينبئ ذلك أن السنة المروية من طرق ضعيفة لا يعتد بها، وقد جاء في معرض نصيحة له ما نصه: (ودلوكم على الحجة البيضاء التي كان عليها سيد الأنبياء، فعرّفوك ما تاتونه فرضاً ونقلاً، وما تذرّونه نية وقولاً وفعلًا... أولئك هم أولو الألباب، الذين هدامهم الله لدينه الذي ارتضاه الله لعباده من فضله، فلم يغيّروه عن أصله، بل ابتغوا فيه أثر النبي - عليه السلام - ومن بعده أبو بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين بدعوة الأئمة)<sup>(٢)</sup>. وبجانب الأصلين السابقين الكتاب والسنة يتمسك الشيخ أبو نيهان بالاجماع أيما تمسك وقد ذكره في عدة مواضع من جوابه، وسوف أشير إليه فيما يلي إن شاء الله:

### المبحث الثالث: تعامله مع الاجماع:

الاجماع هو الأصل الثالث من أصول الشريعة الإسلامية التي لا تجوز مخالفتها عند أبي نيهان<sup>(٣)</sup> ولا بد لرواية الاجماع من المسلمين من سند صحيح، لأن ثبوت الأصل من جهة الرواية شرط لصحة العمل به<sup>(٤)</sup> ولا تجوز مخالفة الاجماع أصلاً عند الشيخ أبي نيهان ومما قاله في ذلك: (واعلم انه لا يصاب العدل في الرأي ولا في شيء من الدين على مخالفة الثابت من الكتاب أو السنة أو الاجماع)<sup>(٥)</sup>. وقال في موضع آخر ما نصه: (وما ثبت وصح خروجه من ذلك على معنى الاجماع فلا يجوز فيه الاختلاف)<sup>(٦)</sup>.

والمسألة المختلف فيها بين الفقهاء ولا يوجد فيها اجماع من قبل لا يتم فيها الاجماع عند أبي نيهان إذ يقول: (ولو أجمع على العمل بقول من الأقاويل الجارية في تلك النازلة أهل عصر من كل قرية أو مصر أو من جميع الأقطار والقرى والأمصار ما كان ذلك بمزيل لما ثبت وصح فيه من الخلاف اجماعاً بلا خلاف)<sup>(٧)</sup>.

وقال في مسألة أخرى عند حديثه عن الرأي في غير الأصول الثلاثة ما نصه: (والحق في الحقيقة في الباطن هو الحق الذي أظهره في الظاهر لعباده على لسان نبيه في كتابه وسنة رسوله عليه السلام واجماع الأمة لا غيره لا يختلف باجماع ولو كثر فيه الاختلاف والنزاع) لأنه واحد والقول فيه واحد

١- قاموس الشريعة: ٧٣/١

٢- من رسالته إلى من قال بتشريك أهل القبلة ص ١

٣- أنظر، السعدي، قاموس الشريعة: ٧٢/١، جوابات أبي نيهان: ٩٢، ٥٠، ١٣٧، ٢٠٦، ٣٠٨، ٣٢٢، ٥٩٠، ٣٢٦

٤- السعدي، نفس المصدر: ص ٩١، ٥٧

٥- السعدي، نفس المصدر: ص ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٧٥، ٤٨٣، ٥٦١، ٦٠٠

٦- نفس المصدر: ص ٤٢١

٧- السعدي، نفس المصدر: ص ١٥٩

فمن أصاب ملك ومن أخطأه هلك والعياذ بالله<sup>(١)</sup>.  
وقال: كفى بإجماع أهل الحق على ذلك حجة في ذلك لأنهم الأمة والله لا يجمع أمة محمد - ﷺ -  
على ضلال ولا خطأ، وما خرج عن الضلالة بالحق فلا يكون إلا حقاً كما لا يكون ما خرج عن الحق إلا  
ضلالاً إذ ليس بينهما منزلة ثالثة<sup>(٢)</sup>.  
والاتفاق نوعان أحدهما الإجماع والثاني: ما حصل التوافق على التواطؤ في القول عليه من غير  
إجماع من القائلين له، ولا يكون ذلك وإن لم يشبه الإجماع على حال كالإجماع وما أشبه الإجماع  
فحكمه وإن كان بعينه لم يجمع عليه فهو مثله<sup>(٣)</sup>.  
وفي معرض كلام له لآخر قال: (والله لا يجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلال ولا  
خطأ)<sup>(٤)</sup>.

وبالجملة فالإجماع أصل من أصول التشريع في الإسلام، فلا يجوز لأحد مخالفته وكثيراً ما يؤيد  
الشيخ كلامه بأحد الأصول الثلاثة التي قام عليها الإسلام، ولا يجوز الرأي والنظر في الأمور التي ورد  
فيها نص من الأصول الثلاثة: والقول الذي لا يرجع إلى دليل شاذ عند الشيخ لا يعمل به<sup>(٥)</sup>. أما القياس  
فيما لم يكن فيه نص على ما ورد فيه فلا بأس به وهو الذي سنبحثه فيما يلي:

#### المبحث الرابع: موقفه من القياس:

القياس: هو قياس فرع على الأصل لعل جامعة بينهما، والشيخ أبو نبهان ممن يثبت القياس ويقول  
به ويشنع على من منعه، إذ لا يمكن أن تنص الأصول الثلاثة على كل ما يحدث في الدنيا، بل جعل الله  
ذلك إلى الراسخين في العلم، الذين بلغوا درجة الاجتهاد.  
والعلة الموجودة في الأصل إذا كانت موجودة في أمر آخر لا يوجد فيه نص فإنه يقاس على الأصل  
ليطلق عليه حكمه إذا لم يكن هناك مانع في جريان العلة وتشبيه الأصل بالفرع<sup>(٦)</sup>.  
ومثال ذلك عند أبي نبهان ما نصه: (وبذلك فيما يروى حكم النبي - صلى الله عليه وسلم - في بريرة  
لما اختارت نفسها وكأنهما في القياس من كل وجه بالعلة الجامعة بينهما في كل حال لعلى سواء في  
هذا)<sup>(٧)</sup>.

ويعجبني أن أنقل نصاً متكاملاً عن أبي نبهان في معرض جواب لمن سأل عن قول الشيخ أبي محمد  
ابن بركة البهلولي: (والقياس لا يصح إلا على أصل متفق عليه) وعن قول من زعم في اختلاف الرأي،  
وإن صبح فخرج على ظاهر العدل فالحق لا يكون إلا في واحد وما سواه خطأ عند الله تعالى فقال: ما  
حمل من الفروع في القياس على أصل صحيح ثابت نجيب، من الكتاب أو السنة أو الإجماع لعل جامعة

١- نفس المصدر: ص ٤٩٥

٢- أبو نبهان جاعد، الجوابات: ص ٤٧٨

٣- نفسه: ص ٤٧٣

٤- السعدي، نفس المصدر: ص ٥٠١

٥- أبو نبهان جاعد، المصدر السابق: ص ٥٩٩

٦- أبو نبهان جاعد، جوابات: ٤٠

٧- نفس المصدر: ٤٢٤

بينهما فيه معنى حكمه وكان بمعناه، فإن أشبه أصلين متنافيين في الحكم، فالذي هو أقرب إليه شبهاً كأنه أولى به أن يخرج حكمه فيه، وإن كان من الآخر البتة لا يتعري، وإن لم يترجح إلى أحد الجانبين صحت فيه على التساوي حكم المعنيين جميعاً وكان القياس فيه بهما من كل منهما على أصل صحيح متفق في الإجماع عليه.

وكذلك مما وقع الاختلاف فيه على هذا بين القايسين إذا كان قد تعلق كل منهما بأصل له التعلق به منهما، والقياس على ما قيس فرع لفرع الأصل المقياس له من متفق فيما دون الإجماع ذلك الفرع عليه، أو مختلف بالرأي فيه، لأنه بالنسبة عن التتبع راجع إليه<sup>(١)</sup>.

وقال في موضع آخر:

(إن القياس في الأصل عبارة عن مقايضة بين معلومين، والمراد به في النوع الفقهي استخراج حكم المجهول بالمعلوم، وهكذا حكم القياس الفلسفي في النوع المنطقي يولفونه من مقدمتين أو أكثر لتخرج من بينهما النتائج بعد الازدواج، فيظهر ولا شك عند أولي الألباب في نتاجه أنها حق، والعمل بها كذلك مهما أحكم وحرس في الوزن من الخطأ، فسلم لكونه في المثال كالميزان صحيح البرهان، يطلع به على باطن خفي، عن ظاهر جلي، وخروج حكم المعلوم المنصوب للقياس في المجهول الذي به يقاس كيفما كان، وعلى أي حال كان، فيكونان على سواء للغة الجامعة لهما، الموجب حكم الاشتراك في الحكم بينهما في جميع ما اشتبهتا فيه من شيء، ما لم يمنع من جريانها فيه مانع، لأنه معلول لعلته، والقياس بالشبه على وجوه عدة، وكله على تجرده من العلة كذلك غير جائز.

والعلة أنواع والمستنبطة أنواع منها، وهي في الجملة على ضربين متفق عليه ومختلف فيه، والمعلومات النظرية المستخرجة بالرأي كذلك، وقد أجمع أهل العدل على الرأي والقول بالرأي، والعمل على الرأي في مواضع الرأي فوق الاتفاق على أشياء نعمة والاختلاف في الأخرى نعمة<sup>(٢)</sup>.

ويكفي ما جاء في هذا النص عن التعليق، وذلك لأن فيه التصريح باستعمال الشيخ أبي نهبان للقياس والعمل به، ولا شك أنه ضليع فيه، بل فارس فرسان ميدانه لقوة علمه وصفاء جنانه وفصيح لسانه.

وقال في معرض رده على الشيخ أبي محمد حيث منع القياس إلا على أصل متفق عليه ما نصه:  
(ولا نعلم أن أحداً من أهل العلم والتقى والحلم، أنكر في الدين على قائله، ولا حكم في الدين بالخطأ على فاعله، من لدن الصحابة إلى زماننا هذا، والحمد لله حمداً يوافي نعمه على كل حال، ولولا إنه حق وصواب لما اجتمعت الأمة عليه قولاً وفعللاً، أمراً وحكماً عملاً وعلماً، وعلى ذلك الكتاب والسنة دالان، فهما فيه إذن برهانان، وإذا كان الأمر فيهما كذلك، وكان القول بالرأي في الحوادث: يصح ويجوز في مواضع الرأي، ويلزم في مواضع لزومه على من قدر يأتي فيه قولاً برأي عن أحد ذي رأي أو أقاويل أو لم يأت فيها شيء، فكله سواء، فكيف يمنع القياس به لما أشبهه من شيء، لأن يجري حكمه فيما أشبهه فساواه فيه؟ وإن كان في الظاهر على العدل، فكأنني لا أرى هذا ولا أعلمه، ولا يبين لي الإجازة،

١- نفس المصدر: ٤٧٣، السعدي، قاموس الشريعة: ٢٧٢/١

٢- أبو نهبان جاعد، جوابات: ص ٤٨٧ وما بعدها، وانظر السعدي، القاموس: ٢٩٤ - ٢٩٥

واباحته ولزومه في مواضع فرضه، وخروج حكمه فيما أشبهه كالتفقق عليه في الحق، أو المختلف فيه بالعدل فلا فرق، وكله سواء في رجح المعقول وصحيح المنقول: بأن ما أشبه الشيء فهو مثله، وقد دلت النصوص في الآثار عن المسلمين الأخيار في مواضع شتى، وأماكن يكاد أن لا تحصي إنهم قد فعلوا ذلك، وقاسوا على هذا وإذا جميعاً ولم يقل أحد نعلمه بالمتن منه في مواضع الاختلاف إلا أبا محمد هذا، والله أعلم بحقيقة مراده<sup>(١)</sup>. هذا نص كلامه وهو دليل على أن يشفع على من ينكر القياس على الفروع المختلف فيه، فكيف بالأصول المتفق عليها.

ونقل الشيخ البشري قوله في القياس أيضاً بما نصه: (والقول في القياس فيما يجوز فيه القياس لمن يجوز له القول بالقياس، شائع بثبوته عند من أبصر الحق الحقيقي، فركب على ألواح سفن المعرفة، لقطع لجج بحار العلوم، في طلب استخراج جواهر المعاني من أنفاس أصداف غوامض أسرارها، واقتحم دقائق حقائق مسالك سبل حقيقة الحقيقة عن صافي غماض قفار بحار فأخرج درر المعاني معنى لعم غزيرته، فأتى بما لم يؤت في أسطرها)<sup>(٢)</sup>.

ففي هذا النص أن القياس ليس في كل شيء، كما أسلفنا ولا من كل أحد، بل هناك شروط في المقيس والمقيس عليه وفي النقاش حتى يصبح القياس كما هو مقرر في علم أصول الفقه. وهذا يدلنا بل يوجب علينا أن نبسط القول قليلاً في موضوع الاجتهاد للحاجة إلى ذلك، وقد عقدت للبحث التالي لهذا الموضوع فأقول:

### المبحث الخامس: رأيه في الاجتهاد:

الاجتهاد وهو بذل الطاقة من التفكير من عالم قادر على الاجتهاد في استخراج حكم مسألة نازلة لم يرد فيها نص لا من الكتاب ولا من السنة ولا من الاجماع ولذلك قالوا (لا اجتهاد مع نص)، والاجتهاد خاص بمسائل الرأي لا بمسائل الدين التي يدان لله فيها بالاعتقاد بمعنى أن مسائل الاعتقاد لا يجوز فيها الرأي لأنها مسائل معروفة محددة وقد ثبتت بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة والاجماع (والدين ما جاء في كتاب الله أو سنة رسول أو اجماع الأمة في كل دهر وزمان وفي كل بقعة ومكان) وما دل على عدم التنزيه للبرائ من متشابه الآيات فيرد على محكم القرآن ولا يؤخذ أحكام العقائد من الأحاديث الأحادية بالنسبة للذات والصفات وأما بالنسبة للسمعيات فقد أجاز العلماء الرأي فيها كعذاب القبر والصراط ووجود الجنة والنار وأمثالها بل ورد الخلاف فيها مصرحاً به.

أما رأي أبي نبهان في الاجتهاد: (فقد أطال فيه القول في كثير من جواباته التي بين يدي ولكني لختار في هذه العجالة أن أضع عدة أسئلة من عندي وأجيب عليها من نص كلام أبي نبهان نفسه، لأن كلامه منسبك، وقد لا يفهمه بعض الطلاب أمثالي، ومن الأسهل أن يوضع كما ذكرت ونسوق بعض الأمثلة.

س - من الذي يباح له الاجتهاد والنظر في استخراج الأحكام؟

ج - ليس لكل إنسان نور قلب يقدر به على النظر ولا التمييز لأصح ما جاء في الأثر وإنما ذلك لأهل

١- أبو نبهان جاعد، جوابات: ٤٨٨

٢- موسى بن عيسى البشري - مكنون الخزائن: ١/٧٥

العلم والبصر<sup>(١)</sup> وفي موضع آخر قال:

وفي آراء المسلمين والحمد لله متسع لمن عرفها وأبصر عدلها، وقدّر على استخراج ما يدل عليه بمعانيها، إلا أنه ربما أنكر أهل الضعف والعمى عن درك أنوار الهدى كثيراً مما يستخرجه أهل الفهم والقوة في العلم بالدليل عليه من معاني أقوال الأولين أهل الاستقامة في الدين<sup>(٢)</sup>، وفي موضع آخر قال: وليس كل من نظر كان له النظر حتى يجتمع له الفقه والبصر فيما يجوز فيه النظر).

س - إذن فما رأيكم أيها الشيخ فيمن قصر عن هذه المرتبة من الناس؟ ومن الذي يقلده؟

ج - أما من كان من أهل الضعف عن هذه المرتبة فقصاراه المشاورة لأهل العلم والورع، والاستدلال بهم على الأصح والمذهب الأرجح، ومهما عليه اختلف أهل العلم في ذلك اعتمد على قول وليه، فإن كانوا له أولياء أخذ بقول الأعلّم فيما قيل<sup>(٣)</sup>.

س - ماذا ترون أيها الشيخ فيمن لم يجد من يقلده وليس له بصيرة بالترجيح؟

ج - إن عزت المناظرة عليه لمن يرجو أن يدرك بغيته منه، خرج في حقه ما قد قيل إن له أن يأخذ بما أراد من رأي الفقهاء، وقيل: إنه لا بد له من أن ينظر في ذلك بجهد، ويتحرى الأعدل بقصده، ويعمل على ما يغلب على ظنه أنه أعدل، ويكون عليه حتى يلقى من يدلّه، على أعدل ذلك من أهل العلم والبصيرة المأمونين على ما حملوه من العلم، وقيل عليه أن يعرف الأعدل من الأقاويل ويكون فيها كابن عباس وإلا هلك<sup>(٤)</sup>.

س - هل هذا الرأي صحيح عندهم؟

ج - لا يبين لي في هذا الرأي إمكان هذا الرأي، لأنه في موضع ما يمكنه الوقوف عليه من ذاته أو من فور الاستدلال عليه بغيره، وإلا فيحال عدم العبارة والعجز عن المعرفة له من بين ما قيل في نفس الشيء من الاختلاف في الرأي<sup>(٥)</sup>.

س - ما هو الأنسب عندهم من هذه الأقوال الثلاثة المتقدمة؟ وهل الأصح عند عالم ما بالضرورة يكون في النظر صحيحاً عند غيره؟

ج - الأوسط كأنه في هذا الموضع أقسط، لأن إلزام الوقوف على الأصح مع عدم القدرة له عليه فيه تكليف شطط، والاهمال عن التحري للأصوب قصور عن استفراغ الجهد المطالب به في أصل التعبد، وليس الأصح - على الصحيح - موقفاً على نظر معين في حق أرباب البصائر، بل ربما يقع فيما بينهم فيه التباين في الرأي، كما وقع في نفس الآراء يوم الاجتهاد في استنباط العلة<sup>(٦)</sup>.

س - هل من أراد العمل يقول من جملة أقوال أن ينظر الأعدل؟ وهل يعنف إن عمل بقول منها؟

ج - لا بد له على الأصح من التحري عند العمل لأعدلها، وذلك وجه السلامة له عن الهلكة لأنه على هذا ما لم يخرج من الحق إلى الباطل فلا يصيب إثمًا ولا هلاكاً إن شاء الله تعالى، ولا نعلم في ذلك

١- أبو نيهان جاعد، جوابات: ٢٨

٢- نفس المصدر: ١١٤

٣- نفس المصدر

٤- نفس المصدر: ٢٨

٥- نفس المصدر

٦- نفس المصدر

اختلافاً، وإذا كان في هذا هكذا وجه الطريقة في حكم الحق على الحقيقة، لم يجز أن يُخلَق في ذلك بالعيب على أحد اتبع فيه رأياً احتمل له في وجه الحق، وكان له متعلق في النظر بالرأي أو بشيء سبق في الرأي من أراد من أهل العلم من المسلمين وإنما العيب على من خالف الأصول وصدف عن ملة الرسول أو نصب الرأي ديناً أو تكلم ميئاً الخ..<sup>(١)</sup>.

كما أن الشيخ - رحمه الله تعالى - يأمر بالنظر في الأدل من الأقوال في أغلب جواباته وعلى سبيل المثال جاء في بعض جواباته: (فاتنر فيه وتدبر معانيه، ولا تعتمد إلا على ما تراه إلى النجاة سبيلاً، وعلى منهاج السلامة دليلاً، ولا يغرنك حسن الاتكال على من قال ولكنك انظر فيما قال، فما وافق الحق فخذ به، وما خالف الحق إلى غيره من الباطل فاطرحه عن نفسك له رفضاً، وما أشكل عليك فيه من شيء فقف عنه، والتمس عدله إن اضطرت إليه من كتاب الله وسنة رسوله أو إجماع الأمة أو رأي أهل العدل من الفرقة المحقة، لعلك أن تصيب القصد وتهدى فيه إلى الرشد، ويرتفع عن بصيرتك الحجاب فتراه على ما هو عليه من خطأ أو صواب)<sup>(٢)</sup>.

هذا كلام الشيخ فتراه يأمر بالنظر والرأي وينهى عن ضده ويشترط لذلك الاعتماد على الكتاب أو السنة أو الإجماع لئلا يخالف الناظر النصوص القطعية، فيصطدم مع النص. ولا يأخذ الشيخ برأي من هو ليس من أهل الرأي ولا يتكل على رأي ذلك المفتي بل ينظر بنفسه في المسألة فما وافق الحق أخذ به، وما جاء عنه في هذا الموضوع ما نصه: (وإن كان في حفظي عمن أدركته ممن ادعى جوازهم من المتأخرين فلا أقوى عليه ولا العمل به، ولا أقول أنه ممن تؤخذ عنه الفتيا بالرأي، إذ لا أقول فيه إن له قوة علم تظهر له معي، ولا أدري أنه من رأيي، ولا أنه أخذ بالتلقي له من غيره ممن له بصيرة نافذة في العلم، إذ لم أفحصه عنه ولا بأن لي صوابه، وفي نفسي منه جرح)<sup>(٣)</sup>. وقال أيضاً: (ولقد وجدنا فيهم قولاً لبعض المتأخرين من أهل زماننا ولا أقدر على رفعه إليك لما فيه من مخالفة آثار الماضين مثل محمد بن محبوب وأبي سعيد وغيرهما من فقهاء المسلمين، وكلاماً أعرضنا عنه لصدوره عمن هو أقل فقهاً من المتقدمين ولأنه - على إطلاقه - يقتضي المنع في مواضع مباحة دل عليها صريح الأثر وصحيح النظر)<sup>(٤)</sup>.

وهذا لأن الشيخ من أهل الاجتهاد واستنباط الأحكام، إذ لا يجوز للعالم الذي بلغ هذه الدرجة إلا أن ينظر في الأدل من الأقوال، كما أنه لا ينبغي له أن يأخذ بشواذ الأقوال ولا ضعيفها كما ذكر نفسه سابقاً.

ومع هذا فإن من أخذ بقول من أقوال المسلمين من ضعفاء الناس الذين لم يتأهلوا للاجتهاد فهو سالم - إن شاء الله - في نظر الشيخ أبي نيهان وهذا نص كلامه في ذلك: (وإن توسع في ذلك بغير ذلك من الجائزات ولم يخرج من صحيح آراء المسلمين لم نشرع إليه بالتخطئة تعنيفاً)<sup>(٥)</sup>.

١- نفس المصدر: ٤٢٩

٢- نفس المصدر: ١٠٠، ٥٦، ٨٤، ١٠٤، ١١٤

٣- نفس المصدر: ١٢٩، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٦، ٣٠٤، ٣٨٠، ٤٢١

٤- نفس المصدر: ١٨٢

٥- نفس المصدر: ٤٢١

ولكن الشيخ أباً نبهان يجب الاحتياط للمسلم، وأن لا يتبع المؤمن الرخص كما سلف، بل يتحرى لنفسه الخروج من الخلاف، ما أمكن فمن ذلك قوله: (ونحب لمن استتصحننا وأحب أن ينأصحب نفسه أن يأخذ في جميع أموره بالوثيقة ما قدر، لا سيما في الفروج، وأن يتبع في ذلك بالحلال الصرف العاري من الاختلاف)<sup>(١)</sup>.

وبجانب هذا فإن الشيخ يعيب على من يمنع الضعفاء من الأخذ بأي قول من أقوال المسلمين إذا كانوا لم يبلغوا درجة الاجتهاد، أما المجتهد فعليه أن يتحرى أعدل الأقوال، وبهذا جاء الأثر عن السلف وفي ذلك يقول معيباً على المانع: (وعلى الحاكم أن يحكم بينهما بما يراه من الرأي أنه على اجتهاد منه أنه أصوب كذلك على كل عامل أن يعمل بما يراه من الرأي إلى الحق أقرب، وليس عليه فيما عليه أن يعدل عنه إلى غيره من الآراء ميلاً إلى الرخصة، ولا يميل غيره إليه، إلا أن يراه الأهدى والأصح والأقوى والأرجح، خلافاً لما قاله هذا القائل إنه لا يجوز للناس أن يتعلق كل واحد منهم بقول، وما أبعد عن الصحيح وأحرأه بالابعاد والطرح، لأنه في غاية البعد عما قال به في هذا أهل العلم والبصر، إذ لم تكن نرى له أشباهاً ينقاس بها في الأثر، كلا؛ ولا ينسأغ هذا في حكم النظر)<sup>(٢)</sup>.

وأما القول بغير حجة فيبطله الشيخ، إذ لا بد لكل قول من مستند يستند إليه قائله، أو علة سوغت قياس الحكم على أمر بالحكم على أمر آخر سابق له، وعلى هذا فما كان غير مستند إلى دليل فهو باطل عنده ولا يصوبه<sup>(٣)</sup>.

وأحياناً يتوقف فيما لم تظهر له فيه الحجة أو فيه شبهة من الفهم أو كان من أمر الغيب فهو يقول: (ونحن فليس لنا أن نتعاطى ما لم يؤذن لنا به ولا علينا أن نتكلف علم شيء مما غاب عنا علمه مما لا دليل عليه ولا سبيل إليه معنى الاحاطة به الخ)<sup>(٤)</sup>.

أما القول بالدين في موضع الرأي ضلال والعكس كذلك فلا يجوز أن يفتي ولا أن يحكم في موضع كل واحد منهما بحكم الآخر، وقد ألح الشيخ أبو نبهان على ذلك كثيراً في كثير من نصوص كلامه، وكرر كثيراً وجوب التفريق بينهما، وقال: إن الدين هو ما جاء منصوباً به في الأصول الثلاثة، وما عداه فيسع فيه الرأي ولا يجوز أن يحجر فيه على الناس النظر والاجتهاد<sup>(٥)</sup>.

### اتباع السلف ما أمكن:

ومع مكانة الشيخ العلمية العالية، وقدرته الفائقة على الاجتهاد واستخراج الأحكام إلا أنه كثيراً يتعلق باتباع السلف من مشايخ أهل الاستقامة في الدين الذين شهد لهم التاريخ بالمرتبة الكبرى من العلم والورع، ولا يحب مخالفتهم ما وجد إلى ذلك سبيلاً<sup>(٦)</sup>.

اللهم إلا إذا رأى ما يوجب مخالفة من تقدمه لحجة ظاهرة لا يستطيع الحياد عنها فإنه مع الدليل

١- نفس المصدر

٢- نفس المصدر: ٤٢٦، ٤٢٧

٣- نفس المصدر: ١٠٣، ٩١، ٦٣، ١٤٥، ١٩٧

٤- نفس المصدر: ١٩٧

٥- نفس المصدر: ٥٤، ٧٦، ١٠٣، ١٥٩، ١٦٨، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٥، ٣٠٤، ٤١٨، ٤٢٦، ٤٧٤، ٤٩٥، ٥٩١

٦- نفس المصدر: ١٠، ٢٧، ٤٢٤، ٤٥١، ٥٩٨، ٦٠٠

حيثما يكون، ولا يميل عن الأعدل إلى ما هو أضعف منه حجة ولو قال به السلف، وقد ورد ذلك في مواطن عديدة من جواباته<sup>(١)</sup>.

وعند استحسانه لقول من أقوال الفقهاء كثيراً ما يستعمل كلمة (أميل)<sup>(٢)</sup> وهذه عادة كثير من الفقهاء، إذ يجعلونها بديلاً من لفظة الاستحسان الحكم بالظن في رأي الشيخ أبي نبهان.

لا يجيز الشيخ أبو نبهان الحكم بالظن مثال ذلك المفقود حتى تنقضي مدة فقده التي حددها الفقهاء وأنقل من ذلك نصاً من جوابه لمن سأل عن مثل هذه الحادثة (ولا يجوز أن يحكم بموته على الظن انه لو كان حياً لرجع إلى أهله أو أتى خبر حياته، رجماً بالغيب، كما قد فعل ذلك في هذه الحادثة بغير الحق القويم، وقضى به في الناس على غيروه العادل الثابت على الصراط المستقيم، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم، حيث إنها حيزت الأموال ظلماً وانتهكت الفروج حراماً، وعطلت الواجبات لهم وعليهم، ما لم ينقض أجلهم لفقدهم أو غيبتهم أو يصح موتهم أو قتلهم بغير حجة ولا بيان، ولا دليل ولا برهان، الا اتباع الظن جهلاً أو ما تهواه الأنفس بطلاً، فأين هم والآثار، ومقال أولي الأبصار)<sup>(٣)</sup>.

هذا وقد يأخذ الشيخ أبو نبهان ببعض الأدلة الشرعية الأخرى من ذلك:

### المبحث السادس: أخذه بالأدلة الأخرى:

أ- يأخذ الشيخ أبو نبهان بالاستحسان وقد أشار إلى ذلك في مسألة من اقترض من مال اليتيم كان تحت يده بلا مقرض حيث كان ذلك من النقود أو مما يكال أو يوزن فله الربح وعليه الضمان ولليتم رأس ماله وهذا من قول أبي سعيد الكدمي - رحمه الله - فاستحسنه الشيخ واحتج له بقوله - ﷺ - «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن»، وفي الواقع إن هذا القول نقله الشيخ الكدمي عن الاشراف<sup>(٤)</sup>.

كما استحسن قول من أجاز للموكل استعمال الخائن على سقي أموال اليتيم والوقف لأجل الضرورة خوفاً من ذهابها عطشاً حتى يجد الأمين نظراً للصلاح إذ سئل عن ذلك فقال: (الله أعلم بسلامته وإنني لا أقطع ثم يهلكه، لأنني لا أعلم كون المنع عند ذلك حجراً له لمن صريح كتاب ولا من صحيح سنة ولا من صحيح إجماع، إلا ما جاء به الأثر قولاً بالمنع مجعلاً لا خلاف فيه عن أحد نعلمه، وكأني أرى هذه الثلاثة الأصول تقوية بالمنع، لهذا النظر في الحكم، يرى ذلك فيعرف تأويلها الفطن إذا تأملها وأمن النظر فيها، إلا أنني لو قال قائل عند هذا بأنه لا يبعد تجويزه من الإجازة في الجائر نظراً في الأصلح عند مقابلة الأتبع، صرفاً لحاضر المضرة، حتى يفرج الله بوجود المأمونين على ذلك، وفعل فاعل ذلك برأى منه، لدفع الواقع مع خوف المتوقع، نظراً في الصلاح لئلا تتلف الأموال عطشاً لم أقل إنه خطأ وجه الرأي ديناً، وإن كنت لا أقوى عليه لضعف منه ولا أمر به، لدقة علم ما لم يخرج من الصلاح رأساً في نظر أهل النظر)<sup>(٥)</sup>.

١- نفس المصدر: ٤١، ٤٤، ٥٢، ٦١، ٦٢، ١٤٥، ١٥٣، ١٥٩، ١٦١، ١٨٠

٢- نفس المصدر: ٣٢، ٩٣، ١١٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧، ٤١٨، ٥٥٧

٣- نفس المصدر: ١٨٧، ٤٣٩، ٤٢٠

٤- نفس المصدر: ص ١٣٩

٥- نفس المصدر: ص ٣٢٦

ب - أما المصلحة المرسله:

فإن الشيخ يأخذ بها وينطبق عليها المثال السابق، وذلك لأن ما لم يرد اعتباره ولا إلغاؤه فالعمل به من المصالح المرسله للقائم بالأمر، وذلك مثل الأمور العامة التي تحتاج إلى تنظيم ونظر الأصل بشأنها، وللقائم بالأمر إذا رأى مصلحة في منع شيء أو إباحته مما لم يرد فيه نص قاطع بالإباحة أو المنع بحيث لا تجوز مخالفتها، فله أن ينظر الأصل للامة.

ج - أما سد الذرائع فكثيراً ما يحبه الشيخ، وخاصة فيما يؤدي إلى التهور وفتح باب إلى الفساد، مع الأخذ بكتابة الثقات في الوصايا وغيرها من غير شهادة الشهود، هذا إذا كان ثقة فكيف فيمن كان غير ثقة لنلا يؤدي ذلك إلى فتح الباب على نهب أموال الناس من بالغ أو يتيم<sup>(١)</sup>.

وليس هناك من نصوص نصت بعينها من كلام الشيخ أبي نيهان في هذه الأدلة، ولكن من تتبع فقهه يجد أنه لا يجب فتح الأبواب سداً للذرائع الفساد في المجتمع.

د - ولكن الشيخ مع هذا كغيره من فقهاء المسلمين يأخذ بالوسع والاطمئنان في الأمور التي لا يؤدي الأخذ بقول من أقوال المسلمين فيها إلى فتح باب الفساد، أو يرد حكم يمنع من الأخذ بما تطمئن إليه النفس ويسكن إليه القلب، وقد ورد مثل ذلك في كثير من جواباته، ولا أرى ما يدعو إلى الاتيان بأمثلة من ذلك<sup>(٢)</sup>. ولكن إذا تعارض الحكم والاطمئنان فلا بد من الأخذ بالحكم.

ويقيد الشيخ الأخذ بالاطمئنان بأنه من نظر أهل العقول الأتقاء، وليس ما تطمئن إليه قلوب الفساق، ويحسن أن أنقل نص كلامه في هذا الموضوع فهو يقول: (وقد تختلف الاطمئنانات من المطمئنين لموضع بصيرة قلوبهم، أو عمى قلوبهم لأنه قد يجري التصديق من أعمى القلب لموضع هوائه ولموضع تصديقه واشكاله ونظرائه وأمثاله، ولا يصح قولهم بالاطمئنانة في قيمة خردلة، مع من يبصر الاطمئنانة من أهل البصائر فيها، وهذا ما لا يخفى على أهل العدل، وكل شيء، لخذ من طريق العقل فليس له غاية إلا صحة العلم في العقل، وكل شيء، أخذ بالحكم فقطع حجتة صحة الحكم وكل شيء، كان صحته من طريق، فلا يكون صحته إلا من عقل متبصر للحجة والقول في مثل هذا يتسع لاختلاف الناس، واختلاف معانيهم، ولكل ثقة ثقة ولكل أحد شكل، ولا يكون ثقته إلا بأشكاله، فليس كل الأشكال ولا كل الناس يبصرون أحكام العقل، وإنما ذلك إلى المبصرين.. الخ)<sup>(٣)</sup>.

### المبحث السابع: أخذه بالقواعد الفقهية:

أما أخذ الشيخ بالقواعد الفقهية:

فإنه يأخذ بهذه القواعد وخاصة أربع قواعد منها وهي: الأولى: الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

الثانية: اليقين لا يزال بالشك.

الثالثة: لا ضرر ولا ضرار في الإسلام.

الرابعة: الأصل في الأشياء الإباحة حتى تثبت الحرمة.

فتراه يستدل بهذه القواعد في كثير من جواباته، ولم يذكره بصفة مستقلة شأنه في ذلك شأن أكثر

١- نفس المصدر: ص ٢٨، ١٣٣، ١٣٥، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٧، ٢٠٧.

٢- نفس المصدر: ٢٠٩.

الفقهاء العمانيين، ولكن لكل واحدة منها موضع في واقع الاستدلال بها عند اللزوم<sup>(١)</sup> ولا يتسع المقام لذكر الأسئلة نقلاً من النصوص المتوفرة في ذلك خوفاً من التطويل.

وبعد هذا التطواف في الأخذ بالأدلة والتمسك بها، فهل يأخذ الشيخ بالرخصة أم لا؟ هذا ما سنجيب عليه في الفقرة التالية:

### الأخذ بالرخصة:

يأخذ الشيخ أبو نيهان بالرخصة عند الحاجة فقط، وقد حكى عنه ابنه الشيخ ناصر إنه يبذل الرخصة للتائب الراغب في طاعة الله - تعالى - ولكنه يشدد على المستفتي الطالب للحل، الذي يبتغي بذلك اتباع الهوى والمعصية<sup>(٢)</sup> أما في غير ذلك فلا يجب الأخذ بالرخص بل يؤكد على الأخذ بالحذر والرأي الأسلم والتمسك بالأعدل، والخروج من الخلاف<sup>(٣)</sup>.

### بعض المصطلحات التي وردت في جوابات أبي نيهان:

- المنزلي: أي بالأرقام الحسابية لا بالحروف الهجائية.
- الغيلة: الطين إذا هين للبناء به.
- التبن: قشور البر والشعير وما شابههما والأطراف الصغيرة من السنابل.
- الخطوط: الرسائل وواحد خط وليس بمعنى الخط المستقيم.
- الطروس: الشيء المكتوب سواء رسالة أو غيرها.
- حشري: أي وقف مؤبد إلى يوم القيامة.
- القواصر الربط: هي الظروف أو الأواني من سعف النخيل التي يكثر فيها التمر وهي دون الجراب.
- غلافة: الغلاف الذي تجعل فيه الرسالة.
- الجبرة: الجملة وهو خاص بما يشتري جملة، يقال اشتريته بالجبرة أي بالجملة.
- ساعد الفلج: إحدى القنوات أو السواقي الموجودة تحت الأرض التي تغذي الفلج.
- المنزف: البئر المتروكة للسقي وهذا المصطلح خاص بالبئر قريبة الماء.
- الميزاب: هو الذي يصب منه الماء من سطوح المنازل.
- الواسع: الأخذ بالجائز، وهو التوسع في الأخذ بما يسع وليس فيه اثم.
- صبيغة: حلي المرأة وهو مصطلح علمي عند العمانيين.
- الرحى: طاحونة من الحجر يطحن بها البر كي يصير دقيقاً للخبز وهي خاصة بذلك.

### المبحث الثامن: اسهاماته الأدبية:

إن ما وصلنا من شعر الشيخ «رحمه الله» أقل مما كنا نتوقعه، وكان الشيخ اشتغل بالعلم الشرعي في التأليف أكثر، ولكن الذي بين أيدينا قدر لا بأس به، وقد ذكر لنا الشيخ محمد الخصيبي مجموعة

١- نفس المصدر: ٩٠، ٩١، ٩٢، ١٠١، ١٣٠، ١٣١، ١٣٨، ٣٠٨، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٥٨، ٣٨٣، ٣٨٧

٢- أنظر، السعدي، قاموس الشريعة: ١/١٣٥ وانظر أبا نيهان جاعد، الجوابات: ٩٣

٣- أبو نيهان جاعد، نفس المصدر: ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣٠، ٤٣٣، ٤٣٥

من القصائد، بالإضافة إلى قصيدته الكبيرة المسماة «حياة المهج»، وقد شرحها الشيخ نفسه في مجلد متوسط وشرحها آخرون غيره منهم ابنه الشيخ ناصر بن أبي نيهان، ومعظم هذه الشروح توجد بدار المخطوطات والوثائق في وزارة التراث القومي والثقافة.

ويحق لنا أن نطلق على الشيخ أبي نيهان إنه شاعر، بل أكثر شعره مقفى، وكان شعره في كثير من الأغراض، منها علم السلوك وهو الأكثر الغالب ومنها ما كان جواباً على أسئلة فقهية، ومنها في الأذكار، وله قصيدة في الرد على من أنكر علم الأسرار، ومن قصائده في السلوك هذه:

سبحان من كل يسبحه به  
سبحان من للكون كان مكونا  
سبحان من شهد الوجود بجلوه  
سبحان من هو أول بل آخر  
سبحان من هو ظاهر في فعله  
سبحان من هو واحد في ملكه  
سبحانه الملك الذي ملك الورى  
سبحان من قد كان في أوصافه  
إلى أن قال:

سبحان من جعل الجسم هياكلأ  
سبحان من للروح قدرها كذا  
سبحان من جعل النفوس نفيسة  
سبحان من في القلب أكرم نوره  
سبحان من بالصدر صون صيقلا  
سبحان من جعل الهوى يهوى البذا  
وهي قصيدة طويلة في تسعة وستين بيتاً<sup>(١)</sup>.

ومن قصيدة له أيضاً في السلوك ما يلي:

أرى العدل عن لوم العذول هو العدل  
وحق الهوى ما صادق في الهوى فتى  
ويصفي إلى قول الوشاة فينثني  
وينسى على حفظ حفاظا تقدمت  
ويسلو على الهجران من بعد زلفة  
ولا كل من قد رام في الحب شركة

وقصد الفتى وصل الحبيب هو الدخل  
تحلى به عن خلة اللوم والعدل  
صدوداً على هجر وفي صدره ثقل  
قديمأ على عهد قديم لها حذل  
ويحلوه حال وقد غاله دغل  
ويهناً بشرب أو يلذله أكل

١- الخصيب، شقائق النعمان: ١٤٠/١ - ١٤١

لأزوى به وجلاً وزاد به الجدل  
أوار الهوى أمسى وفي جسمه نحل  
لما رده بذل ولا صده عكل  
لما رام غير لا ولا مشه كسل  
وان لج أهل العذل وج به الذهل  
على أنه حزن وليس به سهل  
بلوغ المنى أنى ومن حوله سبل

ولو كان عن قلب بريء عن الأذى  
ولو أن نور الحب أورى بقلبه  
وخمر الهوى لو خامر القلب بالجوى  
ولو أنه صب شجي من الهوى  
وماراع عن نهج الحبيب بمنهج  
هو الحب سهل في اللسان ادعاؤه  
منيع الحمى لا بالهويناء ولا المنى  
الخ ما قال وهي طويلة قوية الماني غريبة المعاني.

ومن قصائده في السلوك قصيدته المسماة «حياة المهج» وهذا أولها:

على النصيح في ذات الإله مع العتبي  
كذا في خصوص من عموم أولي القربى  
فنفسي به أخرى نديا وان تأبى  
ومن ساءها تسعى بمسعى الردى دأبا  
إلى ورطة عن فرطة منهم جذبا  
به تاهت الدهماء في غمه نهبا  
فضلوا على تيهاء قيعانه الجدا  
نعم ربما لا يقبلن تأوه الرأيا  
هو الهوة الدهياء يأؤسها لهبا  
وكن في خلاص النفس منتدبا ندبا

وهي قصيدة طويلة لا نستطيع الإتيان بها في هذه العجالة.

ومن أشعاره في السلوك أيضاً:

ومن حب غير الله هن فوارغ  
وفي غرب أعيان العيان مباحزغ  
لأفاق أوفاق النفاق دواضع  
لأسرار ابصار العلوم منابغ

شموس قلوب العارفين بوازغ  
لها في خفيات الخفي مطالع  
وفي سر اشراق النفوس مشارق  
وأنوار أبصار البصائر كونها  
وهي قصيدة طويلة أيضاً.

ومنها قوله: يبتدى كل بيت بحرف القاف:

الباب كل العارفين وتعشق  
تمحو من البال الخيال وتمحق  
نوبوا ألا هذي الحقائق تنطق  
تجلو صدى الأهواء لما تزهق

قرحت زناداً يستضيء بنوره  
قرشت لنار أنست أنوارها  
قحمت لهم وادي المقدس بالهدى  
قطنت بأسرار لها في سرهم

الخ.

ومن غريب قصائده القصيدة المقصورة التي يتكرر فيها الحرف الواحد وهي ثمانية وعشرون بيتاً.

ومنها قوله:

ألا انني أنسى الأسى من أساءني      وإن لنفس الأنس نفس الأسى أنسى  
بليت بنفس والهوى ثم بالدنا      وهن البلايا من لنفس البلى بلى  
جوامع جهل جامعات بجهلها      لكل جهول جاهل بالجوی جوی  
بجت من دياجي الجهل بالجهل نفسه      وباطنه من جهله كالدجى بجى  
هواء هوى في هوة هان هونه      بمهواه هونا في مهواي الهوى هوى  
وأي في مأوي الوبغ وغل مزند      غتل وسيط وزه كالوزى وزى

وله في طلب الرزق أبيات ستة يتلوها الإنسان بتكرار بعد صلاة ركعتين بوضوء جديد وقلب فارغ.  
وله قصيدة يذكر فيها أحوال أهل زمانه، ويمدح العزلة عنهم، وهي على قافية العين، وله أجوبة نظمية  
وأشعار غيرها يقول عنها الخصيبي (ولهذا الشيخ العلامة الرئيس الرباني عدة مناظيم، متنوعة لا يسع  
المقام ذكر شيء منها فوق ما أوردنا خشية الإطالة)<sup>(١)</sup>.

وبما أوردنا كفاية للاطلاع ومن أراد المزيد فليراجع هذه الأشعار من مظانها في مكتبات  
المخطوطات.

وفيما يلي بيان عن وفاة الشيخ وما قيل فيه من رثاء لمزيد الفائدة كالآتي:

### المبحث التاسع: وفاة أبي نبهان ورثاؤه:

ابتلي الشيخ في آخر عمره بالعمى، ولكن الله قد أحيا بصيرته بنور العلم، ومتعه بجميع قواه البدنية  
والعقلية، فواصل الليل بالنهار في العلم والعمل، وفرغ نفسه للجهاد في أحياء الشريعة ونشر الوعي  
الديني بين أبناء هذا البلد الذي طالما أنجب فطاحل العلماء مثل أبي نبهان، حتى توفي - رحمه الله -  
محمود السيرة صافي السريرة رفيع الشأن والقدر في يوم الخميس ثالث شهر الحج عند نصف النهار  
من عام سبعة وثلاثين ومائتين وألف هجرية، وعاش تسعين سنة قمرية ودفن على رأس فلج الحيل من  
بلدة العليا، أعلى مسجد العقبة على سفح الجبل بمكان مرتفع جداً، وقد كتب تاريخ وفاته على لوح  
حجري أعلى قبره، تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جناته.

أما رثاؤه، فقد رثاه أناس كثيرون، منهم الشاعر المؤرخ ابن رزيق: حميد بن محمد بن رزيق بعدة  
قصائد، كما رثاه الشيخ ثنيان بن ناصر بن خلف الزامل بهذه القصيدة حيث قال:

غال شمس العلوم جهراً كسوف      واعتري بدرها السنني الخسوف  
ودهى السدين والتقى والمعالى      وجميع الأنعام خطب مخوف  
وبجى ليل شجيات مصاب      عاق قلب الزمان منه رجيـف  
حين أودى خليفة الله في الأ      رض وولى الصلاح والمعروف

١- الخصيبي، شقائق: ١/ ١٤٠ وما بعدها

أبد الدهر من علوم يضيف  
وارث المصطفى الرحيم الرؤوف  
والعلم والأرض والسماء المنيف  
والكتب والقنا والسيوف  
موته فهو للنفاق حليف  
خيرة الله أريحي عفيف  
إنه الفاضل الكريم الظريف  
فأين الخليفة الموصوف  
معضلات يحار فيها الضعيف  
الدين إذا ما ازدهاه عنه النكوف  
فمن الكاشف المصيب الحنيف  
وضياء وعادلاً لا تحيف  
كنت أنت الثقيل وهو الخفيف  
بمصاب منه عواد صروف  
فيه سم الحمام غدرأ يديف  
بالمرارات والرزايا مؤوف  
والمنايا متها إلينا رجيف  
خلد المصطفى النبي الظريف  
موقن أن تعيش فيه الحقوف  
في مصاب منه الزمان بنيف  
ترزقوا الأجور فالرزايا صنوف  
والعلم ويعمى عن الرشاد الصدوف  
يحتوي أهلها الثرى والسقوف  
موجه العلم ماله قط سيف  
المصطفى إنك النزيه النظيف  
مسك أخلاقه الحسان تسوف  
جكماً قد زهت بهن الحروف  
واصطفى نفسه الغفور الرؤوف  
نلت من جنا الجنان قطفوف

وها هنا قد وقف العلم من الجولان بانتهاء كتابة هذه القصيدة الغراء، ولا شك أن فيه مرثي أخرى  
لا داعي إلى ذكرها، أو البحث عنها، وبهذه القصيدة نختم البحث وإليك الخلاصة:

كل سفر بما لديه شهيد  
منتهى الجود جاعد بن خميس  
ما بكته العيون حتى بكاه  
والديانات والمحابر والاسلام  
كل من لم يهله حزناً وجيعاً  
كيف لا وهو للجنان منالاً  
شهد العالمون طراً جميعاً  
يا حبيب القلوب عنا توليت  
ومن الغوث إن دعت مشكلات  
من لدحض احتجاج من خاصم  
وإذا لبس العماء علينا  
كنت تُهدي بأمر ربك نوراً  
لو برضوى وزنت علماً وحلماً  
لادعى الله فيك دهرأ دهننا  
ما سقانا شهد المسرة إلا  
كل حلو وكل صفو لذيق  
كيف نلتذ مطعماً وشراباً  
لو على الدهر من خلود لحي  
عجباً كيف ضحك غر جهول  
فانظروا يا أولي النهى باعتبار  
وتفكرو مسترجعين عسى أن  
واستعينوا بالصبر واستمسكوا بالحق والحق مستنير رصيف  
واطلبوا العلم قبل أن يرفع  
فارتفاع العلوم عن ذي الدنا أن  
يا ضريحاً حويت شمساً وبحراً  
أنت خير القبور من بعد قبر  
ما برحنا وإن قضى ما حيننا  
ولما أودع الدفاتر نلتو  
فسقى الله قبره سحب عفو  
وعليه في ظل برز مديد

## الخاتمة

لقد تبين لنا من هذا البحث أن الشيخ أبو نبهان كان شخصية فذة في أخلاقه وصفاته وفي تقواه وسلوكه وزهده وورعه، وإن للشيخ مكانة علمية بارزة يجهلها كثير من الناشئة، فهو عالم بلغ درجة الاجتهاد وصار ممن يشار إليه بالبنان في شتى صنوف المعرفة تفسيراً وحديثاً وبياناً وأدباً وفلسفة وتصوفاً وغير ذلك من العلوم النافعة، وإن هذا الشيخ كان من علماء الأخرة فكان يمقت علماء السوء الذين يأكلون بعلمهم ويتظاهرون بالمعرفة والعلم وهو بعيدون من ذلك.

تصدر الشيخ للتعليم والفتوى فصار يقصده الطلاب والسائلون من كل حذب وصوب من عمان وغيرها، بأسئلتهم ويكتبهم للدراسة، وكان يعيب على أهل زمانه قلة العلم والتهور في الفتوى بالرأي وينصب الرأي ديناً والتضييق على الناس في أمر جعل الله لهم فيه سعة.

وكان في منهجه التشريعي يأخذ بأصول التشريع الثلاثة وبالقياس والمصلحة المرسلة والاستحسان وسد الذرائع وأدلة أخرى كالقواعد الفقهية، ويذم التقليد ويمقته، بل ينادي بفتح باب الاجتهاد بشرطه، وقد رويت مقالته: إن الرأي في الأصول أضيق من سم الخياط على جثة الجمل والرأي في الفروع أوسع من الدهناء لراعي الإبل، فظهر أنه عالم مجتهد مجدّد، له آثاره العلمية والاسهامات الأدبية والاسلوب الرصين والرد المتين للبدع والشطط في الرأي، مما يجب على الدارسين والباحثين أن يتبّعوا آثاره، وأن ينفضوا الغبار عن مؤلفاته كي تظهر للدارسين والباحثين والقراء، عسى أن يقيض الله من الشباب من يشمر عن ساعد الجد فيخرجوا كنوز التراث من رفوفها، ويقدموها لطلابها في أفضل شكل وأبهى صورة. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## مراجع البحث

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - أبو نبهان جاعد بن خميس:
  - جوابات أبي نبهان قطعة الأحكام.
  - مخطوطة بدار المخطوطات والوثائق في وزارة التراث القومي والثقافة.
  - حياة المهج مخطوطة.
  - سيرة أبي نبهان مخطوطة.
  - مقالات التنزيل مخطوطة أيضاً في شرح سورة الفاتحة.
- ٣ - الخصيبي، محمد بن راشد: شقائق النعمان ج ١ طبعة وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٨٩ ط ١.
- ٤ - البشري، موسى بن عيسى: مكنون الخزائن ج ١ ط وزارة التراث القومي والثقافة.
- ٥ - السعدي، جميل بن خميس: قاموس الشريعة: ١/٣ طبعة وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٨٣ ط ١.
- ٦ - الراشدي، مبارك: بحث عام التراث أبو نبهان وفكره مخطوط. الراشدي، مبارك: بحث ضمن قراءات في الخليلي.

- ٧ - الخروصي، مهنا بن خلفان: مذكرة في نسب الشيخ وشي، عن سيرته مخطوطة.
- ٨ - الخليلي، سعيد بن خلفان: تمهيد قواعد الإيمان ط وزارة التراث القومي والثقافة.
- ٩ - البوسعيدي، مهنا بن خلفان: لباب الآثار طبعة وزارة التراث القومي والثقافة.
- ١٠ - الخليلي، عبدالله بن علي: رسالة الحقيقة مخطوطة.
- ١١ - السالمي، محمد بن عبدالله: نهضة الأعيان.
- ١٢ - ابن رزيق حميد بن محمد: الفتح المبين طبعة وزارة التراث القومي والثقافة العمانية.
- ١٣ - السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان طبعة وزارة التراث القومي والثقافة جواهر النظام طبعة مكتبة الاستقامة.
- ١٤ - السيد حمد بن سيف البوسعيدي: الموجز المفيد في تاريخ البوسعيد.



(٨)

(محاضرة)

سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي  
مفتي عام السلطنة

الجانب الفقهي والاجتهادي في سيرة أبي نبهان

الحمد لله الذي له الشكر والحمد وله الثناء والمجد، سبحانه خلق فسوى وقدر فهدى وله الآخرة والأولى أحمده - تعالى - بما هو له أهل له من الحمد واثنى عليه، واستغفره من جميع الذنوب وأتوب إليه وأؤمن به وأتوكل عليه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالطريقة السواء والشرعية السمحاء والملة الحنيفية البيضاء، على فترة من الرسل وانقطاع من الوحي وضلالة من الأمم، وفساد من الأخلاق، وانحطاط من القيم، فبلغ رسالة ربه، وأدى ما حوته به من أمانة وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا هداة للبشر، وأئمة للهدى، وقادة في الدين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؛ ويؤمنون بالله وعلى تابعتهم باحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، ما أسعد هذه الفرصة التي كثيراً ما تتجدد لنا باجتماعنا في هذا المكان الطيب، في هذا الصرح الثقافي، وما أسعدنا ونحن نحكي ذكريات سلفنا الصالحين، لتعطي سيرتهم الزاهرة والاطلاع على كنوز علمهم الفاخرة، ما أسعدنا في هذا اللقاء الميمون ونحن نحكي بذكرى أحد أعلام أولئك السلف الصالح وهو العلامة الرباني الإمام أبو نهبان جاعد بن خميس الخروصي (رحمه الله) الذي حيي حياة من أجل العلم ومن أجل الحق، ومن أجل الدفاع عن الكرامة، فكان نموذجاً للعلماء الصالحين الذين يستمسكون بكتاب الله ويتبعون هدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويحيون مآثر السلف الصالح، وماذا عسى أن أقول في هذه الشخصية العلمية الفذة البارزة، التي شهد لها العلماء الأفاضل إذ شهد لها جميع العلماء الذين عاصروها، والذين جاءوا من بعدها، بالعلم الغزير وبالتقوى وبالتمسك بأهداب دين الله - سبحانه وتعالى - من غير تفريط بشيء من الواجبات؟ وماذا يمكنني أن أقول بعد أن سمعت ما سمعته من الدكتوراة والأساتذة المتخصصين الذين تحدثوا في هذه المنصة عن هذه الشخصية فأولوها حقها من الدراسة والتحليل؛ وكشفوا لنا كثيراً مما كان مخفياً من آثارها العلمية؛ إنني لأجد نفسي حياً أن أقول شيئاً. بعد هذا كله، ولكني أدلو بدلوي ﴿يبنفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾ (١).

والموضوع الذي وكل إلي الحديث فيه، هو الجانب الفقهي والاجتهادي في سيرة أبي نهبان، وإنني لأجد من بين الحضور هنا من هم أحق بالحديث مني حول هذا الموضوع لرسوخ أقدامهم في الفقه والاجتهاد ولقطة بضاعتي في هذا المجال، ولئن كان الحديث لا بد منه فإنني أريد قبل كل شيء أن أذكر بحسب ما توصل إليه فهمي من معنى كلمتي «الفقه» و«الاجتهاد» لانفذ من ذلك للحديث عن مكانة الشيخ فيهما.

فالفقه من حيث اللغة هو كما يقال: فهم ما فيه غموض، ﴿ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ (٢) أي لا تصل أفهامهم إلى ما فيه غموض من الحقائق، وهو من حيث الدلالة الشرعية، كما قال العلماء: «علم

(١) الآية رقم ٧ من سورة «الطلاق».

(٢) الآية رقم ٧ من سورة «المنافقون».

النفس ما لها وما عليها فعلا وتركها»، وقد عُرف الفقه عند الفقهاء والأصوليين بكثير من التعريفات الأخرى.

أما الاجتهاد فهو من حيث الدلالة اللغوية بذل غاية الجهد في الشيء، وأما من حيث الدلالة الشرعية فالاجتهاد هو استقراغ الفقيه الواسع في تحصيل حادثة بشرع، أي في تحصيل حكم حادثة لم يسبق النص عليها من حيث الأدلة الشرعية النصية وإنما تحمل على ما يشابهها أو يستنبط لها الحكم من الأدلة التي ليست نصية في الموضوع.

والاجتهاد ليس هو أمراً ميسوراً لكل أحد، إذ لو كان الأمر كذلك لكان كل أحد بإمكانه أن يصل إلى مصاف العلماء المجتهدين فيتحدث من تلقاء نفسه عما يراه من الأحكام الشرعية في القضايا الاجتهادية ولكن ذلك أمر موكول إلى الفقهاء الذين رسخت أقدامهم في العلم وهم الذين سماهم الله سبحانه وتعالى - أولي الأمر عندما قال - عز وجل - ﴿ولو ردهو إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾<sup>(١)</sup> أي الذين لهم المقدرة على الاستنباط.

والسلف الصالح وهم صحابة الرسول - صلى الله عليه وسلم - رضوان الله عليهم، والتابعون لهم بإحسان كانوا على درجة عالية من الفهم والادراك، فهم قبل كل شيء كانوا عرباً اقحاحاً؛ فكانوا يعرفون مقاصد القرآن الكريم من خلال تلاوتهم له، ثم بجانب ذلك قد شرفوا إما بمجالسة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإما بالتلقي عن من جالس الرسول - صلى الله عليه وسلم - فلذلك كان بإمكانهم أن يجتهدوا في النوازل المختلفة ويعطوا الحكم الشرعي فيها، وقد حصل الاجتهاد في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - نفسه وأقر المجتهدين على ما وصلوا إليه من اجتهاد. من ذلك، أن النبي - عليه أفضل الصلاة والسلام - أمر الصحابة رضوان الله عليهم أن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة عندما كانت منهم الخيانة في معركة الأحزاب فذهب الصحابة - رضوان الله عليهم - إليهم إلا أن الوقت لم يسعفهم وقد كان ذلك لحكمة لأن الله - سبحانه وتعالى - أراد لهذه الأمة أن تكون أمة لها فكر ونظر، والنبي - صلى الله عليه وسلم - يقر كل أحد على ما وصل إليه من الاجتهاد فاختلّفوا: منهم من رأى أن الصلاة لها حد موقوف لا يجوز تأخيرها عن وقتها وما معنى أمره - صلى الله عليه وسلم - أن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة إلا أن يحثوا أنفسهم حتى يصلوا إلى هناك قبل أن يفوت وقت العصر، فعليهم أن يجمعوا ما بين هذا الأمر النبوي وما بين التوقيت الرباني للصلاة. فأروا أن يصلوا الصلاة لوقتها، ومنهم من رأى أن يأخذ أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بحسب ما ظهر منه فأروا تأخير الصلاة إلى أن يصلوا إلى بني قريظة.

وقد أقر النبي - صلى الله عليه وسلم - كل فريق من الفريقين على ما وصل إليه من الفهم. كذلك نجد في كتاب الله - سبحانه وتعالى - أقرار الصحابة - رضوان الله عليهم - على ما اختلفوا فيه في أموال بني النضير الخضراء، فمنهم من رأى استئصالها ومنهم رأى إبقائها لتعود للمسلمين، فأنزل الله - سبحانه وتعالى - في كتابه: ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) الآية رقم ٨٣ من سورة النساء.

(٢) الآية رقم ٥ من سورة الحشر.

إلا أن هذا الفهم الدقيق مع اختلاط الشعوب ببعضها ببعض وفقدان الملكة العربية التي كانت راسخة في نفوس الصحابة - رضوان الله عليهم - وفقدان كيفية استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، لما كان كل ذلك أمراً عسيراً على من جاء بعدهم، فإن العلماء وضعوا أصولاً للاجتهاد بحيث يصل العالم إلى درجة الاجتهاد؛ عندما يجمع ما بين هذه الأصول.

كما هو معلوم، إن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وقد خاطب الناس بهذا الأسلوب أسلوب كلام العرب إذن؛ فإذا المجتهد لا بد أن يكون متمكناً من علوم العربية كالصرف والنحو والبلاغة وأن يكون متمكناً من علم أصول الفقه لأن هذا العلم هو الذي يعطي المجتهد ملكة النظر في الأدلة الشرعية التفصيلية من أجل استنباط الأحكام الشرعية منها، إذ أن لعلم أصول الفقه قواعد إجمالية تمكن صاحبها الذي مارسها من وضع كل شيء موضعه؛ فيؤدي به ذلك إلى الفهم الذي يقوى به على التصرف في الأدلة الشرعية التفصيلية لرد المدلولات إليها بحيث يستعمل هذه الأدلة في استنباط أحكام الشرع، ومن أمثلة هذه القواعد؛ العموم والخصوص؛ فإن المخصصات لأدلة العمومية كثيرة جداً ولذلك قيل ما من عموم إلا وقد خصص ما عدا بعض الآيات كقوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> وقوله - سبحانه -: ﴿وَلَا يَظْلَمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾<sup>(٢)</sup> وقوله - عز وجل -: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>(٣)</sup>.

فإن هذه الأدلة تؤخذ بعمومها ولا يمكن أن يقال بحال من الأحوال إنها خصصت بشيء من المخصصات.

كذلك الأجمال والتفصيل؛ فإن كثيراً من الأدلة الشرعية مجملة؛ وقد فصلت ببيان، يأتي هذا البيان في القضايا العقائدية بياناً عقلياً أحياناً، فكثير من الآيات القرآنية المجملة بيّنها العقل نحو - قول الله سبحانه وتعالى -: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾<sup>(٤)</sup>؛ فإن العقل البشري هو الذي أوصل فهم الناس الراشخين في العلم إلى كيفية وقوع الفساد مع تعدد الآلهة لو كان ذلك.

وهناك البيان الشرعي الذي يأتي في القضايا الفرعية أي القضايا الفقهية وهو كثير جداً.

فيأتي بيان القرآن بالقرآن وبيان القرآن بالسنة.

وبيان السنة بالقرآن.

وبيان السنة بالسنة.

وبيين القطعي بالظني إذ يبيّن قطعي المتن، وهو المجل مثل في الدليل الظني كالسنة الأحادية، ومما لا بد منه للمجتهد في استنباط الأحكام الشرعية وهو يتوقف على الدراسة المستفيضة لما جاء في كتب الأصوليين معرفة، المحكم والمتشابه، والمطلق والمقيد، وهما من صنف الخصوص والمشارك؛ لأن اللفظ الواحد في اللغة العربية قد يأتي مشتركاً لمعنيين أو أكثر؛ ويتوقف فهم المرادف على لسان الشارع على القرائن التي تدل على تشخيص المراد في كلامه، ومعرفة الجمع المذكور؛ ودلالة الألفاظ على الأحكام، لأن اللفظ قد يدل على الحكم بعبارته، أو بإشارته، أو بإقتضائه، أو بدلالته، ومعرفة السنة على

(١) الآية رقم ٢٩ من سورة البقرة. (٣) الآية رقم ٤٦ من سورة فصلت.

(٢) الآية رقم ٤٩ من سورة الكهف. (٤) الآية رقم ٢٢ من سورة الأنبياء.

اختلافها كالمقواتر والمستفيض، والاحادي.

ثم ان الاحادي ينقسم الى عدة أقسام، فمنه الصحيح لذاته والصحيح لغيره والحسن لذاته والحسن لغيره، ومنه ما دون ذلك، وكذلك معرفة الاجماع ومراتبه، والقياس وعلله وقواعده، والاستحسان والمصالح المرسلة، وسد الذرائع وهو باب واسع في الفقه الاسلامي، ومقاصد الشرع، وهي مما يعدّ علماً مستقلاً بحثه كثير من العلماء الراسخين في مؤلفات مستقلة، وما في الكتاب العزيز من مباحث ايضاً هو في السنة النبوية ومما يتوقف عليه ايضاً الاجتهاد معرفة السيرة النبوية على صاحبها أفضل - الصلاة والسلام - لانها مفسرة لكثير من المجلات في الكتاب العزيز؛ ويمكن الانسان من خلال معرفة تواريخ الأحداث التي مرت بالنبي - صلى الله عليه وسلم - من معرفة الناسخ والمنسوخ من الأحكام التي صدرت عنه - صلوات الله وسلامه عليه -، فإذن الاجتهاد باب واسع، ولا يمكن أن يرقى إلى منصبه إلا العلماء الراسخون في العلم الذين أشار إليهم القرآن الكريم (الذين يستنبطونه) وسامعهم (أولي الأمر) فهؤلاء هم الذين يستطيعون الاجتهاد في النوازل.

ولا ريب أن العلماء المجتهدين عندما يواجهون الجماهير بأراء جديدة في قضايا ألفوا فيها القول بخلاف ما وصل اليه المجتهدون يجعل ذلك أولئك الجماهير يتورون في وجوههم؛ لأنهم ألفوا رأياً معيناً أفتاهم به العلماء السابقون، فهم يسرون عليه، وهنا تكون المعركة والمواجهة ما بين العلماء المجتهدين والجماهير الجامدين المقلدين وخصوصاً أولئك الذين يعرفون بأنصاف المتعلمين؛ فإنهم سرعان ما ينكرون على أهل العلم اجتهادهم، ويرون أنهم جاءوا بشيء اذ منكر وكثيراً ما ينسبون إليهم أنهم خرقوا الاجماع.

والامام أبو نيهان جاعد بن خميس الخروصي (رحمه الله) هو احد أولئك العلماء المجتهدين، لأنه كان ضليعاً بالفقه الاسلامي وكان على معرفة راسخة بأصول الفقه، وبكتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - وسيرته، وكان صاحب نظر ثاقب يمكنه من معرفة مصالح الأمة مع قياس هذه المصالح على المقاصد الشرعية التي قصدها - الله سبحانه وتعالى - فيما شرع من أحكام وقصدها ايضاً نبيه - عليه أفضل الصلاة والسلام - فيما جاء به من أحكام، فلذلك كانت بينه وبين الجامدين في عصره مواجهات؛ وتدل على ذلك تلك الكلمات الحماسية الحارة التي نجدها في كتاباته، من ذلك أنه يقول لأحد سائله: (وياك ان تلثفت إلى من قال بل إلى ما قال)؛ يعني بذلك ان الحق لا يعرف بالرجال وإنما الرجال يعرفون بالحق، فأنت لا تلثفت إلى من قال هذا القول فتقيسه بقدر منزلة القائل، وإنما عليك أن تلثفت إلى ما قاله هل الذي قاله مطابق للأدلة الشرعية أو هو غير مطابق لها.

وقد قام على الجامدين في وقته وحاول أن يقتنعهم بسلامة اجتهاداته وصحة ما يقوله وإنه مستند في ذلك كله الى الأدلة الشرعية، وهو - كما قلنا - من قبل - على معرفة بالأصول وكان يناقش العلماء المتقدمين في الأصول والفروع، وكما سمعنا في البحث الذي ألقاه الشيخ الدكتور مبارك بن عبد الله الراشدي على هذه المنصة كان خلاف ما بين الشيخ أبي نيهان والأصولي الكبير ابن بركة في قضايا أصوليه فضلاً عن القضايا الفرعية من ذلك، ان ابن بركة كان يقول: إن القياس لا يصح إلا على أصل متفق عليه فالفائس عندما يقيس لا بد من ان يكون قياسه على أصل متفق عليه، أما القياس على أصل مختلف فيه فلا.

وأبو نيهان يرى خلاف ذلك يرى أن الذي اعتمد أصلاً من الأصول وترجح عنده بديل شرعي فإنه يفرع على ذلك الأصل ولو كان ما نتج عن ذلك الدليل الشرعي أمراً مختلفاً فيه بين الأمة نظراً إلى فهم كل واحد من المجتهدين، وقد ناقش ابن بركة واحتج عليه ببعض ما جاء في اجتهادات ابن بركة نفسه، فإن ابن بركة هو أحد العلماء الذين قالوا بأن للصبي أن تزوج في حال صباها ثم بلغت الحلم أن تغير من هذا الزواج سواء كان الولي الذي زوجها أباً أو غيره.

واستدل ابن بركة لذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - جعل لبريرة التي تزوجت في حال كونها رقيقة الغير، عندما ملكت أمها بعثتها ففاس غير الصبية إذا بلغت على غير المملوكة إذا اعتقت بجامع أن كل واحدة من الاثنين ملكت أمها، مع أن الإجماع على ثبوت غير المملوكة إذا اعتقت إنما هو فيما إذا كان زوجها الذي تزوجت به في وقت رقتها مملوكاً لا فيما إذا كان حراً، أما عندما يكون حراً فإن المسألة مختلف فيها بناءً على الاختلاف فيما إذا كان هذا الغير من أجل صنعة في حالة الزوج أو كان الغير من أجل أنها ملكت أمها.

وقال الإمام أبو نيهان في ابن بركة بعدما قاس هذا القياس: (وهنا ضرب أم رأسه بفأسه).

وهذه المسألة كان لها شأن في بحوث الإمام أبي نيهان، وهي من معالم اجتهاداته في عصره لأنه ذهب فيها إلى ما خالف فيه علماء عصره، إذ كانت كلمة العلماء في عصر أبي نيهان وما قبله من العصور هنا في عمان متفقة على أن الصبية عندما تبلغ لا يكون لها غير إن كان أبوها زوجها بأحد من الناس بخلاف ما إذا كان المزوج لها غير أب وهو معنى قولهم: (لا غير أن يتلوها) بما إن المزوج هو الأب الشرعي كانوا يرون أنه لا غير لها.

وقد أفتى أحد أهل عصره بأن الخروج على هذا الرأي يعتبر حجراً محجوراً لأنه لا يجوز لأحد أن يتجاوز رأي الجمهور، وهنا اعترض الإمام أبو نيهان على هذه الفتوى بشدة وقال: إن العبرة بما وافق الدليل وليست العبرة بما ذهب إليه الجمهور، فقد يكون الدليل مؤيداً لرأي خارج عن الجمهور، وقد يكون مؤيداً لرأي الجمهور فلا معنى للاعتقاد برأي الجمهور دون غيره.

ومسألة الصبية - قبل كل شيء - فيها خلاف بين أهل العلم هل يجوز أن تزوج؟ أم لا يجوز أن تزوج؟ فمنهم من أجاز تزويجها على الإطلاق، ومنهم من حد ذلك حدوداً كما سمعنا في بعض البحوث التي قدمت بالأمس وبالأمس الأول، وهناك رأي يمنع تزويجها على الإطلاق ما دامت صبية.

هذا الرأي منسوب إلى الإمام أبي الشعثاء جابر بن زيد - رضي الله عنه - وقد روي أيضاً عن ابن شبرمة فقد كان هذان الإمامان يريان أنه لا يجوز تزويج الصبية ولعلهما يريان أن تزوج النبي - صلى الله عليه وسلم - بأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - في حال صباها كان أمراً خاصاً به عليه أفضل الصلاة والسلام من أجل أن الله - سبحانه وتعالى - جعل له من الأمر ما لم يجعل لغيره عندما قال عز وجل: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾<sup>(١)</sup>.

والجمهور رأوا أن في تزوج النبي - صلى الله عليه وسلم - من أم المؤمنين عائشة - رضوان الله عليهما - دليلاً على جواز تزوج الرجل بالصبية.

(١) الآية رقم ٦ من سورة «الأحزاب».

وانما اختلفوا في الوقت الذي يجوز تزويجها فيه ويجوز لولي أمرها أن يزوجه فيها بحسب نظرهم إلى مصالحها كما ذكر ذلك، وهؤلاء الذين أجازوا تزويجها اختلفوا فيه على رأيين. هل هذا التزويج ثابت أم أنه موقوف؟ ونحن نرى أن الامام أبانها - رضي الله تعالى عنه - مع اجتهاده في هذه المسألة وحرصه على أن يتبع فيها النهج الصحيح الذي تدل عليه الأدلة الشرعية عندما قال بثبوت الغير لها وذكر أن علماء السلف المتقدمين كانوا يرون لها الغير إلا أنه حدث بعد ذلك عند الخلف القول بعدم جواز الغير لها وإن ذلك الزواج ملزم لها أن كان زوجها أبوها نجد أن هذا الامام مع هذا كله ربما يلاحظ على رأيه بعض الملاحظات ذلك بأنه رجح في هذه المسألة أن هذا الزواج موقوف إلى بلوغها وترتب على ذلك أنه فرّع كثيرا من التفريعات التي ترتب على هذا التأصيل منها أن هذا الزوج لو توفي في حال صباها كيف يكون أرثها منه؟ يقول: يكون أرثها منه موقوفا إلى حالة بلوغها فإن بلغت سنلت هل هي الآن في حال بلوغها ترى نفسها راضية بذلك الزوج بحيث لو كان ذلك الزوج حيا لرضيت به أو لا؟ فإن قالت نعم فإنها في هذه الحالة تطالب باليمين بأن ذلك الزوج لو كان حيا لرضيت به زوجها وعندئذ إن حلفت تعطى الارث وإن نكلت عن اليمين لم تعط من الارث شيئا، فهو يبيّن ما يقوله في هذه المسألة الفرعية على ما أصله من كون هذا الزواج موقوفا، ونجد تفريعات أخرى هي واضحة جدا في الدلالة على أنها مبنية على هذا التأصيل منها أن هذه الصبية لو لم يدخل بها هذا الرجل ثم عند بلوغها غيّرت فإنها تحل لابنه وتحل لبيه وتحل له أمها وتحل له ابنتها التي تلدها من بعد لأن هذا الزواج الذي كان بينهما يعتبر كأنه لم يكن شيئا.

هذه من جملة التفريعات التي فرعها على القول بأن هذا الزواج موقوف، ولكن يلاحظ بأنه مع هذا كله أباح هو وغيره الدخول بهذه الصبية فإذن يتبين من خلال ذلك أن في التفريعات تناقضات فقد كان يلزم على القول بالوقف، وإن هذا النكاح ليس بشيء إلا بياح للزوج أن يدخل بها في حالة صباها، حتى تبلغ ويتم هذا الزواج لأنه إن كان موقوفا لا يتم له إلا باقرارها إياه بعد بلوغها فكيف بياح له وطؤها مع أن إباحة الوطء متفرعة على صحة الزواج.

وقد تنبه لذلك الامام نور الدين السالمي (رحمه الله تعالى) فألف في هذا رسالة موسعة سماها (ايضاح البيان في تزويج الصبيان) وقد رد كل فرع من هذه الفروع إلى أصله وأقر كل شيء موضعه. كذلك نجد للامام أبي نيهان (رحمه الله تعالى) الكثير من الآراء التي يخالف فيها جمهور العلماء ومما يدل على أنه اجتهد فتوصل إلى ما توصل إليه من الرأي الذي راه، فمن هذه الآراء ما يتعلق بأحكام الطهارات كان يرى أن الماء اليسير الذي تتحلل فيه نجاسة ولا تؤثر عليه طعما ولا لونا ولا ريحا لا ينتقل عن حكمه الأول وهو الطهارة إلى النجاسة بل يراه على حكمه السابق فهو طاهر مطهر وهذا خلاف ما ذهب إليه جمهور علماء المذهب بل هو خلاف ما ذهب إليه جمهور علماء الأمة الذين يفرقون بين القليل والكثير فيرون أن الكثير لا يتنجس عند ملاقة النجاسة إلا عندما يتغير لونه أو طعمه أو ريحه، وأما القليل فإنه يتنجس بمجرد هذه الملاقة ولو لم يتغير أي وصف من أوصافه.

وقد ذهب في المتقدمين ما ذهب إليه الامام أبو نيهان بعض الصحابة رضوان الله عليهم ومن بين هؤلاء ابن عباس وأبو هريرة - رضي الله تعالى عنهما - وكذلك ذهب إليه جماعة من علماء التابعين ومنهم

الامام أبو الشعثاء جابر بن زيد وتلميذه الامام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي (رحمهم الله) وهو الرأي المشهور من مذهب الامام مالك، وقد قال به بعض علماء المذاهب الأخرى أيضا، ومن بينهم الامام الغزالي كما في كتاب (إحياء علوم الدين) وقال ابن العربي في كتاب (أحكام القرآن) وقد فاوضت الطوسي الكبير في هذه المسألة وقال: إن أعدل المذاهب فيها مذهب مالك وفيها مناقشات كثيرة لأهل العلم.

وميل الامام أبي نيهان الى القول الذي خالف رأي الجمهور دليل على أنه اجتهد فتوصل إلى هذا الرأي باجتهاده كذلك كان أكثر علمائنا يرون كراهة السواك للصائم وهم في ذلك مختلفون منهم من يرون هذه الكراهة بعدما تزول الشمس ومنهم من يراها تبدأ من وقت الصباح ومنهم من فرق بين الرطب واليابس فأباح السواك من غير كراهة للصائم باليابس دون الرطب، ورأى الكراهة في الرطب والامام أبو نيهان بعدما ذكر ما ذكره عنهم نقل قول الامامين جابر والربيع بأن السواك لا يكره ثم أشار إلى ميله لهذا الرأي بقوله (وانهما لمن أولي البصر) وما ذكر ترجيحاً صريحاً لكن يفهم من قوله (وانهما لمن أولي البصر) ما يدل على أنه يميل الى هذا الرأي ولا ريب ان هذا الرأي يعتضد بكثير من الأدلة، منها حديث أبي هريرة الذي أخرجه الامام الربيع في مسنده والامام مسلم ان النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ولو أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة وعند كل وضوء) ولم يفرق بين حالة صيام وغيرها ومنها حديث أخرجه أبو داود أن أحد الصحابة ذكر انه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - يستاك بالرطب واليابس وهو صائم ما لم يحصي، ودلالة حديث أبي هريرة على ذلك من حيث إنه لم يفرق بين حالة صيام وحالة غيرها.

أما الذين قالوا بالكراهة فإن غاية ما استدلوا به حديث الرسول - ﷺ - : (لخوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) وليس في هذا دلالة واضحة على كراهة السواك في الصوم وإنما خلاصة الحديث أن الخلو له فضل عظيم على أن هذا الخلو لا يذهب بالسواك إنما يذهب بالسواك اثر الصفرة التي في الاضراس والصفرة شيء والخلو شيء آخر.

كذلك نجد من أراء الامام أبي نيهان في مسائل الحج ما يخالف رأي الجمهور كثيراً، فهو يخالف الجمهور الذين يتشددون في الزام الدم عندما يحدث للإنسان حادث ربما كان متسبباً له ولكن كان تسببه بما لا يكره له مباشرته، كان يباشر عمل شيء كطبخ طعام أو حمل متاع فبسبب ذلك يدمى شيء منه فإنه يرى في هذه الحالة عدم وجوب الدم عليه، وهو اجتهد فيه تيسير على الناس، والأصل عدم الوجوب والوجوب، نفسه إنما يتوقف على دليل شرعي إذ هذا وإن كان باسراً ما باشره مما أدى به إلى الادماء إلا أن هذا الادماء لم يكن بمباشرة غير جائزة له ولا بمباشرة منه.

ونجده يتعقب كثيراً من الأراء، التي حفلت بها كتب العلماء من قبله فيناقشها مناقشة المجتهد الفاهم المتمكن من ذلك.

إن كثيراً من العلماء قالوا من باب الاحتياط إن المرأة التي بلغت سن الحيض ولم تحض، ان كانت متزوجة وطلقت تعدت عاماً كاملاً من أجل الاحتياط، تسعة أشهر احتياطاً لثلاث تكون حاملاً لان غالب الحمل يكون تسعة أشهر، وثلاثة أشهر من أجل عدة الطلاق، لغير الحامل من جنسها فإن المطلقة التي

لم تبلغ سن الحيض تعدد ثلاثة أشهر وكذلك الأيس من الحيض كما نص على ذلك القرآن في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّائِي يُمْسِنُ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنَّ﴾<sup>(١)</sup> ولربما مع تقادم العهد ظن كثير منهم بأن ذلك أمر لازم وأخرجه عن باب الاحتياط إلى باب الإلزام، والامام أبو نيهان (رحمه الله) قال: إنه لا وجه للإلزام ذلك، نعم، الاحتياط باب واسع ولها أن تحاط حتى تطمئن نفسها فإن البر ما اطمأنت إليه النفس والاثم ما حاك في الصدر فإن كانت في ريب من كونها حاملا فليس لها أن تتزوج حتى ولو مضى عليها أمد طويل إلى أن يزول هذا الريب من نفسها وأما أن لم يكن هنالك ريب في كونها حاملا فيجبها من حيث اللزوم أن تعد بثلاثة أشهر فقط عملا بما دل عليه قول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنَّ...﴾ وهناك أيضا الكثير من الآراء التي قال بها المتقدمون في باب العدد فيها كثير من الاحتياط.

والامام أبو نيهان لم يمانع الاحتياط ولكنه خالفهم في الإلزام، من ذلك أن المرأة ان كانت حيضتها المعتادة عشرة أيام، ثم طلقت وحاضت ثلاث حيض دون العشرة وذلك بأن تحيض مثلا خمسة أيام أو ستة أيام أو سبعة أيام أو ثمانية أيام أو تسعة أيام فإن أولئك العلماء المتقدمين قالوا فيها بأنها تقوت مطلقا بحيضها ذلك ثلاث مرات ولكن تمنع من الزواج حتى تحيض ثلاث حيضات كما كانت تحيض من قبل وقالوا أيضا فيما إذا كانت المرأة من عاداتها أن تحيض أكثر من ثلاثة أيام وحاضت إحدى الحيضات الثلاث يومين، وذلك بأن تحيض في المرة الأولى يومين وتحيض في المرتين الأخريين بحسب عاداتها أو تحيض في المرتين الأولىين بحسب عاداتها ثم تحيض الحيضة الثالثة يومين قالوا: إنها تقوت مطلقا ولا يحل لها أن تتزوج حتى تحيض ثلاث حيضات أكثر من يومين وهذا مبني على اختلاف في أقل الحيض وأكثره فإن العلماء مختلفون في أقوال الحيض فمنهم من قال: أقل الحيض دفعة ومنهم من قال: إن أقل الحيض يوم ومنهم من قال: بأن الحيض يوم وليلة ومنهم من قال ان الحيض يومان، ومنهم من قال: أقل الحيض ثلاثة أيام وهذا الذي ذهب إليه معظم علماء المذهب وهو مذهب الحنفية، وهو الذي يؤيده حديث الامام الربيع في مسنده عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك ان النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (أقل الحيض ثلاثة أيام وأكثره عشرة أيام).

فلا ريب أن الذين اعتبروا أن أقل الحيض يومان يرون انها عندما تحيض يومين لمدة ثلاث مرات تكون عدتها قد انتهت، فتقوت بذلك مطلقا وتحل للزواج. والذين يقولون بإنها لا يمكن ان تحيض أقل من ثلاثة أيام يرون أن حيضها لا بد من أن يكون ثلاث مرات وأن يكون في كل مرة من ثلاثة أيام فصاعدا لا أن يكون في واحدة من تلك المرات أقل من ثلاثة أيام.

والامام أبو نيهان يلاحظ على أولئك بأنهم إما أن يقولوا أن الحيض لا يكون إلا ثلاثة أيام فصاعدا وعليه فإنها تكون غير خارجة من العدة، ولئن كانت غير خارجة من العدة فإن مراجعة

(١) الآية رقم ٤ من سورة الطلاق.

الزوج لها حق واجب بنص كتاب الله عندما قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿والمطلقات

يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن أن كن

يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك﴾<sup>(١)</sup> أي في مدة ثلاثة قروء

بعولتهن أحق بردهن فما وجه تفويتها على زوجها المطلق لها إن كانت لم تتربص ثلاثة قروء؟ وما

وجه عدم تحليلها لمن تريد أن تتزوج به إن كانت تربصت ثلاثة قروء؟ فإذا أن يكون القراء يومين

فصاعدا أو يوما فصاعدا أو دفعة فصاعدا وإما أن لا يكون إلا ثلاثة أيام فعلى كل قول من هذه

الأقوال يجب أن تترتب عليه تفريعات في الجزئيات الأخرى التي تعود إليه في هذه المسألة، وهذا

واضح فإن المرأة طبيعية الحال مأمورة بالتربص ثلاثة قروء والثلاثة القروء هي قبل كل شيء

مختلف فيها فإن القراء أو القروء مختلف فيه هل المراد به الحيض أو الطهر؟ وقد قال بكل واحد

من هذين القولين جماعة من علماء السلف من لدن الصحابة والتابعين ومن بعدهم واستمر الخلاف

في ذلك إلى وقتنا هذا وهذا مبني على النظر إلى لفظة القراء أو القروء فإن هذه اللفظة مشتركة تطلق

على الحيض وتطلق على الطهر، فالقراء يأتي بمعنى الطهر ويأتي بمعنى الحيض، واستعمل العرب

هذه اللفظة في كلا المعنيين فمن شواهد إطلاق القراء على الحيض قول الشاعر:

ورب ذي ضغن عليّ فارض له قروء كقروء الحائض  
ومن إطلاق القراء على الطهر قول الأعشى:

أفي كل عام أنت جاشم غزوة تشد لأقصاها عزائم عزائك  
موروثه مالا وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائك

وقروء النساء التي تضع فيما إذا كان أزواجهن في الحرب هي الاطهار وليس الحيض لانهم

يتمكنون في الاطهار من مباشرتهن والاستمتاع بهن ولا يتمكنون من ذلك في حال حيضهن.

وانما بقي النظر فيما أراد به الشارع الحكيم في الآية الكريمة هل أراد بالقراء الحيض أو الطهر فكل

فريق من الفريقين له استدالات لان هذا اللفظ - كما قلنا - لفظ مشترك، واللفظ المشترك لا يصار إلى

أحد معنييه أو إلى أحد معانيه عندما يدل على أكثر من معنيين إلا بقريضة تخصص المراد، والذين قالوا

بأن المراد الحيض استدلوا بالكثير من القرائن التي جعلتهم يذهبون إلى هذا الرأي. من ذلك قول الله

سبحانه وتعالى: ﴿ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن﴾ والمراد بذلك الحيض

والحمل في قول أكثر المفسرين.

والحيض وجوبي والطهر دمي فإذا الالتفات إلى الشيء الوجوبي ومن ذلك أيضا أن النبي - صلى

الله عليه وسلم - استعمل لفظة الاقراء في الحيض في قوله عليه أفضل الصلاة والسلام لإمرأة

مستحاضة: (اتركي الصلاة أيام اقرائك) وهي ترك الصلاة في أيام حيضها، ومن ذلك أيضا: (طلق

الأمه تطليقتان وعدتها حيضتان) وهو وان كان ضعيف الاسناد إلا أنه يستدل به وأخذت بمدلوله جماعة

من العلماء في غير هذا المعنى فإذا الاستدلال به على هذا المعنى أيضا وارد، ومنها حديث عائشة في

(١) الآية ٢٢٨ من سورة البقرة.

مسند الامام الربيع ابن حبيب أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (الرجل أحق بزوجه ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة).

أما الفريق الآخر فإنهم استدلوا بأدلة كثيرة من هذه الأدلة أن الله - سبحانه وتعالى - قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾<sup>(١)</sup> وقد شرع بنص حديث ابن عمر الطلاق في حالة الطهر لا في حالة الحيض، فقد شرع الطلاق في طهر ما لم يباشرها فيه إلى غير ذلك من الأدلة الأخرى والمقام لا يتسع لبحث هذه المناقشات فإنها مناقشات مستفيضة جمة وقد كثر فيها الإخذ والرد بين العلماء المتقدمين والعلماء المتأخرين كثيراً، فإذن هذه التفريعات كلها مبنية على ترجيح الرأي القائل بأن المراد بالقروء الحيض لا على رأي الذين يقولون إن المراد بالقروء الاطهار، كذلك نجد من المناقشات العجيبة للامام أبي نيهان - رحمه الله تعالى - تعقبه على صاحب الضياء عندما حكى الإجماع إن المرأة عندما تطلق بعد أن يرخي الزوج عليها سترها مع دعواها واعتراف الزوج بموجبها أنه لم يباشرها في حالة الستر فإن صاحب الضياء قال من حيث العدة لا يصدقان في ذلك وتجب عليها العدة إجماعاً، وقد أنكر ذلك عليه الامام أبو نيهان إنكاراً بالغا وقال إن الإجماع غير وارد في هذه المسألة، إذ العلماء مختلفون في أصل العدة نفسها، هل هي حق للزوج أو حق لله فالذين قالوا إنها حق للزوج نظروا إلى أنها شرعت من أجل مراعاة حقوقه واستدلوا ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمَنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدَةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾<sup>(٢)</sup> والذين قالوا بأنها حق لله - سبحانه وتعالى - رأوا أن هذا الحق لا يمكن أن يسقطه الزوج بحال من الأحوال ولو أن هذا الزوج بعدما طلقها وقد باشرها قال: اذهبى فتزوجي بمن شئت لما كان له ذلك إذ يجب عليها أن تتربص ثلاثة قروء والله سبحانه وتعالى بعدما ألزمها ذلك لم يكن لزوج ولا غيره أن يسقط ما ألزمها الله.

ولكن هما متقارران في أن سبب العدة وهو المباشرة لم يحصل فالزوج يقول بانه لم يباشرها وإن أرخى عليها الستار. والمرأة أيضاً تقول إنه لم يباشرها فهما متقارران على عدم وقوع السبب الذي يوجب العدة، وهو المباشرة لأن العدة علقت على المسيس بنص القرآن عندما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمَنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾<sup>(٣)</sup> ولم يقل من قبل أن ترخا عليهن سترها، وقد اعترفا جميعاً بعدم المسيس، فالامام أبو نيهان يقول: (الذين قالوا إن العدة حق لله - سبحانه وتعالى - يرون أن هذه العدة لا تسقط باعتراف الزوج أنه لم يباشرها، لأن الرية حاصلة بسبب ما حصل من إرخاء الستر بينه وبينها، ومن العلماء من يشترط في هذه الحالة بأن لا يكون هنالك موجب شرعي لعدم المباشرة وذلك بأن لا يكونا صانمين أو يكون أحدهما صانماً صياماً مفروضاً وأن لا يكونا مهلين بحج أو بعمره في حالة إرخاء الستر، إذ لو كانا مهلين بحج أو بعمره فإنما شرعاً لا يجوز لهما أن يقع منهما الجماع.

أما عن القول بأن هذه العدة هي حق للزوج والزوج يعترف أن السبب الموجب لهذا الحق لم يحصل

(١) الآية رقم ١ من سورة الطلاق.

(٢، ٣) الآية رقم ٤٩ من سورة الأحزاب.

فإذا ما وجه إلزامها العدة وعدم جواز التزوج بها حتى تنتهي هذه العدة فهي تدعي بأن السبب غير حاصل والزوج يقرها على ذلك ثم اتبع ذلك قوله: ولا يبعد أن يتخرج حتى على قول من قال بأن العدة حق لله - سبحانه وتعالى - أن يباح لها التزوج عندما يتقارران على عدم الوطء، ذلك لأنها أمانة على هذا الحق ثم فرّق بين هذا الذي راه تخريجاً وبين الرأي الآخر بأنها بناء على أنها حق للزوج تصدق حكماً، وبناء على أنها حق لله تصدق طمأنينة ثم قال: (ولا يخرج أن يخرج على قول من قال بأنها حق الله - سبحانه وتعالى - وقال تصدق في عدم وطء الزوج لها، وإقرار الزوج لها على عدم الوطء نظراً إلى هذا الحق كما سبق هي مؤتمنة عليه فهي مطالبة حكماً بأن تكون أمانة فيه، وهذا الذي ذكره الرأي سابغ أي تصديقها حكماً بأن الله - سبحانه وتعالى - جعل القضايا التي تجب على الإنسان فيما بينه وبين ربه ولا يطلع عليها غيره من الناس جعل هذه القضايا تعود إلى من تعبد بها، فالمرأة بما أنها متعبدة في مسألة العدد أن يراعي وما وجب عليها من حق فيها كان أمر انتهاء عدتها أو عدم انتهاء العدة راجعاً إليها.

فالمرأة عندما تدعي أن عدتها قد انتهت في مدة بعد ما يمر بها من الزمن مقدار ما تنتهي فيه عدتها عادة على الاختلاف في أقل الحيض وأكثره، وأقل الطهر وأكثره تصدق هذه المرأة عندما تدعي أن عدتها قد انتهت ويوكل إليها أمر جواز تزوجها بمن شاءت من الأزواج وكذلك عندما تدعي أن هذه العدة باقية فإن هذا الأمر يكون موكولاً إليها وهي أمانة في ذلك عندما تدعي بقاء العدة من حيث وجوب النفقة لها، وارثها لذلك الزوج المطلق لها في أثناء العدة إن مات وقد كان الطلاق رجعيًا، وهذا مما يدل عليه قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾.

فمسألة العدد تعود إلى المرأة من حيث خروجها من العدة أو عدم خروجها منها، وكذلك عندما يتقارر الزوجان بأن الوطء غير حاصل، فإذا ما المانع من أن تصدق هذه المرأة طمأنينة أو حكماً، مع تصديق الزوج لها بأنه لم يواقعها؟ ويباح لها أن تتزوج بعدئذ بمن شاءت من الأزواج فإن: هذه القضايا كلها إنما ترجع إلى النظر الدقيق في المسائل الفقهية، ومعرفة أصولها ونرى فيما دونه الامام أبو نيهان في مسائل الفقه نموذجاً حياً لما ينبغي أن تكون عليه كتب الفقه، من الجمع ما بين تأصيل الأحكام الشرعية وما بين النظر إلى الجانب الروحي ووصل هذه النفوس بالله - سبحانه وتعالى - واليوم الآخر، فإن أسلوب الامام أبي نيهان فيما دون من كتب أسلوب يتميز عن بقية الأساليب بالندوة فهو لا يناقش الأحكام الفقهية وحدها وإنما يضيف عليها جواً روحياً بحيث يذكر دائماً بالله - تبارك وتعالى - وبالمُنْقَلَب واليوم الآخر وبالْعَذَابِ والثواب ويذكر النفوس بما عليها من حقوق لله تبارك وتعالى للعباد ويذكر بقاء الله وبالمسئولية بين يديه - جل وعلا - وهذا مما يجعل المسائل الفقهية ندية غير جافة وهو أسلوب نابع من القرآن الكريم نفسه، فإننا عندما نرجع إلى كتاب الله - سبحانه وتعالى - سواء في الأحكام التي تتعلق بالنواحي الاجتماعية أو الاقتصادية أو غيرها: نجد هذا الوصل ما بين الفقه وما بين الجانب الروحي بحيث يأتي التفكير بالله والأمر بتقواه وابتغاء بأسه في كل ذلك، ذلك فالله - سبحانه وتعالى - عندما شرع ما شرع من أحكام الحج في قوله: ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ

لله<sup>(١)</sup> ختم هذه الآية بقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(٢)</sup> ثم عندما ذكر بعد ذلك ما ذكر من أحكام الحج في الآية التالية لها قال: ﴿وَتَزُودُوا فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٣)</sup> ونجد في معرض أحكام الطلاق: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾<sup>(٤)</sup> ﴿وَمَنْ يَزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾<sup>(٦)</sup> ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظَمْ لَهُ أَجْرًا﴾<sup>(٧)</sup> ونجد في أحكام الدين: ﴿وَلِيَقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾<sup>(٨)</sup> تكررت مرتين ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾<sup>(٩)</sup> وهكذا أحكام الجهاد والقتال في الاسلام والله سبحانه وتعالى يقرنها بالأمر بالتقوى وبذكر اليوم الآخر وان معيته - سبحانه وتعالى - للمتقين.

وكذلك أحكام النكاح كما ورد ذلك في سورة البقرة وغيرها كل من ذلك يدلنا على أن وصل هذه القضايا الفقهية بالقيم الروحية وعرضها بصورة ندية لا بصورة جافة أمر لا بد منه؛ وهذا المسلك هو الذي سلكه الامام أبو نهبان - رحمه الله تعالى - في رسائله وكتبه فإنه كثيرا ما كان يعظ ويذكر ويخوف من عقاب الله - سبحانه وتعالى - ويبشّر بثوابه - عز وجل - ويذكر الناس باليوم الآخر لئلا يكونوا غافلين عن ذلك اليوم.

ومما ينبغي ايضا أن لا ننساه في هذه العجالة القصيرة من الحديث عن الجانب الفقهي والاجتهادي في سيرة الامام أبي نهبان الجانب الاصلاحى الذي قام به فهو قاوم الكثير من البدع كما هو واضح في رسائله المتعددة، من ذلك مقاومته لما كان عليه الناس في ذلك الوقت من أكل أموال اليتامى والأرامل عندما يموت الميت بحيث يقدون على أصحاب العزاء مخالفين بذلك السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام في عدم ائثال صاحب العزاء بالوفود عليه والنزول به مع تكلف تقديم الطعام إلى النازلين.

وفقد كان مقاوما لهذه البدع السيئة وكتب في ذلك رسالة حذر فيها الناس من أكل أموال هؤلاء اليتامى والأرامل والضعفاء والمحتاجين وقال: إنهم يضاعفون في ذلك المصيبة على صاحبها وصور حال الناس وهم يقدون الى أصحاب العزاء وذكر أنهم يذهبون إليهم رجلا وركبانا فمنهم من يركب على الحميم ومنهم من يركب على الأبل حين ينزلون بهم ويأكلون من طعامهم ويتكلف هذا المصائب بجانب ما أصيب به في حميمه وقريبه أن يضحي بجانب كبير من ماله أو أن يضحي بمال ذلك المتوفى، ومال ذلك المتوفى يعود الى ورثته وفي ورثته اليتيم والأرملة والغائب وغيره وكل من ذلك انما من باب أكل الأموال بغير حق والله - تبارك وتعالى - يقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾<sup>(١٠)</sup> ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾<sup>(١١)</sup> وليس هذا الباب من أبواب التجارة التي يباح فيها نقل المال من أحد إلى أحد ويستساغ بطريقه أكله، ومن أجل سد هذا الباب والقضاء على هذه العادة كان يرى أنه لو أوصى أحد من الناس بإقامة العزاء له يرى أن تبطل هذه الوصية، وقد أثبت ذلك في رسالته هذه وهو الذي نقله عنه الامام السالمى (رحمه الله) بقوله:

**وَأَبَى نَهْبَانُ فِي أَجُوبَتِهِ      مِيلَ إِلَى إِبْطَالِهِ بَجَهْتِهِ**

(١) الآية رقم ١٩٦ من سورة البقرة، (٩،٨،٧،٦،٥،٤) الآيات من سورة الطلاق.

(٢) الآية رقم ٧ من سورة الحشر، (١٠) الآية رقم ٢٨٢ من سورة البقرة.

(٣) الآية رقم ١٩٧ من سورة البقرة، (١١) الآية رقم ٢٨٢ من سورة البقرة.

فكان يرى أن هذه الوصية وصية باطلة وكان يرى أيضاً عدم الخروج عما سار عليه السلف الصالح من احترام أموال المسلمين واحترام دمايتهم، وعدم سفكها إلا بموجب شرعي وأن مال المسلم مصون حتى ولو أبيع سفك دمه من أجل برئه وخروجه عن ما يوجب عليه الشرع عندما يرتكب ما يوجب عليه حداً شرعياً يؤدي إلى سفك دمه.

وقد نبتت في بلاد الاسلام في ذلك الوقت نابتة استباحة دماء المسلمين وأموالهم فكان الإمام أبو نيهان شديد الانكار عليها وربط مسلكتها هذا بمسلك الخوارج من الأزارقة والنجدية والصفرية وقال إنهم كانوا بعد أن انقضت طوائفهم انقضت بدعتهم ولم يكن هناك من يستبيح أموال المسلمين حتى عادت هذه القضية من جديد فإذا اجتماع المسلمين على ما عليه السلف الصالح من احترام دماء المسلمين وأموالهم أمر ضروري من أجل الاستقامة في دينهم وعدم الخروج عما يقتضيه كتاب ربهم وسنة نبيهم عليه أفضل الصلاة والسلام ولربما تعجب بعض الحاضرين ممن لم يدرسوا الخلفيات ما سمعوه من بعض البحوث التي قدمت من اطراء الإمام أبي نيهان أو ثنائه البالغ على الإمام أبي سعيد الكدمي - رحمه الله تعالى - وكيف كان يجل هذا الإمام ويحترم آراءه ويقدمه على غيره من الأئمة المسلمين وهذا أمر له خلفيات نرى أن نعرضها بصورة موجزة فالإمام أبو سعيد الكدمي - رحمه الله - كان رجلاً مُصلحاً وقد وقف في وجه بدعة انتشرت هنا في عمان وكانت ضرراً كبيراً على الناس وتصدى لها بالحجج الدامغة واطهار البراهين الساطعة حتى استطاع أن يرد الكثير من الناس عن مسلكتها وأصول ذلك أنه عندما قام راشد بن النضر وموسى بن موسى على الإمام العادل الصلت بن مالك - رحمه الله تعالى - وأقصوه عن مكان الإمامة وقع ارتباك عند أهل عمان فممنهم من رأى عذرها نظراً إلى أن الإمام قد بلغ من الكبر عتياً وأنهما قصداً بذلك الإصلاح.

وممنهم من رأى أنهما لا يعذران وهما قد أحدثا حدثاً في الاسلام بخروجهما على الإمام العادل ويجب أن ينزلا منزلتهما من البراءة منهما ومن فعلهما هذا، ومنهم من توقف.

وقد كانت هناك رسائل متبادلة ما بين هذه الفرق الثلاث وحصل الأخذ والرد عند العلماء المتقدمين، ثم إن البعض ممن جاء من بعدهم رأى الغلو في هذه المسألة فتشدد في ذلك وقال بوجود معرفة هذا الحدث، وأن من لم يعرفه فهو غير معذور وعلى الناس رجالهم ونسائهم وصغارهم وكبارهم أن يبحثوا عنه عند العارفين به، فكان الناس يخرجون قوافل إلى سمائل وصحار من أجل البحث عن هذه الفتنة بموجب تلك الفتوى الملزمة لهم، فتصدى الإمام أبو سعيد - رحمه الله تعالى - لذلك ووقف في وجه المغالين في هذه القضية وقال: إن من لم تقم عليه حجتها فهو غير مطالب بأن يعتقد فيها شيئاً إذ الأمور بالنسبة للإنسان ثلاثة، أمر بأن له رشد فعلي أن يتبعه وأمر بأن له غيّه فعلي أن يجتنبه وأمر أشكل عليه فعلي أن يكله إلى الله، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ (١).

وما من داع إلى بحث القضايا التي مرت وما الذي يعيننا بالكف منها؟، والله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿تِلْكَ أُمَةٌ قَدْ خَلَّتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (٢) فنحن لا نسال عن أعمالهم وإنما ذلك أمر يرجع إلى

(١) الآية رقم ٣٦ من سورة الاسراء.

(٢) الآية رقم ١٣٤ و ١٤١ من سورة البقرة.

الله، والله هو يعلم السرائر من عبادته.

وقد ألف في هذا كتاب الاستقامة بأسره من أجل الدعوة إلى نبذ هذا الغلو والبعد عن هذا التطرف ومع ذلك كله بقي الناس في تلك الفترة منشفين على انفسهم .

منهم من يرى مذهب المغالين في هذه القضية وأن عدم دراسة هذا الموضوع يؤدي إلى جهل بما يجب فهمه من الدين.

ومنهم من كان على رأي الإمام أبي سعيد؛ ثم انقضت هذه الفتنة وزال الشقاق في عهد الامام ناصر بن مرشد إلا أن العلماء المتأخرين وفي مقدمتهم الامام أبو نيهان ثم جاء من بعده الامام المحقق سعيد بن خلفان الخليلي ثم كذلك الامام نور الدين السالمي كانوا بسبب اعجابهم البالغ بموقف الامام أبي سعيد الصلب في مواجهة هذه البدعة يحرصون على اظهار مناقبه ويثنون عليه خيرا كثيرا وقد أشار الامام السالمي في جوهره إلى هذا الافتراق الذي حصل وإلى ما حصل من بعد اجتماع الشمل في هذه القضية عندما قال :

**من أجلها أهل عمان افترقوا  
حزب أبي سعيد الموفق  
حزبين فاز بعضهم ووفقوا  
على الهدى ومن بري منه شقي**  
وقال عن الفريق الآخر المغالي في هذه القضية:

**وحزبهم لم يبق منه أحد  
إذ ليس تخل الأرض من محقق  
ذهابهم بسبب الإمام  
سلييل مرشد فكان ناصرا**  
فهذا الذي دعا الإمام أبا نيهان إلى الاعجاب البالغ بالإمام أبي سعيد والاشادة به في مؤلفاته وتفضيله على الكثير من الائمة الذين عاصروه أو الذين جاءوا من بعده، كما سمعنا ذلك من بعض من تقدم وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الحرص على الاستمسك بالحق وعدم التفريط في وحدة الأمة وعدم السعي إلى ما يمزق شملها ويقطع أوصالها، فإن التفريق الذي يحصل بين طائفة من الامة ينعكس أثره على الجميع فمن هذه الناحية كان الإمام أبو نيهان من المعجبين جدا بالامام أبي سعيد الكدومي (رحمهم الله) تعالى جميعا .

ونقتصر على هذا القدر ونسال الله - سبحانه وتعالى - أن يعيننا على الخير وأن يصرف عنا الشر كله ولا يفوتني بهذه المناسبة الغالية العريضة أن أسدي الثناء والشكر الى وزارة التراث القومي والثقافة ممثلة في جميع من فيها وفي مقدمتهم صاحب السمو السيد فيصل بن علي وزير التراث القومي والثقافة وأن اشكر هذا المنتدى ممثلا في جميع رجاله وجميع العاملين في المنتدى سائلا الله - تبارك وتعالى - أن يأخذ بأيديهم إلى ما فيه خير هذا الشعب تحت القيادة الرشيدة لصاحب الجلالة السلطان المعظم ونسال الله - سبحانه وتعالى - دائما للكل التوفيق لكل الخير واشكركم على انصاتكم.

**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.**



(٩)

جانب الإلهيات  
في فكر العلامة المحقق  
أبي نبهان الخروصي

إعداد

الدكتور مبارك بن سيف بن سعيد الهاشمي

الأستاذ المساعد بكلية التربية

جامعة السلطان قابوس

١٩٩٦م

الحمد لله الكريم المنان ذي الفضل والاحسان الذي خلق الانسان وعلمه البيان ومن عليه بالقرآن هداية الى طريق الجنان وانقاذاً من مكاييد الشيطان البالغة الى الهلاك والنيران والصلاة والسلام على سيد الأنام الذي أرسله الله - عز وجل - ليخرج الناس من الظلام الى النور والاسلام وعلى آله وصحبه الكرام ومن تبعهم باحسان الى يوم المقام وبعد :-

فانه تلبية لدعوة كريمة للمشاركة في الحفل التكريمي الذي يقيمه المنتدى الأدبي بالسبب إحياء لذكرى (العلامة المحقق المرحوم أبي نهبان) ببحث حول (جانب الاهيات في فكر العلامة المحقق أبي نهبان) ورغبة في خدمة العلم وأهله والوطن ورجاله الذين سطوروا في جبين الدهر بأحرف من نور جهودهم المضيئة وبحوثهم القيّمة ومؤلفاتهم الثمينة ومدوناتهم الغالية خدمة للدين الاسلامي الحنيف والشريعة المحمدية الشريفة وكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بل وخدموا كل ما فيه عزة الدين وكرامة الوطن ، فالعلماء هم ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل أو أعلام الهدى وأنوار الدجى كلما خلا منهم سلف حميد قام منهم خلف رشيد في مواكب متلاحقة يقتدي أو اخرها بأوائها .

والمشاركة والاحتراف بمثل هؤلاء الأعلام وما خلفوه من آثار عظيمة وكنوز ثمينة فيه تنبيه وتذكير وبيان لقيمة وحقيقة وأصالة هذه الأمة وتعريف لكل عصر من أهل البحث والمعرفة بالوجود التاريخي والثقافي والحضاري فلا بد - والحال كذلك - من بحث تلك الانجازات والآثار الحضارية حتى يقف السلف على جهود الخلف ويستلهم من ذلك التراث الفعال المواقف والأذكار والمبادئ والقيم التي تدفعه إلى الاحساس بمسؤولية حمل تلك الأمانة واستكمال المسيرة ويسهم بذلك التراث الفعال في رفع مستوى الحياة المعاصرة ونجعلها نمطاً سلوكياً أو ذهنياً في تفكيرنا أو في فعلنا وهذه الخاصية من أهم خصائص ومميزات توظيف التراث وتجديده.

وعمان بما حباه الله - عز وجل - من فضل ونعمة في مختلف جوانب الحياة وضرورياتها المادية والمعنوية الطبيعية والحضارية ومن ذلك ما تضمه من كنوز ضخمة في المجال العلمي والثقافي ومن فيها من رجال الفكر والعلم والأدب الذين برزوا في جبين الدهر ، فرسانا في كل مجال وأبطلا في كل ميدان فما علينا الا أن نصرف الهممة إلى ذلك التراث الخالد الذي ما زال يحتفظ بقيمته ومكانته مع مرور الزمن وتعاقب الأحداث لما فيه من الجواهر واليوافيت التي تحتفظ قيمتها في ذاتها لما لها من أثر وتأثير في تطوير وتنمية مسيرة الإنسان على هذه الأرض ، فما علينا إلا أن نستمع إليه ونصرف الهممة له لنأخذ منه ونفيد ونستفيد منه . ولا شك أن أعرق معطيات التراث وأفضل مدخل إليه يتم من هذا الباب نظراً إلى ما فيه من قياس حضاري وتجانس ذهني وروحي يمد في أسلاك الزمن جذور العلم والمعرفة ويربط بتعاقب الأيام حلقات السلسلة الذهبية للمعتقدات والمأثورات والجهود العظيمة الخالدة .

فما أكثر أولئك العلماء الذين تركوا في الحياة أثراً باقية تشهد بأنهم فهموا معنى الحياة وأدركوا الهدف الذي خلقوا من أجله فقصدوا إليه وقدروا قيمة الزمن فاشتغلوا بما يقربهم إلى

الله وتعلموا وانتفعوا بما علموا وعمروا أوقاتهم بالعمل الصالح الذي ينمو مع الأيام ويتضاعف أجره وثوابه على مرور الأوقات والأعوام.

ومن أمثال أولئك الرجال الذين يمكن للشباب المسلم المعاصر أن يجد فيهم القدوة الصالحة في مختلف مجالات الحياة هذا الرجل الذي حاز الصدارة والمكانة العالية بين أقرانه وعلماء عصره، إنه العالم الرئيس الشيخ جاعد بن خميس الخروصي فهو صاحب رسالة علمية أخلاقية ومنهجية فكرية إسلامية واعية وهو على الرغم من أنه لم يدون أو على الأقل لم أجد له مؤلفاً خاصاً يتناول مسائل العقيدة وعلم الكلام بالمعنى المنهجي المعروف إلا أنني مع ذلك حاولت أن أجمع مسائل هذا العلم من كتاباته ورسائله وسيره وما نقل عنه في موضوعات مختلفة فرأيت أن حياته كلها فلسفة إنسانية زخرة بالمثل العالية الباقية مثل الحق والخير والاخلاص والخشوع والتوكل إلى غير ذلك من الفضائل التي تهدي الناس في كل زمان ومكان إلى اصلاح النفوس وارتقاء الإنسان، وتعددت نواحي ومجالات العظمة والنبوغ في شخصيته؛ فتجده عالم دين ورجل فكر وأديباً ومصلاً اجتماعياً، ورسولاً من رسل الوعي الانساني الذين يهدون البشرية بسلوكهم وفكرهم إلى صراط ربهم المستقيم. والناظر في رياض أفكار أبي نيهان البائنة لا يستطيع أن يميز بينها أو يفضل احداها على الأخرى فله في كل فن الباع الطويل والبحر الغزير ولكن ستقتصر هذه الدراسة على مجال واحد من بين مجالات المتعددة ألا وهو الجانب الالهي كما جاء في خطاب الدعوة للمشاركة في هذا التكريم.

ولا تخفى أهمية هذا الجانب في حياة الانسان من ناحية، وخطورته من ناحية أخرى فالاعتقاد عامة والالهيات خاصة تمس الجهاز العصبي في حقيقة الانسان فانه يمكن أن يتفاوض في كل شيء الا العقيدة فلا مجال للمساومة فيها فإنها كما يصفها الشيخ جاعد أحد من الشفرة وأدق من الشعرة، ولذلك عندما عرضت قريش على الرسول - صلى الله عليه وسلم - المناصب والأموال ورغبته في كل متع الحياة، أجابهم بقوله: «والله. يا عم. لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه، ثم بكى وولى. فقال أبوطالب: أقبل يا ابن أخي؛ فأقبل عليه فقال: اذهب فقل ما أحببت والله لا أسلمك»<sup>(١)</sup>.

وعادوا المساومة والمحاولة مرة أخرى وفي هذه المرة عرضوا عليه أن يشاركهم في عبادتهم ويشاركوه في عبادته فنأزل الله في ذلك قرأنا قاطعاً كل الأساليب والحيل في الوقوف أمام هذه الدعوة فقال عز قائلأ كريما:

﴿قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم ولي دين﴾<sup>(٢)</sup>.

علامة على هذه المنزلة والأهمية للعقيدة في حياة الإنسان فإن أبا نيهان خاصة كان داعية من طراز فريد يدعو إلى العودة بالدين إلى ينابيعه الأولى الصافية وقواعده الراسخة وأسسها الثابتة إيماناً منه بالحقيقة التي لا تقبل الجدل والمساومة هي أن كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - هما

١ - نور البقين في سيرة سيد المرسلين. تأليف الشيخ محمد الخضري. دار احياء التراث العربي. بيروت ص ٣٨.

٢ - سورة الكافرون، كاملة.

المخرج من ظلمات الجهل وضلال الفكر ، وتسليماً بأن الأمة لن تضيع وبينها كتاب الله وسنة رسوله ، أي العمل بهما والرجوع إليهما في جميع المشكلات وحل المعضلات التي تنتاب الأمم من اتباع الهوى والانحراف عن صراط الهداية ، كما يدعو إلى الاقتداء بالسلف الصالح الذين عملوا والتزموا هذا المنهج فهو يقول : (انتموا بالقرآن واقتدوا بالسنة والاجماع .. بل كونوا بالسلف الصالح مقتدين وبأنوارهم مهتدين ، فإنهم الجماعة لبقائهم على الطاعة فتمسكوا بحبالهم وتعلقوا بأذيالهم)<sup>(١)</sup>.

ودراسة الجانب الالهي في فكر العلامة المحقق أبي نهبان يحتاج إلى شيء من الجهد والتركيز مع الأخذ في الاعتبار أن أسلوبه في العرض والكتابة دقيق وعميق وذلك لما تميز به هذا العالم الرباني من الرصانة والعصامية في بناء منهجه المعرفي وما تميز به من الأدب السلوكي فالسائق في رياض فكره أو السابح في بحار علمه عليه أن يعد العدة وأن تكون عنده الملكة التي يستطيع بها السير في رياضه أو الغوص في بحاره وإنني لي بذلك وأنا قليل الزاد ضعيف العلم قليل العتاد إلا أن يوفقني الله السداد ويلهمني الرشاد.

هذا بالإضافة إلى أن العلامة المحقق لم أقف له على كتاب خاص مستقل يتناول هذا الجانب وكل ما تيسر لي في هذا البحث المختصر وفي هذا الوقت القصير أن أقف على بعض النصوص الدالة على الجانب الالهي من مدوناته المختلفة في فروع العلم ، فخرجت الدراسة بالمباحث التالية:

\* المبحث الأول : عوامل التفكير في الجانب الالهي.

\* المبحث الثاني : الاستدلال على وجود الله تعالى ووحدانيته.

\* المبحث الثالث : أثر الجانب الالهي على السلوك الانساني.

هذه أبرز الخطوات والدعائم التي يسير عليها البحث وقد حاولت بما وصلني ووصلت اليه من تراث وأثر الشيخ جاعد بن خميس الخروصي أن ألم بقضايا الجانب الالهي التي تناولها فكره وقلمه والله أسأل أن يوفقني في تغطية هذه المباحث بالصورة التي أرادها المؤلف من تناوله لها وأن أجد له من آثاره القيمة ما يسد حاجتي لدراسة هذه المسائل من خلال الموروث العلمي الواسع في مجالات المعرفة المتنوعة الذي بقي ذخراً له وسنداً للعلم وأهله والله الموفق لما فيه الخير .

## المبحث الأول

### عوامل التفكير في الجانب الالهي:

من الخصائص الثابتة في هذا الدين الحنيف ومن مزايا القرآن الكريم التي لا تقبل الخلاف والجدال هي تلك الخاصة في التنويه بالعقل والتعويل عليه في أمر العقيدة والتكليف (فالقرآن الكريم لا يذكر العقل الا في مقام التعظيم والتنبيه الى وجوب العمل به والرجوع إليه ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية ، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة ، وتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي تحت فيها المؤمن على تحكيم عقله أو يلام فيها المنكر على اهمال عقله وقبول الحجر عليه)<sup>(٢)</sup>.

١ - سيرة أبي نهبان . مخطوط بمكتبة وزارة التراث القومي والثقافة.

٢ - التفكير لفريضة اسلامية . تأليف عباس العقاد . دار نهضة مصر . القاهرة ص ٣.

وانطلاقاً من دعوة القرآن الكريم إلى إعمال العقل في حدود المجال المسموح له به أيقظت هذه الدعوة أصحاب العقول السليمة وعملوا بما وهبهم الله من ملكات فكرية وذهنية في خدمة هذا الدين وفي مجال الدفاع عن العقيدة أو مجال الفقه وتكييف أحداث الحياة الإنسانية وإعدادها للمنهج الإسلامي فكانت جهود العلماء الفكرية من أجل المحافظة على قيمة الإيمان والإسلام ، وقيمة المبادئ التي جاءت بها رسالة الإسلام للإنسان في حياته الفردية أو مجتمعه أو في أمته ، والحرص على بقاء القيم للإيمان من أجل الوقوف في مواجهة الفكر الدخيل والتيارات التي تهاجم هذا الدين من كل صوب ، ولذا فالفكر الإسلامي فكر مستمر لا يقف عند شخص معين ولا في زمن محدود ، ولذلك كان للفكر الإسلامي عهود ومراحل وفي كل عهد أو في كل مرحلة له قضايا وله رجال ولكنها تتفق في الغاية وهي المحافظة على الطابع الإسلامي والحقيقة الإيمانية كما يراد لها أن تبقى .

ولو أردنا أن نقف على عوامل التفكير في العقيدة عامة وفي الجانب الإلهي خاصة في مسيرة الفكر الإسلامي عامة لطال بنا الحديث وأخذ حيزاً كبيراً من هذا البحث الذي يقتصر على دراسة ذلك عند شخصية البحث فقط ولكن لا يمنع ذلك من البيان المختصر لتلك العوامل فهي تتلخص فيما يلي :

التفكير في الجانب الإلهي عند المسلمين هو ضرب من ضروب العمل العقلي عندهم ويتميز عن الضروب الأخرى بموضوعه فهو يشمل كل تفكير إسلامي في الله ذاتاً وصفات وأفعالاً أو في شرح علاقته بالكون والحياة والإنسان وظهر في هذا الجانب الكثير من العلماء والفلاسفة في الإسلام مثل الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد من الحكماء .

ومثل أبي الهذيل العلاف والنظام والقاضي عبد الجبار من المعتزلة .  
والأشعري والباقلاني وإمام الحرمين والغزالي من الأشاعرة .

وجابر بن زيد وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة والوارجلاني وأبو عمار والثميني وابن بركة وابن جعفر وأبوسعيد والخليلي والسلمي وشخصية البحث أبو نبهان الخروصي من الإباضية .

وكثير غيرهم ممن استخدم العقل في بحثه الإلهي في حدود ما ورد به الإسلام مع فطنة التأثير بآراء وأفكار الفلسفات الأخرى .

لكن درجة التأثير متفاوتة فهي عند الحكماء والفلاسفة أوضح منها عند من يُعرفون بالمعتكلمين من معتزلة وأشاعرة ، والإشاعرة أقل في التأثير من المعتزلة ، والإباضية يكاد يخلو منهج التفكير عندهم من التأثير بأي فلسفات خارجية عن الإسلام فجاء أغلب مناهج أو عوامل التفكير عندهم وفق منهج السلف الصالح قبل اختلاطه وتأثره بمدارس الفكر والثقافات لدى الشعوب الأخرى .

ومن جانب آخر يمكن تناول عوامل التفكير التي كونت أو أثرت في الجانب

## الإلهي من تفكير المسلمين بعاملين :

- الأول : في مرحلة ما قبل الاختلاط والنقل والترجمة .

- الثاني : ما بعد الاختلاط والنقل والترجمة .

في المرحلة الأولى : يتناول عرض التفكير الإلهي للمسلمين في حقيبتها يكاد يكون فيها هذا التفكير عربياً دار في نطاق العقيدة الإسلامية وحول مبادئها ، وفي الواقع هو يتناول فهم العقيدة العربية للعقيدة الدينية منذ وفاة الرسول ﷺ إلى أن اشتد اختلاط المسلمين بالعناصر الأخرى غير الإسلامية وتسمى هذه المرحلة : مرحلة العزلة في تاريخ الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي.

وفي المرحلة الثانية : يتناول عرض تطور هذا الجانب الإلهي من جوانب تفكير المسلمين منذ اختلاط المسلمين بغيرهم وتأثرهم بهم إلى الوقت الحاضر وتسمى هذه المرحلة مرحلة الاختلاط<sup>(١)</sup>.

والعلامة المحقق أبي نيهان الخروصي عندما ساهم في بناء الفكر الإسلامي من هذا الجانب قدم خدمة جليلة في الدفاع عن العقيدة الصحيحة ومنطق تفكيره في غاية البساطة واليسر فهو يرى أن المسلمين الأوائل أعزاء بالاسلام وسادوا بالقرآن والفهم الصحيح والمنهج السليم لكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وما وصل اليه حال المسلمين في وقته من ضعف وجهل راجع الى البعد عن هذا المصدر ، ومن هنا كانت دعوته الى الفهم الصحيح للاسلام كما فهمه الرعيل الأول الذين سادوا بهذا الدين وقادوا به دولة الاسلام وحضارة المسلمين وغلبوا من واجههم من الأمم واصحاب الحضارات والثقافات الأخرى فيقول في سيرته بعدما بان له تفرق الأمة وتحزبها الذي أدى بها إلى الضعف والتخلف يقول : ( ائتموا بالقرآن واقتدوا بالسنة والاجماع .. بل كونوا بالسلف الصالح مقتدين وبأنوارهم مهتدين فإنهم الجماعة لبقائهم على الطاعة فتمسكوا بحبالهم وتعلقوا بأذيالهم )<sup>(٢)</sup>.

ومن أسس النقد في التفكير عند أبي نيهان اهتمامه بانسانية الانسان فهو يحرص عليه كل الحرص أن يكون راجعاً إلى الحق مهما حاولت التيارات الباطلة زعزعة عبوديته لله أو استغلاله في مطامع أهل الأهواء والشهوات وأن يكون بصيراً على نفسه في أن يوقعها في مهاوي الردى بسبب كثرة الفتن التي ظهرت في عصره فهو يخاطب على أولئك وأمثالهم ممن غرتهم الأماني وزاغوا عن الحق والصراط المستقيم فيقول (أما أن لكم أن ترجعوا لاسماع من ينهاكم عن هذا الفساد يريد لكم النجاة فيهديكم إلى سبيل الرشاد ، ويحثكم على الرجوع الى ربكم خوفاً من عذابه الأليم في الجحيم ، وطمعاً فيما عنده من النعيم المقيم ، أظنون أنكم على شيء في هذا الجهاد . وما أنتم فيه من التعب في الاجتهاد ، ولستم على شيء حتى تكونوا على الصواب في جميع الأمور والا فإلهلاك لمن خالف دينه حرفاً واحداً فكيف بما زاد عليه من أنواع الفجور؟ الا

١ - للوقوف على تفاصيل تطور عوامل التفكير في الجانب الإلهي عند المسلمين ارجع إلى كتاب الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي. للدكتور محمد البهي. الناشر : مكتبة وهبة.

٢ - سيرة أبي نيهان. مخطوط.

من رجع فتاب إلى ربه وتظهر من ذنبه فبادروا الأوبة مسرعين، وعجّلوا التوبة في الحين قبل أن يحال بينكم وبين ما تشتهون ، ولا يصدّكم عنها تعاضم خطيئاتكم فإنه لا يهلك إلا المصرون .  
هذا ما لا يجوز خلافه؛ فاعتبروا يا أولي الأبصار؛ وإياكم والياس من روح الله والأمن من مكروه فتموتوا على الاصرار، أو أن تنظروا إلى من اعطي سعة من المال أو الخول أو الغلبة فالإيام بين الناس دول! كم كانت للمجرمين الكفرة من غلبة على المؤمنين البررة! وكم من بقي في عسرة وشقي في يسرة؛ فلا تغفروا بكثرة المال ، ولا بالسواد الأعظم من الرجال ، فاللبيب لا يغتر بهما على حال . ولكن بالموافقة للحق في القول والعمل المقتضى في الظاهر لمعرفة الحق من المبطل لا غيره قل أو كثر، فزاد الاتباع لأن الناس أكثرهم همج رعاع يميلون مع كل ريح لا سيما على التحقيق من رأوا الدنيا له في اقبالها عليه ولا يلجأون إلى ركن وثيق . وأنتم قادمون على الله بما تقدمونه من صالح الأقوال والنيات والأفعال أو فاسدها، والجزاء؛ من جنس العمل ومن المحال أن تصلوا إليه من طريق الضلال أم ترجون أن تفوزوا بما أعده من الكرامة لأولياته من طريق أعدائه هيهات في هذا أن يكون في يوم! لأن من سلكها خطأ أو عمداً لا يزال يزداد في كل طرفه من ربه إلا بعداً<sup>(١)</sup>.

هذا وفي نصحه للإنسان وتصحيح علاقته بربه افتتح قصيدته الشهيرة بحياة المهج بقوله :

تبين أضي في الله قولني فإنني على النصيح في ذات الله مع العتبي  
وهو بذلك يريد من الانسان أن يتدبر المعاني من الألفاظ ، وأن يكون على قدر المسؤولية المنوطة به في التكليف من قبل الذي أخرجه من العدم إلى الوجود وجعل فيه من الوسائل والمكاتب ما يكون بها مؤهلاً لهذه المسؤولية فهو يدعو الانسان إلى عمل الفكر في الألفاظ للوصول إلى حقيقة المعاني فيقول: (فإن المعاني جواهر ولباب؛ والألفاظ قشور وأصداف ، ولا تنال فتخرج عن أصدافها مجردة عن قشورها بحال على التمام والكمال إلا لموصى القلب وغوصه في بحر حقائق المعاني المحمولة في محامل الألفاظ الحاملة لها؛ فهي في المباني للمعاني كالمعاني، ومن لم يلج المنزل فيطلع وينظر من والج إليه فكيف يعرف على اليقين ما فيه من الخارج؟ كلا فلا سبيل إلى ادراكها والبلوغ ..<sup>(٢)</sup> .  
الاستدلال على وجود الله تعالى ووحدانيته .

بعد هذه الجولة السريعة في عوامل التفكير في الجانب الإلهي ودعوة الانسان إلى التفكير والاعتبار في عواقب الأمور وما إليه صاير بفعله وقوله ونيتيه يأتي المبحث الثاني في الاستدلال على وجود الله تعالى ووحدانيته .

١ - المصدر السابق بدون ترقيم.

٢ - بياض في الأصل.

٣ - شرح حياة المهج، لأبي نيهان، مخطوط رقم ٢٤٢٨، وزارة التراث القومي والثقافة.

## المبحث الثاني

### الاستدلال على وجود الله تعالى ووحدانيته:

يسبق الحديث في الاستدلال على وجود الله - تعالى - عند أبي نهان الإشارة إلى أنه يرى عدم جواز البحث والنظر في حقيقة ذات الله - تعالى - لأنه من المستحيل الوصول إلى كشف حقيقته وماهيته ، والاعتراف بالعجز عن الوصول إلى معرفة ذلك هو المعرفة ، ولكن المعرفة الواجبة على المكلف إنما هي من حيث النظر والتفكير في آيات الله الدالة على وجوده ، وفي هذا المعنى يقول : (وذاتُه عبارة عن نفسه التي هو هي لا غيرها لا إله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له الأسماء الحسنی والصفات العليا ، ليس كمثله شيء في ذاته ولا في شيء من صفاته تسبَّحُ له السموات والارضُ تعالى عن الطول والعرض ، وعن درك الأفهام وتصور الأوهام ، وجل عن الكيف والأين ، وعن أن يرى في الآخرة والأولى بالعين ، وتقديس عن أن يكون له لون ، أو يحوي نفسه كون ، أو تعتريه حركة أو سكون أو يلحقه شيء مما يلحق الخلق ، لأنه الملك الحق مقدس النفس عن نقص ورجس ، وقد أن لي من هنا في هذا أقول أنه مقام الذهول وحيرة العقول لأنه منقطع الإشارة لعجز العبارة عن حقيقة ذاته القدسية من حيث أنه ليس للخلق سبيل يصلون به إلى معرفته الا بالذي جعله لهم من الدلالة عليها ولم يجعل لهم علماً يدلهم على حقيقة ذاته وإنما دلهم على معرفته بأسمائه وصفاته ، ونصب لهم من جوده اعلام شهوده أدلة على وجوب وجوده فيه عرفوه ولولاه ما عرفوه بصفاته ولا سموه بشيء من أسماء أفعاله<sup>(١)</sup>).

ويقول في موضع آخر : لأن ذات الباري لا تتجلى لغيرها على ما هي فيراها كما هي فيعرفها ما هي ! كلا ! ما هذا إلا ضلال لأنه عين المحال !!!.

ومن أجل ذلك فإن مسألة وجود الله - تعالى - وإثبات هذا الوجود من المسائل التي أتاح الشرع الحكيم للعقل أن يعمل فيه بقدر طاقته ، ذلك لأن الدليل على وجوده أمر ممكن ومستطاع بالنسبة للعقل.

لقد بث الخالق دلائل وجوده في كل شيء في الكون ، فكلما تأمل العقلاء في هذا الكون الكبير المتدفق حكمة وإبداعاً تجد لهم في كل تأمل جديد ، برهان جديد يدل على الخالق العظيم على مختلف مستويات التفكير والفروق الفردية عند الناس . فالساذج البسيط من الناس ينكشف له ما الدلائل على وجود الخالق والبراهين على وحدانيته وعظمته ، دلائل تتناسب مع مستوى تفكيره .

والذكي : يزيد في التأمل فيصل إلى الحقيقة نفسها ولكن بدلائل أكثر وأدق وأعمق . والفيلسوف الباحث : تضطره الحقيقة بعد البحث والتأمل أن يعلن وجود الخالق المبدع بمستوى من الأدلة أكثر عمقاً وأدق فلسفة وغوصاً إلى أعماق أسرار الأشياء . والعالم التجريبي : ينكشف له في كل تجربة صادقة دليل جديد على ارتباط المادة بسبب أولي فعّال عليم مريد قادر وهو الخالق سبحانه وتعالى .

١ - شرح حياة المهج - لأبي نهان - مخطوط.

والفطري : بفطرته الصافية ووجدانه السليم يتحسس ببساطة لا تعقيد فيها فيشعر بأن لهذا الكون خالقاً كبيراً فيؤمن به .

فسبحان الخالق الذي جعل كل شيء في الكون يشير الى وجوده وكمال صفاته ولو أخذنا أفراد البشر منذ نشأة الانسان حتى عصرنا هذا لوجدنا أنه ما من إنسان استطاع أن يعيش وهو عاقل مدرك منصف ثم يموت دون أن يعتقد بقوة مهيمنة على الكون تسيره وتدبر أمره ، وإن تنازعت الشكوك والتساؤلات في فترة من حياته<sup>(١)</sup>.

فكبار علماء الدنيا وفلاسفة الكون في عصور التاريخ على اختلافها يعتقدون بوجود الخالق سبحانه وتعالى فقد جاء في كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) ثلاثون مقالاً لثلاثين من كبار العلماء الأمريكيين في الاختصاصات العلمية المختلفة من علوم الكون السائدة في العصر الحديث.

وقد أثبت هؤلاء العلماء في مقالاتهم هذه وجود الله - جل وعلا - عن طريق ما وصلوا اليه من الأدلة الكثيرة المنبثقة في مجالات اختصاصاتهم العلمية.

وهناك آخرون كثيرون من العقلاء المنصفين المنبقيين في مختلف المدن الكبرى ومراكز الحضارات العلمية على اختلاف أجناسهم وأديانهم ومذاهبهم الفكرية كلهم قد استوتوا في الإشارة الى خالق مدبر وفي الايمان بذي قدرة عظيم مهيمن الا أن مداركهم اختلفت في تصور ذاته وتحديد صفاته.

فمنهم من استطاع أن يفهم أنه لا بد ان يكون مجرداً عن مشابهة كل ما يدخل في نطاق الحس وأن يكون مجرداً عن كل شيء مادي أو يتصف بالمادة وأن يكون واجب الوجود قائماً بذاته لا إله إلا هو لا يحتاج الى مكان ولا يجري على ذاته زمان.

وهذه الحقيقة عن ذات الله - تعالى - هي الحقيقة التي جاءت الديانات السماوية لتروي بها غلة كل عالم باحث مفكر، ويطمئن بها ذوو الفطر السليمة الصافية وكل ذي عقل نافذ وقاد.

ومنهم - أي ممن أثبت وجود الخالق - تخيل ذات الخالق بالمادة أو بما يشابه الأجساد المادية أو بقواعد ونظام المادة بحسب قصر مداركه وتقيد بواقعه الذي يحس في نفسه أو في الكون من حوله لأنه حجز نفسه في حدود ظاهر المادة فقط ومنع فكره من أن يجول في التفسير والتعليل والغاية ورضي لنفسه بالجهل معرضاً عن الحقيقة مستهيناً بأمرها ، مشغولاً بمطالب الجسد والهوى . هذا على مستوى الفكر العالمي.

ولعلماء الفكر الاسلامي جهود مشهودة ومشكورة في هذا المجال فال مكتبة الاسلامية زاخرة بالمدونات والمؤلفات التي أسهمت في دراسة الجانب الالهي والعلاقة بين الله والانسان والكون والحياة والمدارس الفكرية الاسلامية في ذلك معلومة ومعروفة والمدرسة الاباضية التي ينتمي إليها الشيخ جاعد الخروصي لها في هذا الميدان القسط الوافي فلا تخلو حقبة من حقب التاريخ إلا ولهم فيها رجال وأعلام بذلوا جهوداً عظيمة في الدفاع عن العقيدة ضد الدخيل عليها في

محاولة التشويش على أصولها والتشكيك في أسسها لتكون نقية صافية كما بلّغها الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى أصحابه واستمرت جهودهم متواصلة منذ الرعيل الأول كلما خلا منهم سلف حميد قام منهم خلف رشيد ينفون عن العقيدة الصافية تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين . ومن بين هذه السلسلة المباركة والمسيرة النورانية الشيخ العلامة جاعد بن خميس الخروصي شخصية هذا البحث فكانت مساهماته في هذا البحث الاستدلال على وجود الله تعالى ووحدانيته - نظماً ونثراً ما يستحق صرف الهمّة له بالعناية والتحقيق فها هو يقدم الدليل على ذلك لمن يحتاجونه ولكن مع الاقتصار على المفيد لأنه يقصد بالدرجة الأولى بناء عقيدة واضحة صافية وإيمان ثابت راسخ في نفوس سامعيه فيقول في قصيدته الرائعة:

### [فريدة التغريد وقاعدة التوحيد]

|                                |                              |
|--------------------------------|------------------------------|
| سبحان من نصب الصوى لأولى النهى | علما يدل على الصفات عياناً   |
| سبحان من آياته في خلقه         | دلت عليه دلالة وبياناً       |
| سبحان من فتق السما من رتقها    | فتقاً فصارت في العلى أركاناً |
| سبحان من جعل النجوم نبؤها      | فلكاً يدور بأمره دوراناً     |

ولأهمية هذه القصيدة وشمولها على ظاهر الآيات الكونية الدالة على وجود الله - عز وجل - وقهره وقبضته وتصريفه لهذا الملكوت نورد القصيدة بأكملها تماماً للفائدة.

### بسم الله الرحمن الرحيم

|                                |                                         |
|--------------------------------|-----------------------------------------|
| سبحان من كل يسبحه به           | واليه منه يدين من قد دانا               |
| سبحان من للكون كان مكونا       | ما كان أو سيكون كوناً كانا              |
| سبحان من شهد الوجود بجلوده     | وجوده سبحانه سبجانا                     |
| سبحان من هو أول بل آخر         | قد كان فرداً دائماً منانا               |
| سبحان من هو ظاهر في فعله       | بل باطن في وصفه مولانا                  |
| سبحان من هو واحد في ملكه       | قد كان قدماً مالكا دينانا               |
| سبحانه الملك الذي ملك الورى    | والملك والملكوت والاكوانا               |
| سبحان من قد كان في أوصافه      | صمداً حكيماً عالماً رحمانا              |
| سبحان من هو قادر ومقدر         | كلأ مكاناً كان أو أزمانا                |
| سبحان من هو خالق ومصوّر        | خلقاً نباتاً كان أو حيوانا              |
| سبحان من خلق الخليق كلها       | وعلى الجميع فضّل الانسانا               |
| سبحانه القيوم رب قاهر          | أكدى <sup>(١)</sup> وأعطى من يشا إمكانا |
| سبحانه القدّوس قدّس نفسه       | وبسورة الاخلاص عنه أبانا                |
| سبحان من قد يستحيل بوصفه       | أنّى وأيسن الآن أن أو انسا              |
| سبحان من جعل الفنا يحدو الدنيا | فحدى إلى الأخرى بها وحدانا              |

١- أكدى : منع العطا.

سبحان من نصب الصوى<sup>(١)</sup>  
سبحان من آياته في خلقه  
سبحان من فتق السما من رتقها  
سبحان من جعل النجوم بنوئها<sup>(٢)</sup>  
سبحان من بسط البسيطة أية  
سبحان من بالماء أخرج حبها  
سبحان من جعل الرياح مثيرة  
سبحان من برأ البرى من مائه  
سبحان من انشا ابانا أما  
سبحان من جعل الجسم هياكلا  
سبحان من للروح قدرها كذا  
سبحان من جعل النفوس نفيسة  
سبحان من في القلب أكنن نوره  
سبحان من بالصدر صور ضيقاً  
سبحان من قبس الهوى يبهها البها  
سبحان من لجلال عز كماله  
سبحان من أوساه من أسرار  
سبحان من جل العجائب مودع  
سبحان فاطرنا وفاطر رزقنا  
سبحان من فاضت فواضل فضله  
سبحان من بالفضل فضل بعضنا  
سبحان من جعل النبي محمداً  
سبحان من جعل الشفيع محمداً  
سبحان من بطلوع شمس ظهوره  
سبحان من صفى سراير بصره  
سبحان من شرقت مشارق دينه  
سبحان من أولاه سرا باهرا  
سبحان من نصب الأمين أمينه  
سبحان من لدعاه لما ان دعاه  
سبحان من أهداه ثم هدى به

لأولي النهى علماً يدل على الصفات عياناً  
دلت عليه دلالةً وبياناً  
فتقاً فصارت في العلى أركاناً  
فلماً يدور بأمره دوراناً  
ورسى الجبال وبدد الأوطاناً  
ونباتها وكذا به أحياناً  
للمعصرات بمائها أحياناً  
وبرا البرية من برى وبراناً  
وكما نشأ من آدم انشئاناً  
تحوي الطبائع أربعا أقراناً  
للنفس والعقل الرفيع مكاناً  
والنفس انفس الهوى ميداناً  
اذا كان بالسر المصون صاناً  
يجلي من النفس الصدى عجلاناً  
لما استكان وزاده عرفاناً  
دهش الحجبى في خجله حيراناً  
سراً فكان لكسره جيراناً  
في طي انسان حوى جثماناً  
فصل الامور وفصل الالواناً  
ففضت على كل الورى فيضاناً  
حلماً وعلماً راسخاً وجناناً  
سرُ الجلالة قائماً سلطناً  
خير الوجود لخلقه قرباناً  
محق الضلال وطفل البهتاناً  
من كل عيب ينقض الهرماناً  
من نوره نوراً يرى اعلاناً  
نوراً فاحرق نوره الشيطاناً  
للمؤمنين المتقين أماناً  
دعى لدعوة ما دعى فدعاناً  
فهو الهداية للهدى أهداناً

١- الصوى : السبل والطرق الدالة على وحدانيته.

٢- النوء : المطر الشديد والعطاء والنجم إذا مال للغروب.

سبحان من أحبا الحبيب بحبه  
سبحان من أسرى به في ليلة  
سبحان من أسرى الغيوب لسره  
سبحان من شق المنير له وقد  
سبحان من أجرى المعين  
سبحان من برهانه لرسوله  
سبحان من فار القلب بأمره  
سبحان من قاه الحصى بالوكة  
سبحان من شهد القرار لعبده  
سبحان من آياته لخليله  
سبحان من حمد الرسول بحمده  
سبحان من قرن اسمه مع اسمه  
سبحان من جعل المطيع مطيعه  
سبحان من أبلى العباد تعبدا  
سبحان من عرضت عوارض فضله  
سبحان من خص الخصوص بورده  
سبحان من يهدي المريد سبيله  
سبحان من جعل الجنان ثوابه  
سبحان من يردي الردي بناره  
سبحان من هلك العصي بعذله  
سبحان من شرع الشرائع رحمة  
سبحان من تسبيحنا مناله  
سبحانه وعلى النبي صلاته

ولحبه من حبه أحبانا  
وأراه من آياته برهانا  
وأناه من آياته قرانا  
جعل الغمائم فوقه تيجانا  
من بين أنملة كفه جريانا  
قطع الاتي بعيره سرعانا  
لما دعاه وداعب الثعبانا  
منه اليه وفؤء الأغصانا  
وأبو الظب فكاشف تبياننا  
جمت فأئى حصرها حسابنا  
وبذاك في أي له أنبانا  
دينا يدان له به ايقانا  
وعصيه العاصي له عدوانا  
بعباده أبلى بها فيلانا  
وعلى البرية أمطرت ايماننا  
واذا مرتاد الهوى كفرانا  
ويضل معتمي العمى عصيانا  
وعقابه وعذابه النيرانا  
وبجوده يولي الولي جنانا  
ونجا المطيع بفضله احسانا  
من فضله ادري بها ادرانا  
منه اليه وفضله أو لاننا  
وعليه منه سلامه غفرانا

والملاحظ أن أول كل بيت في هذه القصيدة يبدأ بكلمة (سبحان) ويعنى بها كما يقول: (سبحان : علم من التسبيح البالغ في التنزيه من كل وصف قبيح<sup>(١)</sup>).  
ويقول في موضع آخر: (٢).

والحق فرد والشهود كثيرة  
والكائنات فكلها في كونها  
فالانبهار بالصنع الالهي وضخامته أدى إلى احساس الانسان - بالتضاؤل الجسمي -  
والنفسى حيال ما يشاهده من آيات عظيمة وبراهين ساطعة وحجج قاطعة على وجوده وعظمته

١ - حياة المهج - مخطوط - مصدر سابق .

٢ - قصيدة بعنوان روح الأرواح . لأبي نهبان . مخطوطة .

- سبحانه وتعالى - وهذا أمر فطري خلقه الله في الانسان لينظر إلى السماء فيهتدي ويخشع قلبه وجوارحه ويعبد الله رغبة ورهبة.

ومن أقوال الشيخ جاعد الخروصي في هذا المجال يقول في كتابه مقاليد التنزيل عند تفسير قوله تعالى : ﴿الحمد لله رب العالمين﴾<sup>(١)</sup>: العالمين جمع عالم.

قيل فيه عن ابن عباس - رحمه الله - أنهم الجن والانس لقوله - تعالى - : ﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾<sup>(٢)</sup>.

والقول الثاني عن أبي عبيدة هو أربع أمم الملائكة والانس والجن والشیاطین .

والقول الثالث : جميع المخلوقين لقوله - تعالى - : وما رب العالمين قال : ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾<sup>(٣)</sup> .

وهذا شأنه لأن كل جنس على الأصح عالم في نفسه على حدة .. إلى آخر الأقوال التي يذكرها في معنى العالمين ثم يقول : والكائنات كلها شاهدة له لأنه ربها إذ كل شيء منها ينادى بمقاله عن لسان حاله في حدثه أن له محدثاً أحدثه لوجود شدة الحاجة منها في ايجادها وتوال امدادها إلى واجب لذاته الوجود لا يقبل الحدث في القدم .

ثم يقول معقبا على أن معرفة ذاته تؤدي الى معرفة صفاته :

ان هذا الدليل القاطع على وجود الصانع المتولي أمرها ابداعا وتدبيراً واختراعاً وتصويراً على مقتضى المشيئة ، تقديراً لظهور الحياة والقدرة والعلم والارادة الحكيمة والقوة والعزة والقدم والبقاء والاحاطة بالاشياء وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير<sup>(٤)</sup>.  
ويقول نظاماً<sup>(٥)</sup>:

حق قديمٌ دايماً لا حائل  
باق وكل الغير شيء أقل  
فعلٌ ومفعولٌ ورب فاعل  
خلق وحق في القضية عادل  
كل اليه رايح ودلائل  
من جوده الموجود فهو رسائل  
نور الطريق للمريد مشاعل  
في حيرة وعمى كأنك باقل  
كل اليه مناهج ووسائل

حق الوجود لذاته ووجوده  
لا تطلُبْ سواه قط لأنه  
انظر الى الموجود تعلم أنه  
قدر ومقدور ورب قادر  
والكائنات جميعها في كونها  
وجميع ما تحت الوجود بأسره  
حتى الشرائع والحقائق كلها  
لا تدهشن من البريق ولا تكن  
فالصالحات لوازم ونوافل

١ - أول سورة الفاتحة.

٢ - سورة الفرقان، آية ١.

٣ - سورة الشعراء، آية ٢٣.

٤ - مقاليد التنزيل لابرار حقائق بالتأويل . لأبي نيهان الخروصي مخطوط في تفسير سورة الفاتحة . وزارة التراث القومي والثقافة ص ٥.

٥ - من قصيدة طويلة تزيد عن مائتي بيت في مخطوطة له بوزارة التراث أولها :

يا أيها الغر الجهول الغافل المعرض العمي الجاهل

ويقول في موضع آخر في معرض حديثه عن بيان أنواع التجليات الالهية منها التجلي بالأفعال، يقول: (المراد به الظهور الحق تعالى في الخلق من حيث إنها دالة على موجودها ألا وإنها على التفصيل في كل شيء منها شاهد ودليل يخبر عن حاله بلسان حاله فيدل بفحواه على مولاه الذي سواه وهذا في البيان كأنه طريق أهل البرهان المستدلين على المكوّن بالأكوان<sup>(١)</sup>).

### صورة الدليل:

الأدلة التي اعتمد عليه أبو نبهان مما سبق تتلخص في أن هذا العالم حادث وكل حادث لا بد له من سبب في حدوثه فالعالم إذن له سبب في حدوثه وأخراجه من العدم إلى الوجود وهو الله - عز وجل - وهذا الدليل على بساطته يتركب من أصلين أو مقدمتين ونتيجة .

- المقدمة الأولى: هي أن العالم حادث .

- المقدمة الثانية: كل حادث فله سبب .

النتيجة التي خرجت من المقدمتين، هي العالم إذن له سبب في حدوثه وهو الله - تعالى - .

ومن القواعد المعروفة في علوم البحث والمناظرة وفي قانون التفكير أن الخصم المناظر إذا ما سلم بالأصلين فإنه لا بد وأن يسلم بالنتيجة لأن انكار النتيجة مع التسليم بالمقدمات واقعا موقع التناقض المخل فإن سلم بالمقدمات لا يمكن رفض النتيجة .

وهكذا نطالع أقوال العلماء المسلمين والكونيين والفلاسفة الباحثين على اختلاف أجناسهم وأديانهم ومذاهبهم اعترافاتهم بالخالق الواحد - جل - وعلا - .

إنها حقيقة وجود الله المنبئة لدلائلها في كل شيء ، وقد فطر الله العقول والأفكار على ادراكها، ومنحها ما به تتوصل إلى اكتشافها ، والموازين التي تزن بها الأدلة فتحق الحق وتبطل الباطل . فالعالم على مختلف ضروبه وصنوفه مؤمن بالله ويدعو إلى الايمان والمعرفة وصدق الله العظيم حيث قال : ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾<sup>(٢)</sup>.

ولكن الجاحد هو الهوى والغرض الجانح وهما اللذان يدعوان إلى الالحاد والجهل وطمس البصائر عن الحق في هذا يقول أبو نبهان :

أرى الجهل أمراً كالهوى يجذب الورى  
إلى ورطة عن فرطة منهم جذبا

ويشرح البيت فيقول :

الجهل : نقيض العلم

والهوى : هو الشر الجامع لجميع المعاصي كلها .

الورى : أهل التكليف من العالمين في الأرض خاصة .

والمراد : أن الجهل أمر كالهوى يجذب الورى إلى مهادف الردى مثل الهوى وشبه الجهل بالهوى أن الهوى يحره أطم وضرره في الورى أعم قل من يسلم منه حتى علماء الدنيا ، فضلا

١ - شرح حياة المهج مصدر سابق.

٢ - سورة «فاطر» آية ٢٨ .

عن الجهال لأنهم يأتون ما أتوه على علم منه بأنه ضلال ولكن لما زين الشيطان لهم ذلك ودلهم عليه وقادهم الهوى إليه فاتوه قصداً وفعلوه عمداً وكذلك الجهال قل ما يأتونه من قبائح الأفعال وفواحش الأعمال ألا وهم بفسادهم عالمون وبظلمهم لأنفسهم عارفون<sup>(١)</sup>.

وبذلك يؤكد أبو نيهان هنا أن النفس الانسانية اذا تأملت في الكون وما حوله فانه دال على وجود الله - تعالى - ووحديته وذلك هو الايمان القطري الذي تشترك فيه جميع الخلائق المدركة على اختلاف مستوياتها .

ولا تنطمس هذه الفطرة إلا في نفس من بالغ في الانحراف من الناس بدافع غير أخلاقي ليرضي شيئاً في نفسه ففشى على امرأة فطرته الصافية ، وشد عصائب الجهل والعناد على حسه اللضي .

وهكذا تظلم امرأة الفطرة في الانسان بدخان نار الشهوات والغرائز النفسية العاتية المستكبرة أو بسحب الشكوك المادية .  
ولذلك نراه يقول في موضع آخر:

فأئى ينال الجهد والحمد جاهل ومن كان ذا كبر وبخل سلى عجبا  
ومن كان عربيداً ومن كان حاسداً ومن كان ذا قلب مريض سلى ضبا  
فقد ذكر في البيتين أسباب فساد الفطرة وعمى القلوب عن ادراك الحقيقة الموصلة إلى علام الغيوب فهو يقول في شرح ذلك : (على الانسان أن يحذر من جميع هذه الخباثت ويعالج نفسه منها وعليه أن يقلع كل داء من أصله، وعلى الصحيح فيها وما لا ريب فيه أن هذه كلها وأمثالها في الأصل فرع لسنح الجهل، فهو مادة الجميع، إما في الظاهر وإما في الباطن ، فمن أراد أن ينجو من ضررها ويسلم من شرها فليقطع المادة بمسهلات العلم لعلاجها ، فليسهل عليه اخراجها ، لأنه لابقاء للفرع مع زوال أصله بالقطع وليس لداء الجهل دواء غير العلم فليستعن بالله - تعالى - في طلب هذا الدواء والتماسه لياخذه من حيث يجده .

وفي البحث المزيد في بيان هذا الموضوع عند الحديث عن أسباب الضلالات الاعتقادية كما يراها الشيخ أبو نيهان .

ونعود الآن الى حديثنا حيث انتهينا إلى أن سلامة الفطرة وصحة العقل وحقيقة العلم كل هذه تقود الى كبرى اليقينيات وهي الايمان بالله الخالق المدبر وعلى ذلك فإنه لا نجد الانحراف والالحاد الا عند الجاهليين المغفلين المضللين المقلدين الشهوانيين المستكبرين المغرورين باليسير مما تعلموه فظنوا أنفسهم أنهم على شيء وجهلوا أنهم ما وصلوا بعد الى ساحل بحر العلم الذي لا قعر له ولذلك إذا أمعنا النظر فإننا نرى الالحاد بالله وانكار وجوده ليس الا تهريباً من الفضيلة والحق والخير والجمال ، لتبرير أعمال الرذيلة والظلم والقيح، وقلب الحقائق وارضاء النزوات والشهوات .. وإلا هل يستطيع أنذكي وأعلم ملحد في الدنيا أن يأتي بدليل واحد مقنع يدل على عدم وجود الخالق فإنهم مهما اجتمعوا فلن يستطيعوا .

١ - بتصرف من شرح حياة المهج، مصدر سابق.

إن الملدح ينكر وجود الله - عز وجل - ثم نراه يجري وراء أوهام تافهة لا حقيقة لها في الواقع .. وقد كتب أحد علماء الطبيعة عن الملدحين فقال (ويظهر أن الملدحين أو المنكرين بما لديهم من الشك لديهم بقعة عمياء أو بقعة مخدرة داخل عقولهم تمنعهم من تصور أن كل هذه العوالم تصير لا معنى لها بدون الاعتقاد بوجود الله)<sup>(١)</sup>.

فما شعور أكبر ملحد في الدنيا إذا تراكبت عليه الهوموم والأحزان والمصائب من كل مكان فلم يجد سبباً مادياً ينقذه، أفلاً تتيقظ فيه فطرته الأولى فينادي : أيتها القوة المهيمنة على الكون اسعفيني.

إن تجربة إلقاء الملدحين في المخاطر والمآزق هي من أعظم التجارب التي تكشف عن فطرتهم السليمة الصافية والتي بخل إليها الفساد والاجرام فجنحوا عن الحق .

إن هذه التجربة تجعلهم ينادون الله ويلتمسون منه العون بعد إلحاد وكفر ويستجيب الله لدعوة المضطر حتى إذا وصلوا إلى شاطئ السلامة واطمأنوا بها إذا هم يكفرون ويعودون إلى سيرتهم الأولى .

ويكشف الله حال الكافرين في قوله تعالى : ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً﴾.

### المبحث الثالث

#### أثر الجانب الإلهي على السلوك الانساني:

مما لا شك فيه أن الدين عند الله الاسلام، ومن يبتغي غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه، فالاسلام عقيدة حق ونظام حياة وقاعدة سلوك وعمل لا مجال فيه لكواذب الأمانى والادعاء والهوان والكسل، يقول - تعالى - : ﴿ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب، من يعمل سوءاً يجز به ولن تجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً﴾.

والايمان الخالص كما يذهب اليه أبو نهبان هو أول صفات الصفوة المختارة من سلالة البشرية في تاريخها الطويل من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والايمان هو الهدف الأسمى والأساس الأول لهذا الوجود فلا جرم أن تهتم به العقول المفكرة والألباب المعتبرة، تلهج به القلوب، وتقفو إليه النفوس وللإيمان آثار طيبة تنعكس على المؤمن في أقواله وأفعاله، في حركاته وسكناته في علمه وعمله في عاقبته وسقمه، في قوته وضعفه، في غناه وفقره في يسره وعسره، في سرائه وضرائه، في مشيته ووجهته، في حبه وبغضه، في سره وعلمه، في عبادته وسعيه، في صومه وفطره، في سفره وحضره، في سلمه وحربه، في ملبسه ومسكنه، في مطعمه ومشربه، في منامه ويقظته، في صحته وذكره، في بيعه وشرائه، في أخذه وردده، في سيرته وسره، في جده وهزله، في عقله وأحاسيسه، في أدبه ونوقه.

فالمؤمن دائماً متجه إلى الله - تعالى - في جميع أحواله وأوقاته، والاسلام لم يجعل ذكر الله

١ - شرح حياة المهج. مصدر سابق.

- تعالى - ألقاهاً تردد على السنة أو كلمات تتحرك بها الشفاه، وإنما جعل لكل عضو ذكراً، به يذكر ربه وخالقه - جل وعلا- فذكر العين البكاء وذكر الأذنين الأصغاء وذكر اللسان الثناء وذكر البدن الوفاء وذكر الروح الخوف والرجاء وذكر القلب التسليم والرضا .  
هؤلاء الأبطال في النفس الانسانية تتلمذوا في مدرسة النبوة وعلى منهج الله - عز وجل - فكان لايمانهم حلوة فكانوا أتقياء مخلصين .

فكيف السبيل في الوصول إلى مراتبهم والوصول إلى منازلهم وتحصيل مراكزهم؟! إنه بمجاهدة شهوات النفس وأهوائها وإخضاع ملكاتها تحت سلطان الإرادة الجازمة والعقل الحكيم والحاكم والموجه والمرشد لكل جوانب النفس ومطالبها ولا يتم ذلك إلا إذا أشرق نور الايمان في أعماق النفس وياشر القلب، فينعكس ذلك بالتالي على سلوك الانسان وأحواله الظاهرة والباطنة في أقواله وأفعاله وخلجات نفسه .

ومعين الاشرار هنا كما أشارت إليه الدراسات المختصة بهذا أنه تلقي العلم الغيبي أو الالهي عن الملأ الأعلى عن طريق الرياضة والمجاهدة وتصفية النفس من الكدورات البشرية بحيث تصير كالمراء الصقيلة فتنعكس عليها الصور والعلوم الالهية المنقوشة في العقول والنفوس الفلكية .

وإذا نظرنا إلى هذا المفهوم من معنى الاشرار عند أبي نهان الخروصي فإنه يقول: «هيكल الانسان جسداني مظلم وطبيعي ثقيل من جهة العنصر المائي والعنصر الترابي، وعقله نوراني وجوهر نفسه روحاني وروحه أمر رباني وسر إلهي في جميع بدنه الجسماني: فإن غلب عليه المزاج الطبيعي ألبسه الثقيل المعدني ومن شأن الثقيل الرسوب فلا يزال يهوي.. إلى أسفل سافلين، وإن غلب عليه السر الروحاني والنور الرباني لازمه الذكر على الاخلاص في الشكر اكتسبه عن الجود الالهي اللطف الروحي فلا يزال لانحلال القيود أخذاً في الصعود حتى ينتهي إلى أعلى عليين في جوار رب العالمين»<sup>(١)</sup>.

وهذا النوع من المعرفة تناولها علماء الاسلام وفلاسفته قديماً وحديثاً منهم أبو يوسف يعقوب الكندي ٢٦٠هـ الذي اعتبر النفس من نور الباري وهي لذلك لا تصل الى المعرفة الا بالتطهر من الأدناس وترك الشهوات فإذا فعلت ذلك وجدت في البحث والنظر تصقلت صفالة ظاهرة واتحد بها صورة من نور الباري فحينئذ يظهر فيها صور الأشياء كلها ومعرفتها، كما تظهر صور خيالات سائر الأشياء المحسوسة في المرأة إذا كانت صقيلة، وعلى حسب صفالتها تكون معرفتها بالأشياء .

ويفرق الكندي بين علم الأنبياء وعلم البشر فهو يرى أن علوم البشر تأتي ثمرة لتكلف البحث والنظر والقصد إلى المعرفة واستخدام المنطق والرياضيات في زمان طويل طبقاً للمنهج العلمي . أما علوم الأنبياء فليست محتاجة إلى شيء من ذلك لأنها تكون من طريق فعل إلهي في نفوس الأنبياء<sup>(٢)</sup>.

والفارابي يرى أن غاية المعرفة هي الاتصال بالعقل الفعال والعقل الفعال عنده هو جبريل

١- شرح حياة المهج لأبي نهان، مصدر سابق.

٢- المرجع السابق ص ٣٨.

الموكل بالوحي والذي ترتسم فيه كل الصور - حسب زعمه - وتنتقش فيه كل العلوم والمعارف الغيبية، والانسان لا يبلغ هذه الدرجة إلا بالمجاهدة والرياضة وتصفية النفس وذلك بأفعال ارادية بعضها أفعال فكرية وبعضها بدنية وليست بأي أفعال اتفقت<sup>(١)</sup>.

والكشف عند أبي نيهان هو عبارة عن إظهار الشيء برفع ما يواريه من الأستار بواسطة الأنوار . وهذا ما يسميه أيضاً بالعراج النفسي .

ويرى أن الكشف أعلى مرتبة من العلم واليقين ولكنه خاص لبعض الواصلين فيقول : « هذا النوع من العلم كأنه لمزيد الكشف أعلى من العلم واليقين درجة لكنه على الخصوص للعارفين من الناس المكاشفين بالأسرار ».

ويرى أن هذا النوع من العلم يمكن التعرض له وطلب حصوله فيقول : « التعرض له . أي الكشف . بتجريد مرآة القلب وجلانها حتى تخلص من جميع الأكدار فتصير في نهاية الاشراف بالأنوار ممكن ، وحينئذ تطلع فيه شمس الايمان بأنوار العرفان ، وتنجلي له الحقائق من أفق سماء الغيب عن تصور كشمسي يعود به نفس الخفى في حقه مثل الجلى ، وذلك لزوال الموانع وانحراف النفس عن عالم الملك في مقابلة عالم الملكوت الفسيح الميدان لأفراس الجنان ، فتنتطب فيها الحقائق الالهية وتنجلي له الأسرار الملكية ، فيراها بعين البصيرة لصفاء السريرة رؤية هي أجلى من رؤية العين ، وتتكشف له في ذاته غوامض جواهر أسمائه - تعالى - وصفاته فيلج في بحارها ويلتبس بأنوارها ويحظى بأسرارها ، وعند ذلك تندفع الظلم من الباطن فتفيض بالأنوار ، فتفجر ينباع العلوم من داخله بالأسرار فتفيض على لسانه كالبحار » .

ويستدل على ذلك بالحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - « من أخلص لله أربعين يوماً ظهرت ينباع الحكمة من قلبه على لسانه » .

ثم يقول : وهذا أمر عزيز لا يناله الأحاد من الناس إلا بعد المجاهدة في تخليص القلب من الأدناس ، والله من فضله وجوده يرجى أن يمن به على مريده بقوله تعالى : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « من عمل بما علم أورثه الله علم ما لا يعلم »<sup>(٢)</sup> وأما على غير صدق المجاهدة فيه بالحق فلا .

فالانسان لا غنى له عن ربه ، والانسانية لا غنى لها عن الدين ، والدين لا قوام له بدون الحب والخشية ، ومن هنا كانت حاجتنا إلى هؤلاء العشاق العارفين خزنة أسرار المعرفة ، الذين يشعلون زيت الفطرة في حنايا القلوب فيحرق لهيبه كل الأهوام ويولد الانسان من جديد

والناس في نزعاتها الفطرية متفاوتة وقيل إن هناك ثلاث نزعات فطرية في نفس الانسان فبعضهم واقعي يتجه إلى النص ولا يريد أو لا يمكنه أن يسير إلى أبعد منه ويمثلهم الامام احمد وبعضهم يحتفظ بشخصية قوية جارفة لا تلين فهو عقلي أو اعتزالي وبعضهم رقيق الشعور ، مرهف الحس ، ملائكي النزعة فهو بصيري أو صوفي . ويمثلهم الحارث المحاسبي .

١- المرجع السابق ص ٣٨ .

٢- شرح حياة المهج ص ١٥١ بتصرف مصدر سابق .

نزعات ثلاث تقوم على فطر مختلفة، وهذه الفطر ستستمر في بني البشر ما دام على وجه الأرض أفراد من النوع الانساني، ولكننا نجد هذه الفطر الثلاث كلها تعمل في نفس أبي نيهان دون أن تطفئ واحدة منها على الأخرى، انه التوازن أو التوسط والاعتدال دون الميل والاقتصار على شق واحد، والسالك في سبيل ذلك يرقى في سلوكه إلى طريق محبة الله - تعالى - وذلك ما يشير اليه بقوله (الحب أصل يقتضي وجود رضى المحب بما يكون من محبوبه، ألا وانه لشرفه - أي لشرف الحب - مراد العارفين؛ وغرام العاشقين، وبغية المريدين، ومطمح نظر الصديقين، لأن ثمرة رضى العبد عن الله، رضى الله عنه، وناهيك بهذا شرفا وفضلا؛ كيف ما وراه اجمع، لا شك فيه، أنه له تبع، والناس على اختلاف أحوال في الرضى مهما كان وقوع القضاء على وجه يخالف الهوى، لأن منهم من لا يريد أن يناله شيء من الضراء والشدة والبلاء، ويكره بالطبع، ويحس بالأم ما أصابه، ولكنه يرضى بما منه يبتلى، ومنهم من ..<sup>(١)</sup> ويحس في قلبه بالله ولكن لما يراه من عظم ثوابه يريده ويرضاه .. ومنهم من استغفره الهوى واستولى على قلبه حب المولى حتى لا يحس بالأم البلوى فلا يعرف الشكوى، إذ لا فرق معه بين الشدة والرخاء، والعافية والبلاء في أمثالهان فهو على حال يرضى بكل ما أولاه على الاطلاق كيف ما كان، فيجبه ويريده لا لثوابه، لكن لمراد من يهواه، إذ قد فنى عن نفسه في حضرة قدسه حتى لم يكن له مراد لا ماله أراد، هذه المنزلة هي أعلى درجات هذا المقام والواصل إليها لعزها على علوها وشرفها في سموها من لناس قليل<sup>(٢)</sup>).

هذه نماذج أثر الجانب الالهي عندما يشرق نور الايمان في نفس الانسان ويتحول معه إلى سلوك فعال وينطلق في أعماله وأقواله مستنيرا بهذا النور وقد يجد لذلك علامة تظهر له سلامة المسلك ويشير إلى المعنى أبونيهان فيقول : (وامارة بلوغها - أي بلوغ المحبة - الفرح والسرور بما يرد عليه من الجانب الالهي فتستوي معه الشدة والرخاء والعافية والبلاء، والفقر والغنى والمنع والعطاء وأن يسر بوجود الضراء كما يسر أهل الدنيا بالسراء، وأن يكون كما حكى عن عبدالعزيز أنه قال: «ما بقي لي سرور إلا في مواقع القدر. قيل له: وأي شيء تشتهي؟ فقال: ما يقضي الله - تعالى - وأنى يسمح الزمان بمثل هذا الانسان!! لقد عز على تبسيط الأرض وجوده<sup>(٣)</sup>).

وخاتمة القول: إن أبا نيهان أسهم اسهاما واسعا وعميقا في دراسة الجانب الالهي أو العلاقة بين الله والانسان والحياة والكون، وهذه الدراسة جديرة بأن تحظى بهمة كبرى من خلال بحث عميق في مدوناته، وتحقيق دقيق في كنوز آثاره، والغوص في محيط بحاره وما تمت الإشارة إليه في هذا البحث المختصر ما هو إلا دراسة مسحية سطحية لا تؤدي للشيوخ حقه، ولا تفي بجهد الذي بذله، ولكنها قد تكون أول خطوة في سبيل هذا الطريق، والعزم معقود - إن شاء الله - على بذل المزيد من الجهد في البحث والتحقيق، ولعل ما تم عرضه في هذه العجالة بأن لذوي

١ - بياض بالأصل .

٢ - شرح حياة المهج ص ١٨١ مخطوط مصدر سابق.

٣ - المصدر السابق ص ١٨٢.

الحاجة.

هذا الجانب من فكر الشيخ أبي نيهان الخروصي والذي يتلخص في :-

- ١ - إن جهوده في الجانب الالهي لم تنحصر في مؤلف واحد بل له جملة من الأذكار والآراء العظيمة المتفرقة في مختلف مدوناته ومؤلفاته .
- ٢ - أنه ككثير من علماء الاسلام؛ قدم خدمة جليلة جدير بأن يوضع في مصاف كبار العلماء بل في مقدماتهم لما تميز فكره بالعمق والتحقيق .
- ٣ - كانت له جهود واضحة في تصحيح الكثير من مشاكل عصره ووقف وقفة صارمة في الرد على من حاول أن يذب عقيدة المسلمين أو أن يثير الجدل والنزاع بينهم، فكان رده حازما وقاطعا خاصة في رسالته المسماة بسيرة أبي نيهان .
- ٤ - اهتمامه بالجانب الانساني وعلاقة النفس الانسانية بخالقها وطريقة تنقية النفس من امراضها الباطنة التي تعوق صفاءها ونقاءها في اتصالها بالله - تعالى - .
- وقصيدة المهج وشرحها تناولت بسط القول بالتحليل والتحقيق في هذا الجانب، وهذا الشرح جدير بأن يكون في مقدمات كتب علم النفس والتصوف وأدب السلوك .
- ٥ - آثاره النظرية في مسائل العقيدة والتصوف والزهد والفقه وأصوله تحتاج إلى شرح وبيان لرصانة الاسلوب وبلاغة الصياغة مما يصعب على القارئ المعاصر الوقوف على المطلوب وفهم المراد من نفس النص، فجدير بهذا النظم أن يخرج إلى عالم القراء والمكتبات بالشروح والدراسات وما أحوج المكتبة الاسلامية عامة لمثل هذا الكنز العظيم!!
- ٦ - سيرته وجهوده وأعماله وعلمه يجب أن يكون قريب التناول ليكون قدوة لسلكي سبيل البحث عن العلم والمعرفة؛ فإن مثله وصل وخاض في بحر العلم الذي لم نقف على ساحله بعد .
- ٧ - أن توظف تلك الجهود والآثار في بعث التجديد في الفكر الاسلامي المعاصر .



(١٠)

مقارنة بين المدرسة السلوكية والمدرسة الصوفية  
مع التركيز على مدرسة الإمام جاعد السلوكية

الباحث

سليمان بن علي بن سالم العبري

## تقديم:

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، وعلى صحابته ومن تبعه باحسان إلى يوم الدين.

ان الحياة الدنيا مليئة بفنون الملذات ومختلف الشهوات، ما فتئت من عراك الإنسان حتى يصبح صريع رونقها وغرورها. وهذه المعركة معركة خطيرة جدا، لأنها ستفضي إما إلى نعيم مقيم في جنات عدن أو إلى نار تلظى، لا يصلاحها إلا الأشقي. ولذلك فقد زود الله - جل شأنه - الإنسان بدروع واقية أقوى من الفولاذ بل أقوى من قوى الأرض جميعها. هذه الدروع هي الإيمان به والتمسك بالأخلاقيات والمبادئ التي جاء بها أنبياء الله ورسله الكرام الذين اصطفاهم الله لتبليغ رسالته إلى البشر ويبقى المجال في الأخذ بهذه الدروع أو الترك لبني البشر أنفسهم.

وإنها لسخافة في عقول هؤلاء أن يروا المعركة حامية الوطيس، فاغرة فاهما تلتهم الجميع ليسقطوا في ميدان المعركة صرعى في نفس الوقت يرون أن هناك أحدا يمددهم بالسلاح للتغلب على العدو، ومن ثم نجد النكوص والتردد في أخذه. لقد عاش صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - متمسكين بحبل الله المتين لأنهم عاشوا والقرآن والسنة هما المشرعان لحياتهم، وماتوا على ذلك، وكسبوا المعركة بل كان لهم خير الدنيا وخير الآخرة. وصدق الله العزيز القائل: ﴿إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

وانغمس المسلمون بعدها في ملذات الحياة الدنيا وانبهروا بكنوز فارس والروم فأخذت الدنيا تترين لهم بأثوابها القشبية ورونقها المغرور فانحرفوا عن المسار الرباني إلا من رحم الله. وبخل في الإسلام كثير من الطوائف من الشرق والغرب، وانخلوا معهم شيئا من بهرجتهم وعاداتهم، فوجد انقسام في حياة المسلمين فوجدنا من تسمى بالخلفاء قد ماعوا في حياة الترف من جوار حسان وقصور منيفة وخدم وحشم. في المقابل نجد أن علماء الأمة وأمناءها قد قبلوا من قبل هؤلاء الحكام بالتعذيب والتشريد والتقتيل، فظهرت من جراء ذلك جماعة تنشذ حياة الروح التي هزمتها المادة في ميدان الحياة، وكان ظهورهم بمثابة ثورة ضد الأوضاع الراهنة في ذلك العصر وإن كان لهم أصل قديم كما سيأتي ذكره.

هذه الجماعة تسمت باسم الصوفية وكان هدفهم الأساسي تصفية النفس وتهذيبها

وتنقية القلب من أدرانته وفضوله، إلا أن هذا الهدف السامي سرعان ما اضمحل، وظهرت جماعة كثيرة من الغلاة، فغيروا وبدلوا وأتوا بنظريات باطلة ومعتقدات عقيمة لا أساس لها، في المقابل ظهرت جماعة من المسلمين اهتموا كذلك بتنقية القلب وتزكيته بالإضافة إلى اهتماماتهم الفقهية ولذلك لم يجنحوا عن طريق الحق واسم مدرستهم المدرسة السلوكية، أو كما يسميها البعض بمدرسة أهل الكشف. وكنت من فترة ليست بالقصيرة أتحفز أن اكتب شيئاً عن هذه المدرسة إلا أن جهلي وقلة اطلاعي وقلة المراجع كانت مانعاً لي عن الكتابة. وقد طرح هذا الموضوع كندوة عن الإمام جاعد الخروصي ومدرسته السلوكية مع المقارنة بمدرسة الصوفيين فاعتبرتها فرصة وتشجعت للولوج في ميدان البحث وإن كنت لست من أهله، والله المستعان على ذلك. كيف وإن من أساطيل هذه المدرسة العلماء والربانيين والقادة المصلحين.

وقد ركزت على المدرسة السلوكية بصورة عامة وأفردت فصلاً عن الإمام جاعد (رحمه الله) وذلك استجابة لمطلب الندوة المشار إليها آنفاً. وإن كانت مدرسة الإمام جاعد جزءاً لا يتجزأ من المدرسة السلوكية. وكذلك سأتكلم عن المدرسة السلوكية (الكشف) من حيث منهجهم في الحياة وفكرهم وليس من حيث خوارق العادات التي تحدث لعلمائها.

## خطة البحث

يتكون هذا البحث من أربعة مباحث ومقدمة:

١- مقدمة.

٢- علم السلوك والمدرسة السلوكية.

٣- الإمام جاعد ومدرسته السلوكية.

٤- المدرسة الصوفية.

٥- مقارنة بين المدرستين السلوكية والصوفية.

## الفصل الأول

### (علم السلوك):

قبل أن أتكلّم عن مدرسة الإمام جاعد بن خميس السلوكية سأذكر مقتطفاً عن هذه المدرسة بصورة موجزة، وفي الحقيقة توجد هناك بعض الإشارات في كتب الفقه في باب أقسام العلم عن نوع العلم الوهبي. فالعلامة نور الدين السالمي يذكر في كتاب بهجة الأنوار أن العلم الحادث ينقسم إلى قسمين بالنسبة إلى حصوله:

أ - ضروري.

ب - نظري.

فالضروري؛ هو الذي غير محتاج إلى تأمل وتفكر واكتساب.  
أما النظري؛ فهو الذي يحتاج إلى تأمل واكتساب.  
وذكر كذلك نقلا عن العالم المحقق سعيد بن خلفان الخليلي (رحمه الله) ان العلم ثلاثة أقسام: وهبي؛  
وضروري؛ ومكتسبي.

وقد سئل العلامة الخليلي عن الفرق بينها فأجاب قائلا:  
الوهمي يليقه الله - تعالى - في قلب عبده، فيض نوراني ومدد رحمانى.  
والضروري: لا يمكن أن يتصور لذي بال خلفه كمعرفة ان الاثنين أكثر من الواحد.  
والكسبي: ما عرف بالتعليم والاجتهاد.  
ويقول الإمام السالمى معقبا انه عند التحقيق: نرى أن الوهمي يرجع إلى الضروري ودخل في حده<sup>(١)</sup>.

وتكلم في ذلك الشيخ ناصر بن سالم الرواحي البهلائي في نثار الجوهر في الجزء الأول بصورة مستفيضة، وذكر انه إن حصل العلم بواسطة البشر فهو كسبي وإلا فهو لدني، اللدني ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

#### ١- الوحي ٢- الإلهام ٣- الفراسة:

وقد عرّف كل قسم على حدة فقال:  
إن الوحي هو: لغة إشارة بسرعة، وفي الاصطلاح؛ كلام إلهي يصل إلى القلب النبوي وهو عدة أنواع ليس هذا مجال بسطها.

الفراسة: علم ينكشف من الغيب بسبب تفرّس آثار الصور. وقد قال الرسول - صلى الله عليه وسلم -  
- (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله).

الإلهام: كشف للمؤمن عن بعض الأمور بدون واسطة<sup>(٢)</sup>. وقد قال - تعالى - ﴿قل إن ربي يقذف بالحق علّام الغيوب﴾ وقال الإمام السالمى في جوهره: العلم الإلهام من الحميد في مذهب الشيخ أبي سعيد.

علم اليقين: ما كان من طريق النظر والاستدلال، ومعناه إزالة الشك<sup>(٣)</sup>. قال تعالى: ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ وقال أيضا: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾ وقال: ﴿كلالو تعلمون علم اليقين﴾.

فهو إذا علم راسخ محله القلب بأن موجد الأشياء هو الله الذي ليس كمثل شيء له الأسماء الحسنى والصفات العليا، فلا يوجد أي تجلج ولا اضطراب، كيف وآياته سبحانه شاهد عليه وأفضله لا تعد ولا تحصى.  
وقد ذكر قطب الائمة (رحمه الله) في تفسيره تيسير التفسير ان علم اليقين هو العلم الموقن به كعلمكم بالأمر الذي توقنون به. وفيه إشارة إلى انه لا يكفي العلم ما لم يكن يقينا<sup>(٤)</sup>.

١- بهجة الأنوار ص ٣٠ الإمام السالمى.

٢- نثار الجوهر ص ٦، ٧ بتصريف للشيخ ناصر البهلائي.

٣- نثار الجوهر ج ١ ص ٧ للشيخ ناصر الرواحي.

٤- تيسير التفسير للإمام محمد بن يوسف اطفيش ج ١٥ ص ٣٢٠.

وذكر صاحب القناطر الإمام الجبلي ان اليقين هو علم راسخ في القلب، زایلته الشكوك، وفارقه الاضطراب، واستحكم في النفس حتى كاد أن يكون عن مشاهدة. قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لابن عباس - رضي الله عنهما - (اعمل على الرضا واليقين وإلا ففي الصبر على ما تكره خير كثير) وقال بعض العلماء: (إن أقل اليقين إذا وصل إلى القلب يملأ قلبه نورا، وينفي عنه كل ريب، ويملأ القلب شكرا، ومن الله خوفاً)<sup>(١)</sup>.

وفي حقيقة الأمر ان ملاحظة العالم اليوم ما أقدمهم على الإلحاد إلا ضعف اليقين بالله، وعدم الإيمان بالخالق. فامتلات قلوبهم حقدا وبغضا، فصاروا يرفضون الدين رفضا، وجاسوا خلال الديار طولا وعرضا، ينشرون عقائدهم الزائفة، ويهرجتهم الفارغة.

والدين الإسلامي دين يتصف بالبعد عن كل ألوان التعقيد والشطح، فهو دين رباني بعيد عن مظاهر الإسراف والفسطاط، وازن بين مطالب الروح ومطالب الجسد، أمرنا بلحياء قلوبنا وأجسادنا في أن واحد لأن الجسد إذا كان يتصف بعنفوانيته وصحته كان ادعى للإنسان أن يسهر في ذكر ربه. والقرآن الكريم يأمرنا في قوله - تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ في نفس الوقت الذي يأمرنا بقوله - تعالى: - ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ وبقوله ﴿وَلَا تُنْسِ نَصِيحَتَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ فإذا: لا نستطيع أبدا أن نفصل بين مطالب الروح ومطالب الجسد، وأي شخص حاول أن يستغرد لنفسه أحد الجانبين، فإنه لا شك سيقع في هوة شنعاء، ومال مخزٍ، وخير دليل على صدق هذا الكلام، سجل التاريخ الخالد الحايي ما وقع للأمم والديانات الماضية من انتكاسات بسبب هيمنة أحد الجانبين الجسدي أو الروحي، فقد زهق الإسلام ظاهرة الافراط أو التفريط بشعار أن لا إفراط ولا تفريط، فنضرت الأرض وازدهت وسعدت البشرية وانتشت إلى أن حل بالمسلمين داء الأمم فأتروا في حياتهم الدنيا، واغتروا بكنوز كسرى وقيصر، وخالطوا الأعاجم ففسدت العقائد وماجت أعاصير الفتن فكان حقا أن تنطبق عليهم سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾<sup>(٢)</sup> فضرب الله عليهم الذلة والمسكنة، فلم يُجِدِهِمُ التَّشَبُّهُ بِهَذَا أَوْ ذَاكَ وَلَا بِالشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَلَا بِالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

وقامت طائفة من العلماء المخلصين محذرين من هذه الكارثة والمصيبة العظمى ولم يكن لهم إلا أن ترقى القلوب وتصفى حتى تتذكر موجدها - عز وجل - فسارعوا بتأليف الكتب في تزكية القلب من الرين العالقي به. فوجد كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي وكتاب قناطر الخيرات للإمام الجبلي وهو كتاب شبيه لكتاب الإحياء ومؤلفه - رحمه الله - اعتمد على كتاب الإحياء اعتمادا كبيرا. وظهرت كتابات كثيرة في ذلك كمؤلفات العلامة ابن رجب الحنبلي والإمام سعيد بن خلفان الخليلي والشيخ ناصر الرواحي وغيرهم.

### \* المدرسة السلوكية:

والسلوك هو السيرة والمذهب والاتجاه، فنقول: فلان حسن السلوك أو سيء السلوك يأتي بمعنى النفاذ في الطريق. قال - تعالى: - ﴿لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سَبِيلًا فُجَاجًا﴾ فالمدرسة السلوكية تعنى بسلوك

١- قناطر الخيرات للإمام الجبلي ص ٢٧٠ ج ١ بتصرف.

٢- الآية ٦٢ من سورة الأحزاب.

الأشخاص سلوكا إسلاميا صحيحا، وفق منهج الله، فهي ليست لونا جديدا طرا على حياة الناس بل هي بمثابة تذكير ورجوع بالناس إلى المنهل الصافي.

والنفس الإنسانية إذا لم تجد تربية صحيحة، وتهذيبا مستقيما انطلقت تعب من الشهوات عبا، وصدق رب العزة حين قال: ﴿إِنَّ النَفْسَ لِلْإِنْسَانِ أَفْهَارٌ بِالسُّوءِ﴾ ولذلك نجد أن الرسول -ﷺ- لم يستطع أن يفتح الأرض لينشر الإسلام إلا بعد أن فتح القلوب فضاءت بنور الإيمان وأشرقت بمعاني القرآن فتجاوز نورها ليعم البلدان والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ..﴾ أي والله، بذكر الله تطمئن القلوب وتطمئن هذه الأرض، الذكر الواعي، المقترن بالعمل، الذكر الذي لا يكون تمتعات فقط بل عسارة لوجدان الإنسان، وتوجيهاته نحو خالقه - عز وجل -.

وأني لأعجب ممن يسمي تهذيب القلب وتصفيته من العلوم الباطنية، فالباطن والظاهر متلازمان في كثير من المواصفات. ومن صلح بباطنه صلح ظاهره، فدعوى الفصل بينهما ليس له أساس من الصحة.

### شروط المدرسة السلوكية:

١- الصيام.

٢- الخلوة.

٣- الدعاء وتخير الأوقات.

**فالصيام:** تربية للنفس ومدرسة تهذيبية، تكبح النفس عن شهواتها وترقق القلوب لتحس بالآلام للملايين من الجوعى والمحرومين. والصيام يكون في الخلوة وليس بصورة دائمة. **والخلوة:** في بعض الأوقات فقط، وليس بشكل مستمر، لأن المسلم حتى يصلح المجتمع يجب عليه أن يحتك بأفراده وأن ينتشلهم من جهلهم، أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر. وقد ذكر المفكر الشيخ محمد الغزالي في كتابه القيم (ركائز الإيمان بين العقل والقلب) (أن ضجيج المجتمعات أحيانا يفقد الإنسان وعيه أو يكاد، وأظن أنه ثبت علميا أن مستوى الذكاء في زحام الجماهير يهبط... ومن ثم وجدنا كثيرا من الناس ينشدون أن يخلوا بأنفسهم ليستعيدوا في خلوتهم حدة بصيرتهم، وتألق أذهانهم)<sup>(١)</sup>.

فالخلوة إذا في حقيقتها زيادة اجتماع ألفة بالناس لأن الإنسان عندما يختلي بنفسه يشحنها القوة الإيمانية. ومن ثم يتكفى إلى المجتمع يصلح خرابه ويرشده إلى جادته. ولو تأملنا كذلك أن الإسلام أمر أبناءه بالاعتكاف في المساجد بين الفينة والفينة لنفس الهدف، يقول في ذلك محمد الغزالي (إن الاعتكاف سنة مهجورة أو لعله سنة غير مفهومة خصوصا هذه الأيام، التي دارت فيها الأهواء بالرؤوس كما تدور الخمر بشاربها، وهو في حقيقته وإحاط روحية مزهرة على درب الحياة الطويل)<sup>(٢)</sup>.

**الدعاء:** فهو السلاح الذي لم نعرف استخدامه.. كيف، والدعاء هو مخ العبادة وأساسها، فالله هو منجي المؤمنين بل من كرم الله ورحمته أن يستقبله العاصي ملتأذا به يدعو أن ينقذه من عثرته، فيمن الله عليه. قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَأَنْجِيَنَّكُمْ مِنْ هَذِهِ لِنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ، قُلْ اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وقال

١- ركائز الإيمان للشيخ محمد الغزالي ص ١٨٤، ١٨٥.

٢- المصدر السابق ص ١٨٩.

٣- الآيات رقم ٦٤، ٦٥ من سورة «الأنعام».

- عز وجل - ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن طبيعة الأدعية أنها تقوي علاقة الإنسان بربه فتراه يستحضر ربه في كل شيء، أو من كانت هذه صفة أليف ما يُغضب الله؛ ولذلك اهتم علماء أهل السلوك بالأدعية الماثورة عن النبي - ﷺ - يكررها المريد على مدار الأسبوع ويحافظ على أوقاتها قدر استطاعته وكثير من علمائنا - رحمهم الله - وضع أبياتاً تحوي أسماء الله الحسنى ليردها لأن المظلوم أدعى إلى حفظ الإنسان من المنثور.

ومن هؤلاء الأئمة الشيخ ناصر بن سالم البهلاني والعلامة سعيد بن خلفان الخليلي - رحمهما الله وأرضاهما، وبالنسبة للدعاء فإن هناك أوقاتاً يستحب فيها الدعاء مثل عقب الصلوات المفروضة، وبين الأذان والإقامة والسحر وأوقات نزول الأمطار وغيرها. ولا يعني ذلك أن هناك أوقاتاً نحسة وأوقاتاً غير نحسة كما ذكر ذلك عبد الفتاح السيد الطوخي في كتابه (إغاثة المظلوم في كشف أسرار العلوم) حيث قال: (إن العلم الروحاني يحتاج إلى معرفة الساعات السعيدة والنحيسة و...) <sup>(٢)</sup> فعلى الإنسان أن يخلص دعاءه، والله هو المتكفل بقبوله إن أجلاً أو عاجلاً ولا بأس الآن أن أذكر أقوال الشيخ الإمام المحقق سعيد الخليلي - (رحمه الله) - في شروك المتعلم أي - علم الرياضة - (إن ما ذكره علماء الأسرار من هذا العلم نوع حق في نفسه، مؤثراً في الحال، غالباً لمن أتى به على وجهه، بشرط كونه من أهله، ومعنى الأملية في هذا كون الطالب معروف الهمة، مستغرق الفكرة، دائم البحث فيما هو متوجه إلى تحصيله بهذا العلم وإلا فإن كان بالعكس فإن به من تغير المزاج مانع من سريان الداء في قلبه المؤوف بالداء، فكيف المطمع في العلاج...) <sup>(٣)</sup>.

ويقول عبد الفتاح الطوخي: (إن يكون طاهر البدن والمكان والثوب، وإن تصرف العمار قبل كل عمل من خير وشر، وإن تكون متحصناً من الجن والإنس بالحصن الذي يأتي، وإنك لا تقيم بالجنابة يوماً وليلة، وإن يكون متوجهاً إلى القبلة وإن يجلس في محل خال من الناس...) <sup>(٤)</sup>. وفي موضع آخر يقول الإمام المحقق الخليلي: (اعلم أن حراسة القلب عن الفكرة الفاسدة، وكثرة الأمانى والأمال المستحيلة، وكثرة التوغل والبحث والنظر في الأمور الدنيوية والدينية التي لا مطمع في إدراكها في الحال من أهم ما تجب العناية به لطلب العلم، لأن النور لا ينجلي في القلب إلا إذا كان فارغاً من الظلمة...) <sup>(٥)</sup>.

### مقتطفات من المدرسة السلوكية:

**الأسماء الحسنى:** يقول في ذلك العلامة المحقق سعيد الخليلي (رحمه الله) (إن تأليف الأسماء من بعضها بعض بواسطة مناسبة المعاني الموجبة لكمال الفائدة بالاجتماع، إنما هو في الاعتبار كترائيب الأدوية في المعالجات... من أشهرهن اجتماع العليم الحكيم والذكر لهما بياء النداء نحو يا عليم يا حكيم، فمن أدمن ذكرهما، يسر الله له سؤله، وعرفه الحكمة وفتح له باب العلوم الغزيرة) <sup>(٦)</sup>.

١- الآية رقم ١٨٦ من سورة البقرة.

٢- إغاثة المظلوم في كشف أسرار العلوم - عبد الفتاح الطوخي ص ١.

٣- النواميس الرحمانية الإمام المحقق سعيد الخليلي.

٤- إغاثة المظلوم ص ١.

٥- النواميس ص ٥٣.

٦- النواميس الرحمانية - الإمام سعيد الخليلي.

ويقول في كتابه القيم (تمهيد قواعد الإيمان) عندما سنل عن تعلم علم الرياضة وشروطها قال: (أن تذكر في مدة الخلوة اسم الجلالة وحده إلى أربعين يوما، ولا تفتر عنه ليلا أو نهارا إلا فيما لا بد منه من الصلوات اللازمة من الفرائض والسنن المؤكدة.. وإن احتجت إلى صاحب يناولك طعامك وشربك، فلا يضرك ذلك ولكن لا تكثر الحديث له ولا يضرك أن حدثته بالقليل فيما لا تجد بدا من ذلك. وينبغي أن تحضر في مجلسك ما تقدر عليه من الطيب، وتطيب نفسك وثيابك والموضع..)<sup>(١)</sup> فتجد أنهم يهتمون بالذكر ليل نهار، ولا غرو فبالذكر تلين القلوب وتنضج، وتورق أشجارها وتزهر ﴿ألا يذكر الله تطمئن القلوب﴾ وقال تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائهم﴾ فهذا نداء من رب البشر إلى البشر ليتجهوا إليه ويدعوه بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا. ونحن ما تخلفنا في مضمار الحياة إلا بعد ما تخلفنا في مضمار الذكر. والمرء مع من أحب فأين شعار (أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) وهل ذكر الله إلا إشارة لهذا الحب المشار إليه في الحديث.

### المدرسة السلوكية.. وخوارق العادات:

إن موضوع خوارق العادات شغل الناس ولا يزال يشغلهم ولا سيما في عصر المادة.. وتبلبل كثير من الناس في هذه الخوارق فمن مصدق ومن مكذب وهذه محاولة مني أن أجلوا ولو بعضا من الغشاوة التي تكتنف هذا الموضوع.

إن خوارق العادات أمر منتشر بين جميع الديانات فقد تكون للرجل التقى وتكون أيضا في الأحيان للفاسق، للرجل أو المرأة، للصبي والمكهل. فكلنا سمعنا عن الطفل الذي تكلم في قصة أصحاب الاخدود، وسمعنا عن طفل آخر تكلم ولا يزال في المهدي في قصة العابد جريج. وربما سمعنا عن عالم يتنبأ بظهور إمامين من بني خروص عالمين عادلين قبل أكثر من خمسين سنة عن مولدهما، فيظهر الإمام سالم والإمام محمد (رحمهما الله). وسمعنا عن العلامة خلف بن سنان الغافري عندما التقى بالإمام أحمد بن سعيد وكان الأخير في ذلك الوقت صبيا فقال له: إتق الله في الرعية. وسمعنا الكثير من القصص والأخبار والروايات التي تقف عندها العقول محتارة ونكاد نحسبها ضربا من الخرافات والأساطير. وقبل أن أتكم عن المدرسة السلوكية أو بالأحرى عن الإسلام وموقفه من هذه الخوارق أتكم عن هذه الخوارق في الديانات الأخرى بشيء من الإيجاز وسأقتطف بعضا من القصص لأناس حدث لهم أشياء خارقة لعادة الناس من كتاب (ركائز الإيمان بين العقل والقلب) للشيخ محمد الغزالي. يقول محمد الغزالي: (وقد أخبرني أحد أصدقائي من علماء النفس مرة أن ابنا له كان يعيش في جاوه منذ سنين مضت، فرأى في المنام جنازة تمر بشوارع مدينته الأصلية في كارولينا الجنوبية بأمريكا وكان المنام واضح التأثير عليه لدرجة أنه كتب إلى أهله يسألهم إن كان ثم شيء حدث؟ واتفق وقت الحلم مع جنازة والدته التي ماتت فجأة..)، ويقول أيضا: (وقد وقف بمعمل الباراسيكولوجي حبر عظيم وزوجته ليرويا حادثة مشابهة، فبينما كانا على سفر في سويسرا منذ سنوات مضت شعرت الزوجة بشعور لا يمكن أن يوصف بأن أختها في شيكاغو قد ماتت. فرأت ألا تخبر أحدا بها، وبعد ذلك بأيام قلائل أحست بأن

١- تمهيد قواعد الإيمان للإمام سعيد الخليلي ص ٤٣.

من المحقق أن أختها قد دفنت، وفي هذه المرة أخبرت زوجها الذي كتب مفكرة بهذا الأمر، ولو أنه كان في شك من حدوثه، وعندما وردت إليها الأنباء تأكد لديهما أن أختها قد ماتت ودفنت في نفس التاريخ الذي أحست بها).

ويقول الغزالي: إنه قد وقع كثير من هذه الحوادث الباراسيكولوجية أثناء الحرب، وفي هذه الحوادث كانت تشعر الزوجة أو الأم أو الخطيبة لرجل في القوات المسلحة بإصابته أو وفاته في نفس الوقت الذي تمت فيه المفاجعة<sup>(١)</sup>.

وهناك الكثير من الحوادث والقصص التي طالما نسمع عن وقوعه لانس ما عرفوا الله لحظة واحدة، وقد بحث كثير من المهتمين بعلوم النفس الاحساسات الداخلية، فاقبمت المختبرات الباراسيكولوجية، وألفت الكثير من المؤلفات التي تدرس الإنسان وتركيبه وصدق الله العظيم حين قال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ فهذه لفظة إلهية إلى البشر كلهم بالتفكير في خلقتهم وما يضم هذا الجسد من غرائب وعجائب لا تنفسي لتكون مؤشرا لنقص الإنسان. فكيف يدعي قهر الطبيعة ولما يعرف بعد ماهية أجزاء جسمه، ولن يعرفها كلها. واني لاذوب ألما حين يصرف المسلمون أنفسهم عن مثل هذه المباحث والدراسات إلى أشياء جديرة أن تطويها وإلى دراسات عقيمة. فهذا هو القرآن الكريم، أصبح في نظر أغلب المفسرين إلى ميدان الزفال في مجال النحو والصرف وغيرهما. فلم يحاولوا أن يجعلوا محطة تتشوف بها هذا العالم مصححين أوضاعه، مفسرين معالمة حتى جاء الغرب بقضيه فاكشف الكثير مما هو مشاهد بين أعيننا، وما أخبرنا به الله في كتابه العزيز. فخرجنا بعد ذلك نعلن لهم أن قرأنا قد تكلم في قضايا الضغط والطب وغيرها. فلماذا تركنا مجال العلم واتجهنا إلى الجدليات وما أشبه أن يكون بالقمامات الفكرية والترف العلمي في البحث؟

نفود إلى موضوعنا فنقول إن علماء الغرب اهتموا بالنفس الإنسانية فما هو الكنيسي كاريل وكتابه المشهور (الإنسان ذلك المجهول) وما هو الدكتور تشارلس ريخت الذي نادى بوجود حاسة سادسة عند الإنسان، كذلك اهتموا بقضايا التنبؤ والجلء البصري والبصر المغناطيسي وغيرها من الأمور. بل قرأت مؤرخا أن دراسات القرن القادم وهو الحادي والعشرون الميلادي، ستتجه إلى التغفل في أعماق الإنسان. أو بعد ذلك يلحد الملاحدون ووجودهم دال على وجود خالقهم فيا لسخافة عقولهم ويا لخسارتهم في الدنيا والآخرة.

بعد هذا التطواف أن لنا أن نبين موقف الإسلام من خوارق العادات؛ فعقول الناس في مثل هذه الموضوعات؛ تتأرجح فهي تهوى الضلالات والخرافات من عهد قديم. فالمعجزات هي خوارق للعادات يجريها - سبحانه وتعالى - على أيدي رسله الكرام وهي ليست كسبية بل وهبية.

أما الكرامات فهي للأولياء الصالحين الذين عاشوا حياتهم لله، وماتوا على الصراط المستقيم وهناك خوارق قد تحصل للفاسق أو للكفرة فهي خارقة للعادة ولكننا لا يمكن أن نسميها كرامة. فالكرامة ما يكرم به العبد الصالح فأني تكون للضالين!!، فلماذا لا نغتر بما يحصل لهؤلاء الفسقة من خوارق فلو كان كل صاحب عادة خارقة يستحق التبجيل والاحترام لكان المسيح الدجال على رأسهم فإن الله يجري

١- ركائز الإيمان للشيخ محمد الغزالي ص ٢٧٠ - ٢٧١.

على يديه الكثير من الأمور ابتلاء للمؤمنين. (فلا حسن الإيمان يقتضي وقوع خوارق، ولا وقوع خارق دليل على حسن الإيمان)<sup>(١)</sup>. ويقول الشيخ محمد بن يوسف أطفيش في كشف الكرب: (لا يجوز بحسن الخاتمة بالكرامات فإنها تقع على يد مخالف كما تقع على يد موافق وعلى يد عابد نصراني راهب إذا زهد مثلاً)<sup>(٢)</sup>. فالكرامات التي يقصدها قطب الأئمة هي ما تلفت انتباه الناس من خرق لعادتهم وليست من قبيل التكريم.

إن المرء الذي وهبه الله - عز وجل - علم الكشف هو الرجل الذي صدق الله في أقواله وأعماله فمن خلق هذا الكون بأسره قادر على أن يهب من يشاء ما يشاء. وما تنكرت طبائع الناس على كرامات المتقين إلا بعد ما أسودت القلوب ورائت وتمددت البطون فزادت وتهافتت العيون للمال فشانت. ولا بأس أن أذكر شيئاً من أخبار علماء أهل السلوك من أصحابنا - رحمهم الله -.

ولكأنني انظر إلى قلبي فأراه قد أصابه ما يشبه بالانقباض، كيف لا وهو قادم على شيء مهول واجد نفسي عاجزاً عن الوصف لأنني ما سأذكرهم لا أستطيع أن أميز واحداً عن الآخر، فكلهم عظماء شوامخ لهم الميدان الأسبق في الفقه والقدم الملأى في حسن السيرة وهكذا شأن من رضع من لبان الوحي وغذته سيرة المصطفى محمد - صلى الله عليه وسلم - فاختلط ذلك في لحمه ودمه. فهم رجال وأي رجال، أرباب السيف والقلم، فرسان النهار، ورهبان الليل..

**نظروا الدنيا فلما علموا أنها ليست لحي سكننا  
جفלוها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفناً**

ولا تستقيم حياة أمة - ولن نستقيم - إذا اتجه أفرادها إلى زخارف الدنيا المتنوعة ونسوا الله. إنني أكرر القول: إن الإنسان جسد وروح لا يصح أن نركز على جانب على حساب الآخر. فبالطبع نجد علماء أهل السلوك والكشف، يذكرون الروحانيات في قصائدهم على سبيل تذكير القلب وتليينه بذكر الله، وبمثابة رد فعل لحياة الناس المائجة في بحر الماديات؛ وزخم الحياة المتهافت على المصالح والرغبات وليس تدل من قريب ولا من بعيد، أنهم نسوا حق الجسد من أكل وشرب وجماع وراحة. ولكن هناك من الناس من يريدون أن يجعلوا هؤلاء ملائكة، وليسوا كذلك، فهم أناس ديدنهم ذكر الله وتسبيحه وسعادتهم عندما يطبقون منهج الله على هذه الأرض، أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر؛ مؤمنين بالله: نظروا إلى الجاهلية التي يمج الناس فيها على هذه الأرض فقاوموها؛ وقدموا أغلى ما يستطيع المرء أن يقدمه، ومنهم من فُتِلَ وغُذِبَ فداء لهذا الدين وانتصاراً للحق.

وبسبب استغراقهم في ذكر الله وتسبيحه وحمده نجد أن جميع خلايا الجسم تسبح بحمد الله وتنطق بعظمته يقول في ذلك الإمام الرباني سعيد بن خلفان الخليلي (رحمه الله):

**اعاني تسبيحي بنور جناني  
وكل لسان اجتلي من لغاته  
ولا تتعجب ان عجبت فإنها  
فاشهد مني ألف ألف لسان  
إذا ألف من غريب اغاني  
حقائق صدق ليس بالهذيان**

١ - ركائز الإيمان، محمد الغزالي ص ٢٧٦.

٢ - كشف الكرب، محمد أطفيش ص ١٠٦ ج ١.

## نماذج مشرفه، وقصص عجيبة لبعض العلماء - رحمهم الله :-

١- الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء. وهو تلميذ الإمام جابر بن زيد - رضي الله عنه - وأسس المذهب الأباضي. اهتم بنشر العلم والدعوة إلى الله. وقد أقام سردابا يعلم فيه الناس العلم عندما منع من التدريس. فكان (رحمه الله) يتظاهر أنه يعمل قفافا إذا ما قدم إليه قادم من عملاء بني أمية. ويذكر الإمام المحقق السالمي (رحمه الله) قصة عجيبة يستشف منها كرامة هذا الشيخ الجليل عند ربه حيث انكشف له الذي كان يعلم الصبيان فيه استخفاء من الجابرة وانفتحت له السماء بأذن ربه تعالى<sup>(١)</sup>. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. وهذا الإمام من علماء الحديث ورواته فهو ثاني السلسلة الذهبية المعول عليها في مسند الإمام الحجة الربيع بن حبيب الفراهيدي (رحمه الله). وقد وثقه إمام الجرح والتعديل يحيى بن معين وحسبك به في توثيق رواة الحديث.

٢- الشيخ العلامة محمد علي بن عبد الباقي (رحمه الله) (عاش في القرنين التاسع والعاشر الهجريين) شيخ يكاد يكون مجهول لدى الناس مع صحة علمه وكثرة اطلاعه وتمكنه في علم الكشف، وله الكثير من الأجوبة وللأسف فإن الكثير من أمثال هذا الشيخ لم يكتب عنهم. فما حالة أمة تنسى أو تتناسى أسيادها وعلماءها. ومن الحوادث العجيبة التي من الله بها على هذا الشيخ انه سقى الحجيج يوم عرفة نبوة الله الذي له بالفتن في نزوى وسأذكر في نهاية هذا الفصل - ان شاء الله - الجواب الذي أجابه العلامة عيسى بن صالح الحارثي. (رحمه الله). للسؤال الذي وجه إليه عن الكرامات وفيه ذكر هذه الحادثة.

٣- الشيخ خلف بن سنان بن خلفان بن عثيم الغافري (من علماء دولة اليعاربة) وقد ظهر والحمد لله كتاب يحوي سيرته ألفه الشيخ سيف بن حمود البطاشي وهذا العالم له من علم الكشف مكانة سامقة فقد لقي يوما من الأيام الإمام أحمد بن سعيد مؤسس دولة البوسعيد في أدم، وكان الإمام لا يزال صغيرا، فوضع يده على رأسه وقال له: اتق الله في الرعية<sup>(٢)</sup>.

٤- الشيخ الرئيس جاعد بن خميس الخليلي الخروصي. (رحمه الله). وسأفرد له فصلا خاصا إن شاء الله.

٥- العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي الخروصي. (رحمه الله). (١٢٣١ هـ - ١٢٨٧ هـ) وهو إمام العلم والعمل حاز قصبات السبق في العلوم، وتناول إلى المجد إخلاصا للواحد القيوم. كان اليد اليمنى للإمام الرضي عزان بن قيس البوسعيد (رحمه الله). حتى استشهد هذا الإمام وألف هذا الشيخ الكثير من الكتب في الصرف والفقه والأدب. وكان شاعرا مغلقا، وهو أحد الثلاثة الذين لقبوا بعالم الشعراء وشاعر العلماء. من أبحاثه الملفتة كما ذكر صاحب شقائق النعمان (انه بلغ أن يعرف منطق الطير)<sup>(٣)</sup>. ويروى الكثير من الكرامات عن هذا الشيخ، معروفة لدى الناس وله كتاب مشهور في علم السلوك أسماه النواميس الرحمانية في العلوم الربانية.

٦- شاعر العرب والمسلمين حسان بن علي (العلامة ناصر بن سالم البهلاني الرواحي).

١- خلاصة الوسائل في ترتيب المسائل. الشيخ عيسى بن صالح الحارثي ص ٥٥

٢- تحفة الأعيان. الإمام السالمي ص ١٦٨

٣- شقائق النعمان. الشيخ محمد بن عزيز الخصيبي ج ٢ ص ٣٣٣

(رحمه الله). (ت ١٢٣٩ هـ - ١٩٢٠ م) وشهرته تغني عن التعريف وكيف وأمثالي لا يستطيعون أن يوفوه حقه في التعريف لمنقصه في الوصف، ولقلة مكنتي من العلم ومن أحداثه حكى الشيخ أبو بشير محمد الشيبه بن نور الدين السالمي - رحمهما الله - في نهضته أن قصيدة لشاعر العرب والمسلمين وردت من أفريقيا لحضرة الإمام سالم بن راشد الخروصي في شهر شوال من عام ١٢٣٨ هـ. وهما هي بنص حروفها وجدناها في هيمان الإمام بخط ناظمها بعد وفاته بيوم ببلد الخضرا (خضراء بني دفاع) في وادي عندام وكانت وفاته ليلة خامس من ذي القعدة من سنة ١٢٣٨ هـ.

|                            |                           |
|----------------------------|---------------------------|
| مولاي أبشر لن تزال مجيدا   | حفظ الإله مقامك المحمودا  |
| اقبال دهرك بالبشائر مؤذن   | تُزجى حدوداً أشرقت وسعودا |
| نظرت إليه من السعادة عيئها | فارفع يدك لتشكر المعبودا  |
| وعدٌ تحققه المشيئة قد أتى  | ولسوف تعرف ذلك الموعودا   |
| قرب الزمان وأشرقت أيامه    | ليس الزمان بما أقول بعيدا |
| سترى العجائب مسرعات ترتمي  | تحيي جهارا ميتا مفقودا    |
| فخذ الإشارة من لسان صادق   | حتى تشاهد يومك المشهودا   |
| أبدى الزمان بما يكن ضميره  | وترى زمانا بعد ذاك جديدا  |
| أخليفة الرحمن أيقن بالقضا  | ليس القضاء بحيلة مردودا   |
| يا من أضل بعيره بمضيعة     | أبشر وجدت بعيرك المنشودا  |

والقصيدة من ١٩ بيتا. ولولا خوف الإطالة لأتيت بها كاملة وقد أخبر فيها بموت الإمام سالم بن راشد الخروصي. (رحمه الله). قبل أكثر من شهر؛ وكيفية الاستشهاد بواسطة الشقي أبي بسره ولد التوبلي؛ وكذلك أخبر بقيام الإمام أبي خليل محمد بن عبد الله الخليلي بعده والحادثة مشهورة عند العام والخاص.

كذلك أورد صاحب جبهة الأخبار اللقاء بينه وبين الشيخ ناصر الرواحي ولنترك صاحب المؤلف يروي لنا هذا اللقاء يقول (اجتمعت بالشيخ المذكور في زنجبار أيام الحرب العظمى (الحرب العالمية الأولى) وصرنا نتداول الحديث في شأن الحرب الواقعة، وعظيم شأنها في القتل والدمار فقال لي (أي) قال الشيخ ناصر) سأخبرك بحديث إن كنت حيا ستذاكرني فيه، وإن كنت ميتا ستذاكرني، وستذكر ما حدثت بك به الآن، ثم قال: إن هذه الحرب الحالية ليست بشيء في الحرب التي ستأتي من بعد، ستقع حرب هائلة مهلكة لا تخمد نارها ولا ينطفئ نورها..<sup>(١)</sup>.

وبالفعل حدثت الحرب العالمية الثانية التي استخدمت فيها الأسلحة المهلكة للحرب والنسل ويكفي ما حصل لنجازاكي وهيروشيما اليابانيتين فأثار الدمار لا تزال إلى يومنا هذا، حيث إن الأطفال يولدون وبهم تشوهات من جراء التأثير الذي حصل في الجينات فصارت بالوراثة تنتقل من جيل إلى آخر كما هو معروف في علم الوراثة.

هذه بعض الأحداث التي وقعت لعلماء أهل الكشف وصدق الله العظيم الذي وصف عباده المؤمنين

١- جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار. الشيخ سعيد بن علي المغيري ص ٤٩٦

في سورة (المؤمنون) ﴿قد أفلح المؤمنون، الذين هم في صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون﴾ فهم ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بتحقيق هذه الصفات في واقع الحياة ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾.

وقبل ان تنتهي من هذا الحديث عن المدرسة السلوكية أحببت ان أثير موضوعا طالما يتردد في أذهان الكثيرين وهو هل علم الكشف يعتبر علميا غيبيا؟ وبأسلوب آخر ما الفرق بين علم الكشف وعلم الغيب؟ والجواب على ذلك. والله المستعان. ان علم الكشف وعلم الغيب بينهما بون شاسع فهما لا يتفقان إلا في حدودهما بعيدا من الناس، أو بصورة غيبية عن واقع الناس. ولكن الحداثة مثلا ترى من الأعلى من مسافات شاسعة أشياء على ظهر الأرض بصورة واضحة فهل هذا علم بالغيب؟! والجن يستطيعون معرفة ما لا يستطيع الإنس معرفته، فهل هذا علم بالغيب؟ فعلم الغيب يختص به الله - جل شأنه - ليس لأحد ان ينازعه فيه قال تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾<sup>(١)</sup> وقال عز قائلنا عليما على لسان نبيه - صلى الله عليه وسلم - ﴿قل لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾ فإذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يعلم الغيب فمن يجرؤ على معرفته؟ وأنى له ذلك.. ورسول الله خير الأولين والآخرين، الإنس والجن فلو كان أحد أحق بذلك لكان هو - صلى الله عليه وسلم - فهناك أشياء تغيب عن أناس كثيرين ويهلم الله - سبحانه وتعالى - بعضا من عباداه فيعرفها فهل هذا علم بالغيب؟

ومن هنا يظهر لنا أن علم الكشف هو في حقيقته كشف لأشياء ممكنة الحدوث والمعرفة للناس، ولكنها قد تغيب عن العامة وقد لا يستطيعون إدراكها. وليست تعني أنها علم الغيب الذي استأثر الله به دون خلقه أجمعين. فعلمهم بهذه الأشياء ناشئ عن إرادة الله - عز وجل - لهم بمعرفتها، لذلك فهم لم ينازعوه في علم الغيب.

### سؤال في الكرامات:

سئل الشيخ عيسى بن صالح بن علي الحارثي عما رفعه رجل مخالف عن بعض أهل العلم أنه يستبعد ما ذكره شيخنا العلامة السالمي (رحمه الله) في آخر الرد على العقبي عن محمد علي بن عبد الباقي بأنه سقى الحجيج يوم عرفة نبوة الماء الذي له بالغنتق في نزوى ذلك اليوم، فهل يصح هنا الاستبعاد مع ثبوت الكرامات للأولياء مع ما فيه من إيهام الكذب على الرافع.

### الجواب:

ما نقله هذا المخالف فهو صحيح، فإنه قال هذا المستبعد: لم لم يسق هذا الحجيج من النبل وهو قول غير مستقيم؟! فإن من أعطاه الله علما باتيان الماء من الغنتق قادر على اتيان الماء من النبل، وهذا مشكل جدا مع جلالة قائله، فما الفرق بين اتيانه من الغنتق أو النبل إن كان القائل يثبت الكرامات للأولياء وهو كذلك، ولا أرى هذا جائزا في حق الأئمة لأنه يورث الطعن في المذهب والقدح فيه وكرامات الأولياء مشهورة عند الموافق والمخالف، وكفى بإتيان عرش بلقيس لمن آتاه الله علما من الكتاب، فالإتيان بالماء مع لطافته وسيلانه أسهل من اتيان العرش مع عظمه وكثافته.

قال ابن عباس: عرشها ثلاثون ذراعا، في كل جهة من الجهات الأربع، وطوله في السماء ثلاثون

١ - الإتيان ٢٦، ٢٧ من سورة ١٦، الجن.

ذراعاً، وقيل ثمانون في السماء وطوله في غير السماء ثمانون في ثمانين قال الشيخ هود عند قوله تعالى: (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبيل أن يرتد اليك طرفك) دعاه يا ذا الجلال والإكرام، والمن العظام والعز الذي لا يرام، وذلك هو الاسم الأعظم، فإذا العرش معه جاءه من اليمن وهو بالشام. وكرامة مريم بنت عمران وأصحاب الكهف مبسوسة عند أهل التفسير.

وقال حملة العلم يوماً لأبي عبيدة - رحمه الله تعالى -: يا شيخنا نريد منك أن تعلمنا بعض الكرامات تطمئن بها قلوبنا على هذا المذهب فتوضأ الشيخ وصلى ركعتين واجتهد في الدعاء فتحققت له كرامة خلدت لصاحبها جميل الذكر على صفحات الأيام، وتدل على أنه من الله - تعالى - في شأن عظيم، (ذكره شيخنا في شرح المسند).

وكرامة أبي بلال (رحمه الله تعالى) دعا الله تعالى تحت ميزاب الكعبة في ليلة صاحبة قمره ورغب إليه فيما هو كذلك الخ. فقال: اللهم حاجتي فكرر، فسمعه أهل الطواف، فقالوا: اللهم اقض حاجته فقال: اللهم إن كنت رضيت ما أريد، فأرني من ذلك علماً. فقطرت عليه من الميزاب قطرات فلما أحس بالماء انسحب في الناس. وما وقع في وقعة مانو أقصر في أرض المغرب بين الأباضية وابن الأغلب عامل المعتضد، قتل فيها من المسلمين اثنا عشر ألفاً وعدد العلماء في المقتولين أربعمئة عالم، وكان رجل من جند ابن الأغلب قد قتل له أخ في المعركة، فجاء ليحمله فحملة على بغله، فرأى شبه سلوكي تدور في جثث القتلى وقال: كبروا يا أهل الجنة؛ فكبرت الجماعة. وقال: انبجوا يا أهل النار؛ فنبج قتلى الفاسق؛ ونبج المحمول على البغل فطرحة.

هذا ما ذكرنا من بعض كراماتهم باختصار لئلا يستبعد مستبعد وقوع الكرامات لأولياء الله، وقد استبعدت قريش لما أخبرهم - صلى الله عليه وسلم - لمسراه من مكة إلى القدس، وصفقوا بالأيدي تكذيباً له، حاشاه بل هم الكاذبون شأن من لم يستألف شيئاً يستبعد وقوعه، (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم يختص برحمته من يشاء)، اللهم اجعلنا ممن اختصت برحمتك من اصفيائك وأوليائك يا أرحم الراحمين والعلم عند الله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم<sup>(١)</sup>.

## الفصل الثاني

### مدرسة الإمام جاعد بن خميس الخروصي (رحمه الله) السلوكية:

قبل أن أدخل في ذكر هذه المدرسة التي هي كما ذكرت مدرسة الاسلام الخالص، لا بد أن أعطي نبذة بسيطة عن حياته وسيرته.

#### نفسية:

هو الإمام المحقق أبو نيهان جاعد بن خميس بن مبارك بن يحيى بن عبد الله بن ناصر بن محمد بن حيا بن زيد بن منصور بن ورد بن الإمام الخليل بن شاذان بن الإمام الصلت بن مالك الخروصي اليمحمدي الأزدي<sup>(٢)</sup>. وقد وجدت رواية مخالفة عن هذا الترتيب في كتاب الصراط المستقيم للشيخ العبادي. والخلاصة أنه نشأ في أسرة معروفة بالعلم والفقه في الدين (وكان أجداده يسكنون بهلي من

١ - خلاصة الوسائل في ترتيب المسائل ج ١ ص ٥٤٠

أرض الجوف، فأزعجهم سلطان الجور إلى الخروج منها فبقي أجداده بالعليا من وادي بني خروص<sup>(١)</sup>.

وكان هذا الانتقال في زمن النباهنة وبالذقة في أيام الملك سليمان النبهاني الشاعر؛ والإمام جاعد بن خميس تعلم العلم في سن متأخرة إلا أنه استطاع أن يبرز معاصرة فيصار المتقدم عليهم وضربت إليه الأكباد لطلب العلم، وبرع في علم السرفلله دره:

يا نفس خوضي بحار العلم أو غوصي      فالناس بين معموم ومخصوص  
لا شيء في هذه الدنيا يحاط به      إلا إحاطة منقوص بمنقوص  
وقد صنف الكثير من المصنفات وخلف مكتبة كبيرة من المؤلفات ولا تزال مخطوطة تنتظر الأيدي التي تنفض عنها غبار الزمن وركام الأحداث. وقد مدحه الكثير من علماء وشعراء عصره منهم الشاعر المشهور الغشري والشيخ منصور بن ناصر الخروصي الستالي وغيرهم، كذلك مدحه الإمام الرباني سعيد بن خلفان الخليلي - رضي الله عنه - كما جاء في تقريله لكتاب الإمام جاعد المسمى دقاق أعناق أهل النفاق.

أين في العالمين مثل أبي نبهان      أم هل من طامع في اللحاق!!  
قد كفانا تعريفه بعلاه      عن معالي آبائه السباق  
وحمانا اسمه أن يسمى      فوصفناه بالكنى والمراق  
ورأينا الاسهاب فيه قصوراً      فرجعنا لمجمل الأطواق  
قد حباه جوامع الكلم لله      حباه مكارم الأخلاق<sup>(٢)</sup>

وهكذا شأن من عرف الله، وسار على هدي منه - جل وعلا - فله السعادة في الدنيا والآخرة. أما الذين استهوتهم الدنيا فتمرغوا في أوحالها، ورضعوا من اللبنها فهم يقول فيهم ابن شيخان:

ومن سلك الطريق بلا دليل      تخبط هوة واشتاك شرا  
وقال:

وذا التقوى وإن ضعف ابتداء      فإن مقامه يزداد قدرا  
وذا الدنيا وإن طالت يدها      فإن أموره ترتد خسرا

وحتى نعرف صفات المدرسة السلوكية عند الإمام جاعد - رحمه الله - عن قرب - لا بد لنا أن نتجه إلى ما خلفه من الأدب والبيادين الأخرى ففيها نال مبتغانا وهدفتنا. فالإمام جاعد شاعر ومؤلف عملاق؛ وظف قريحته الشعرية في نصرة الحق وذكر الله فصارت مع قوة سبكها تنفع عطر الذكر فتحسن بالراحة.. لم لا؟ وبالأذكر تطمئن القلوب فتحس بنشوة غامرة، وقوة عارمة لإحقاق الحق وتمكين منهج الله في الأرض.

١ - شقائق النعمان . الشيخ محمد الخصيبي ج ١ ص ١٣٩ .  
٢ - دقاق أعناق أهل النفاق - الإمام جاعد بن خميس الخروصي - مخطوطة.

وقد اطلعت في مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي على مخطوطة فيها هذه القصيدة التالية التي تعبر عن الفكر السلوكي للإمام جاعد - رحمه الله - والقصيدة طويلة جدا اكتفي بذكر أبيات منها. قال - رحمه الله - تعالى:

|                                                                                                                                                                        |                                                    |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------|
| وَنُؤْذِجُ الْإِلْطَافَ مِنْ أَحْسَانِهِ                                                                                                                               | لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُحْسِنِينَ مَغَامِسَ           |
| وَمَعَارِفِ الْإِقْيَانِ يُوْرِثُ نُورَهَا                                                                                                                             | رُومًا مَالِكًا فِي الْحَقِيقَةِ رَاكِسَ           |
| وَلطَائِفِ الْفَاقَاتِ لَطْفَ سَنَائِهَا                                                                                                                               | يَحْصِي بِهِ الطَّبَّ الْهَيْفَ الْيَابِسَ         |
| وَمَوَارِدِ الْأَوْرَادِ كُلِّهَا                                                                                                                                      | لِلْوَارِدَاتِ مَصَادِرَ وَنَبَارِسَ               |
| وَحَقَائِقِ التَّحْقِيقِ سِرَّ غَامِضَ                                                                                                                                 | وَبِعَالَمِ الْمَلَكُوتِ فَهُوَ كَوَانِسَ          |
| وَلَهَا سَمَاءُ الْقَلْبِ فِيهِ مَطَالِعَ                                                                                                                              | وَلَهَا مِيَادِينَ النُّفُوسِ مَعَاكِسَ            |
| وَالْحَقِّ فَرْدَ وَالشَّهْوَودِ كَثِيرَةَ                                                                                                                             | عَيْنِ الشَّهْوَودِ وَلِلْمُرِيدِ مَقَامِسَ        |
| وَكِتَائِفِ الْإِغْيَارِ عَنْ تَحْقِيقِهِ                                                                                                                              | حَجَبٌ بِهَا حَجَبُ الْجَهْلِ الْهَوَلِ الْنَاكِسَ |
| مَنْ كَانَ مَحْبُوبًا بِهِ فِي كَوْنِهِ                                                                                                                                | عَنْ كَشْفِ سِرِّ السَّرِّ فَهُوَ الْخَالِسَ       |
| مَنْ لَزِمَ الْإِكْوَانَ لَمْ يَفْتَحْ لَهُ                                                                                                                            | سِرَّ مِنَ الْمَلَكُوتِ إِذْ هُوَ حَادِسَ          |
| دَعَا غَيْرَهُ فَالْغَيْرُ عَفْسٌ ضَيِّقٌ                                                                                                                              | وَالْجَهْلُ فِيهِ لَذِي الْجَهَالَةِ حَابِسَ       |
| وَالْكَشْفُ سِرِّ السَّرِّ فِي تَفْرِيدِهِ                                                                                                                             | وَفِرَائِدِ التَّفْرِيدِ سِرَّ شَامِسَ             |
| وَالْوَهْمُ قَيْدُ النَّفْسِ فِي تَقْيِيدِهَا                                                                                                                          | عَنْ مَطْلُوقِ الْإِخْلَاصِ فَهُوَ الْخَالِسَ      |
| وَقِلَائِدِ التَّقْلِيدِ جَهْلُ فَاسِدِ                                                                                                                                | وَالظَّنِّ وَالتَّشْكِكِ لَيْلِ دَامِسَ            |
| وَجَمِيعِ اسْرَارِ الْغُيُوبِ مَصُونَةِ                                                                                                                                | عَنْ كُلِّ مَا هُوَ غَائِبٌ أَوْ عَابِسَ           |
| وَالْأَصْلُ تَجْرِيدُ الْهُوَى عَنْ نَفْسِهِ                                                                                                                           | وَبِنَفْسِهِ تَجْرِيدُهَا يَا نَاعِسَ              |
| هَيْهَاتَ يَحْصُلُ بِالْمُنَى تَحْصِيلُهُ                                                                                                                              | وَالنَّفْسُ فِيهَا لِلْعَثَارِ مَغَارِسَ           |
| وَالْقَصِيدَةُ طَوِيلَةٌ جَدًّا وَلَا تَخْلُو مِنْ تَصْحِيفٍ أَوْ تَحْرِيفٍ. وَقَدْ اسْتَخْدَمَ فِيهَا الشَّيْخُ مَصْطَلَحَاتٍ وَمُفْرَدَاتٍ قَلِيلَةً الْإِنْتِشَارَ. |                                                    |

وهناك قصيدة أخرى بعنوان (حياة المهج) وقد شرحها الإمام جاعد بنفسه، وقد وقفت على هذا الشرح ولا يزال مخطوطا في مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي واليك نتقا من شرحه على قصيدته:

١- تَبِينْ أَخِي فِي اللَّهِ قَوْلِي فَبَانِي عَلَى النَّصْحِ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ مَعَ الْعَتْبِي  
 اليقين هو التبصر والاستبانة، والأخ من النسب لأم أو لأب أو كليهما، والصديق والصاحب والأخ في الله هو الذي صحت لصفاته أخوته، ووجبت لموافقته في القول والعمل محبته، ولزمت لبرائه في دينه من دخول التهم ولأيته. وإنما أمره بالتبين على وجه الإطلاق عموما على إرادة التخصيص بهذه المنظومة، وإن أجري على عمومه فلا بأس؛ وذلك ليتضح فيظهر المراد حقيقة، فإن المعاني (...) ولباب،

(...) ما بين القوسين غر واضح في المخطوطة.

والألفاظ قشور واصداق فلا تخرج عن اصداقها مجردة من قشورها بحال على التمام والكمال الا (اذا غاص القلب) في بحر حقائق المعاني المحمولة في محامل الألفاظ الحاملة لها فهي في المباني للمعاني كالمعاني، ومن لم يلج المنزل فيطلع وينظر.. فكيف يعرف على اليقين ما فيه من الخارج. كلا فلا سبيل الى ادراكها والبلوغ الا باستعمال الفكر والالتزام والتدبر والاعتبار والمطالعة لمعنى القول اللفظي من القلب النوراني لا سيما في عويصات الامور، ثم أخبر أن مراده النصح في ذات الله - تعالى - وذات الشيء نفسه والإله هو المستحق ان يعبد، فلذلك لا يجوز ان يسمى هذا الاسم غيره، اذ لا يستحق العبادة أحد سواه. النصح اسم كالهولي جامع لصور شتى من فرض ونقل لانه يتناول الدين كله، وكل منهما على منازل وفي كل منزلة درجات عدة.. إلى آخر شرح البيت..

**٢- واهديه صرفا في عموم أولي النهي كذا في خصوص من عموم أولي القريب**  
يقول الشارح - رحمه الله - اهديه أي أسوقه هديه له، صرفا: غير مكذبة بشيء من المكدرات لها لان الصرف هو الخالص من كل شيء وقوله: في عموم: لمنهج النبي - صلى الله عليه وسلم - في إنذاره ونصحه العالمين كافة على سبيل العموم، وإنما خص في تعميمه أهل النهي، لان فاقد النهي لا فائدة في خطابه فضلا عن عتابه، وإنما الخطاب والإنذار والمبالغة في النصح والعتاب لاهل النهي. والنهي عبارة عن العقل، والمراد (...) النهي بالقوة فإنه عم، ويحتمل ان يكون بالفعل، وهم الذين اعملوا عقولهم في حرت الأخرة، فإنهم هم أهل السمع وما عداهم عن السمع لعزولون (إلى باقي شرح البيت).

وهكذا فإن الشيخ جاعد (- رحمه الله -) نهج منهاجاً فريداً في هذه القصيدة، فنصح أهله وعشيرته بالاستقامة في الدين، مذكراً إياهم ادواء هذه النفس وعللها واصفا للدواء، وهذا غاية ما يتمنى المرء أن يعرف داءه ويعرف دواءه حتى يتسنى له أن يعالج نفسه. أما أن نقوم بتشخيص ادواء هذه الأمة ونكيل اللوم ونجيد أساليب التقرير ولا ندلها على طرق العلاج فذلك أمر لا فائدة منه، بدل أن يلتئم الجرح، وتضمر دائرة الخرق، تزيد، وينفجر الجرح.

فيقول واصفا نفسه، وفي هذه اللفتة وقفة لا بد منها حيث ان الانسان اذا نصح غيره وأخبرهم من أحواله الشخصية ما يماثلها كان ذلك ادعى للاستجابة لانه يمثل القدوة فيما انه اجتاز تلك التجربة فكان لسان حاله يخاطب المستمعين انه لا صعوبة في التخلص من ادران وشهوات النفس الطامحة. فيقول (- رحمه الله -) مخاطباً نفسه:

**أراها على قبيل الصفات ذميمة ومن ساءها تسعى بمسعى الردى دأبا**  
**لكون العمى يقلى التقى عن جهالة بزيف الهوى، ترضى بما يُسخط الربا**  
يقول شارحا النفس الانسانية:

فإن غلب عليها الافراط صارت ينبوعا لجميع المعاصي والشرور، ومهما اعتدلت في نفسها بان كانت منقادة للشر، مسخرة تحت سياسة العقل، انعكس أمرها فصارت ينبوع جميع الطاعات.

ويقول: المقتضى لذهاب نورها، داء الجهل، وانه هو الموجب لعماها عن معرفتها نفسها ما هي؟ ولم هي؟ ومن لم يعرف نفسه لم يعرف ربه؛ وكان بغيرها جهل. واذا كان ذلك كذلك فكيف يتقي من لا

يعرف ويخشى، فيطيع من لا يعلم: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء..﴾ فتراه يذكر الجهل وتنتابه على الانسان:

أرى الجهل أمرا كالهوى يجذب الورى الى ورطة عن قرطعة منهم جذبا والقصيدة حقيقة جدية بالاهتمام والاطلاع ولا سيما بعد ما شرحها الشيخ نفسه فأبان مدلولاتها وأظهر من فيوض علمه ما يحار منه العقل. فعسى أن يجد هذا الشرح طريقا، ليظهر إلى عالم الوجود ويتنشل من الادراج والمكتبات فيكون في متناول الجميع. وله قصيدة أخرى بدأها بالتسبيح بقوله (سبحان) يقول فيها:

سبحان من كل يسبحه به وإليه منه يدين من قد دانا  
سبحان من لكون كان مكوّنا ما كان أو سيكون كونا كانا  
سبحان من شهد الوجود بجلوه ووجوده سبحانه سبحانا  
وقد استخدم الإمام جاعد (- رحمه الله -) علم الكشف ضد الظلمة، والجبارين فقد ذكر الشيخ محمد بن راشد الخصيبي في شقائه: انه أصاب الناس من حكام زمانه كيد وإنزى كثير حتى في أولاد الشيخ جاعد، فمنهم من أواهه (أي الإمام جاعد) بعلم السر على من ظهر منه الظلم والبغي والفساد في الأرض من أهل زمانه ينسب التاريخ بذلك<sup>(١)</sup>.

وفي موضوع استعمال علم السر أو الدعاء على الظلمة والجبارين خلاف بين العلماء فبعضهم جَوّز ذلك على من ظهر بغيه واستفحل شره، وبعضهم قال: لا يجوز الدعاء عليه بالموت الأعلى وهذا هو ما ذهب إليه الشيخ ناصر بن أبي نهبان الخروصي.

وذكر الإمام محمد اطفيش قطب الأئمة: أن الدعاء عليهم بالموت يجوز إذا كانوا (أي الظلمة) يضرّون المسلمين أو الاسلام. وفي حقيقة الأمر أن تأثير هؤلاء الظلمة والجبارين عظيم في أي أمة، وما أصاب المسلمين الوهن والضعف الا بعدما تركوا لهؤلاء الحبل على الغارب وظهرت فرق من المسلمين لا يجوزون الخروج عليهم. فبالعجب منهم أخذوا بالقول الذي ينسب للمسيح عليه السلام الذي يقول: (دع ما لله له وما لقيصر لقيصر) ونسوا أن الاسلام كل لا يتجزأ اهتم بكليات الحياة وجزئياتها.

ومن ينظر الى القرآن ويتأمل فيه يجد ان الله - سبحانه وتعالى - ذكر ان من اسباب خذلان الناس ووهنهم التسلط السياسي والاقتصادي كما جاء في سورة القصص ﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾: ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين..﴾.

فلننظر الى الآيات كيف أن الله - سبحانه وتعالى - ذكر في هذه السورة فرعون وهارون وقارون ومن كان معهم. فكل واحد يرمز الى شأن من شؤون الحياة، السياسي والاقتصادي وغيرهما؛ فلم يستطع موسى - عليه السلام - ان ينشر الخير في هذه الأرض إلا بعدما قضى على هذه العصابة الشريرة - بإذن ربه - ولا غرو في ذلك، فإن من كانت سيرته وسريته لله كان حقا على الله أن يعطيه الخير الكثير وأن

١- شقائق النعمان. الشيخ محمد الخصيبي ص ١٣٩

يلهمه التوفيق والتسديد. وصدق الشاعر الغشري حين قال:

لله قوم مرارجيح عقولهم      أيدهم الله في دنياه أبدا لا  
صفت قلوبهم حتى بها نظروا      رأي المغيب كراي العين أرسالا  
وعاينوا هذه الدنيا وزخرفها      كالحلم أو كسراب لاح واختالا  
لم يطلبوا العلم للدنيا وزخرفها      وان ينالوا به جاها وأموالا<sup>(١)</sup>

فالشيخ جاعد (- رحمه الله -) قضى حياته مجاهدا في سبيل الله بالكلمة وبالسيف فكان يأمل ان ينصب إماماً قائماً بالحق فعمل لذلك ولكنه لم يوفق؛ فله - ان شاء الله - الجزء الجزيل من الله العزيز الجليل. وقد نجح في ذلك ابن عمه العلامة الرباني سعيد بن خلفان الخليلي (رحمه الله) فقام هو والشيخ صالح بن علي الحارثي والشيخ حمد بن سليم الغاري بمبايعة الإمام الرضي عزان بن قيس بن عزان بن قيس بن الإمام أحمد بن سعيد فجزاهم الله عن المسلمين والاسلام خيرا.

والإمام جاعد (رحمه الله) عاصر أحداثا كثيرة وجهالات متعددة فكان بمثابة الناصح المشفق على مصير هؤلاء، لم يقف في حدود الكتب بل كان يرى هذه الكتب بعين ليتبحر في مسائلها ويغوص ليخرج درر معانيها في نفس الوقت الذي يرى بالعين الاخرى ما يعوزه المجتمع والمشاكل المستجدة في حياة الناس. وهذا هو تعريف المجتهد كما أشار الى ذلك الدكتور يوسف القرضاوي، وكما هو واضح، فالانغلاق أفة ممقوتة تؤدي الى انغلاق والى انغلاق المجتمع.

نرجع الى الإمام جاعد حيث انه وصف حالات الناس في مجتمعه وهو يكاد يذوب من المال الذي الوا إليه ولكنه يتذكر قول الحق - سبحانه وتعالى - ﴿انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾.. صدق الله العظيم. فوصفهم في أبيات له رائعة. يقول - رحمه الله -:

فما الناس الا في لباس وزينة      واكل وشرب، شهوة وجماع  
وضرب وطعن ثم عطر وملبس      وقتل وسلب حلفة وكراع  
وجهل وسهو ثم لهو وغفلة      وكد وكيد، خدعة ونزاع  
وماخور خمر ثم زمر وقينة      وطبل ورقص ثم لحن سماع  
فضاهرهم في صورة آدمية      وباطنهم في الطبع مثل سباع  
شياطين أمّارون بالفحش والخنا      يصدون عن نهج الهدى بقراع

انه لم ينس واجباته تجاه مجتمعه، بدعوى الزهد والروحانيات شأن فريق من المتصوفة الذين هربوا من الحياة (متقصرين حياة النقشف في العيش والجوع، هائمين على وجوههم في الأسواق والفلوات، لا يلبون على شيء وليس لهم سوى الابتعاد عن شؤون الحياة)<sup>(٢)</sup>.

وسأذكر في الفصل القادم ان شاء الله شيئا عن الصوفية ومنهجهم في الحياة وما ذكرتهم الآن إلا لأن الناس يخلطون بين علماء أهل السلوك والصوفية. وبينهم بون كبير وإن كان منطلقهم واحدا. فهدف الجميع تزكية النفس عن الأصدقاء والأهواء العالقة بها. ولكن الاختلاف في منهجية التطبيق.

١- ديوان الغشري ص ٣١٥، ٣١٦ بتصرف

٢- الصوفية في نظر الاسلام، سميح عاطف الزين ص ٧٢

ولهذا السبب عارض علماءنا (رحمهم الله) إطلاق هذه التسمية لاهل السلوك أو الكشف. وأقول: اننا لا نستطيع ان نطلق هذه التسمية لمن ينسب معهم كالحسن البصري والجنيد وغيرهما. وسنفضّل - ان شاء الله - ذلك في الفصل اللاحق فلا داعي لاستعجاله الآن.

وبالنسبة للارقات فقد حكى العلامة سعيد بن خلفان الخليلي في كتابه النواميس الرحمانية ان (الإمام جاعد ينظر ان من قصد حاجة فيها الله، فلا يلتفت الى وقت ولا يوم ولا ساعة ولا طالع ولا غارب ولا تربيع ولا تثليث ولا شيء مما يشبه هذا كله)<sup>(١)</sup>. قاله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فمتى دعا الانسان ربه وتوجه اليه بنية صادقة، وقلب مطمئن فإن الله - سبحانه وتعالى - سيحقق إجابة دعائه سواء في الدنيا أو في الآخرة.

### من صيدلية المدرسة السلوكية للإمام جاعد:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، نعم ان الانسان اذا ما تمسك بالعروة الوثقى والطريقة الحقّة فإن الله يفتح عليه من فضل نعمائه، ويسهّل عليه أمره.. فالقرآن الكريم شفاء للأمراض المعضلة وفيه خير كثير لمن صدق الله وعبده حق عبادته. فلذلك نجد ان علماء اهل السلوك (رحمهم الله) كثيرا ما يستعملون آيات القرآن العظيم للتداوي وهو ما يسمى بالحجاب فليس كل حجاب جهالة وشر كما يظن بعض الناس. فهناك فرق بين الحجاب الذي يحوي آيات بينات من القرآن الكريم وبين الذي يحوي طلاسم واسماء مبهمه لا يُعرف اولها من آخرها، خيرها من شرها وقد تكون باسم الشيطان الرجيم.

فمما استخدمه الإمام جاعد (-رحمه الله-) كما جاء في كتاب النواميس يقول مؤلف الكتاب: إنه (ذكر شيخنا الفقيه عن أبيه العلامة الكبير البحر الزاخر أبي نيهان أنه كان يأمر من ابتلي بكثرة النوم ان يضع هذه الكلمات الخمس من الآية العظيمة وهي: ﴿لَا تَأْخُذْ سُنَّةَ وَلَا نَوْمَ﴾ في وفق ويحمله معه ويُذكر انها من مجرباتهم)<sup>(٢)</sup>.

والوفق: شكل يحتوي على أحرف أو على أرقام وهو ثلاثي أو رباعي أو خماسي أو سداسي إلى الوفق العاشر، وقد ألف الإمام ناصر بن الإمام أبي نيهان جاعد (رحمهما الله) كتابا في ذلك اسماءه (سراج الأفاق في علم الأوقاف) ويقول تلميذه الشيخ سعيد الخليلي عنه: إنه اظهر من غوامض هذا العلم ما لم يتعرض له سواه فيما نعلم<sup>(٣)</sup>.

وهناك الكثير من أمثال هذا (العمل) قام بها الإمام جاعد بن خميس - رضي الله عنه - ولا داعي للاطالة فانما قصدت الذكر فقط لا الاستقصاء.

إن موضوع فرقة الصوفية موضوع قد طالت مناقشته ولُخذ أكثر من حقه ولا أريد ان أذكره هنا بأسهاب إلا ان الغرض من هذه الدراسة الوقوف على بعض الافكار التي أتى بها هؤلاء المتصوفون، لنرى الفرق بين مدرستهم والمدرسة السلوكية بوجه عام ومدرسة الإمام جاعد السلوكية بوجه خاص.

١- النواميس الرحمانية. الإمام سعيد بن خلفان الخليلي ص٧٤

٢- النواميس الرحمانية. الإمام سعيد بن خلفان الخليلي

٣- المصدر السابق ص١٦٢

وهناك الكثير من الناس من يخلط بين المدرستين فيقول بعضهم: إنه لا مشاحة في الأسماء. نعم؛ إذا كانوا في نفس المضمون ونفس المسار. أما أن يكون الفريقان بينهما بون شاسع؛ فلا.

### \* أصل تسمية الصوفية:

- اختلف الكتاب والباحثون عن سبب تسمية الصوفية بهذا الاسم.
- بعضهم قال: إنهم سمووا بذلك نسبة إلى أهل الصفة - وهي زاوية أقامها النبي - ﷺ - خارج مسجد الصفا بالمدينة لفقراء المسلمين؛ وخاصة المهاجرين.<sup>(١)</sup>
- ذهب بعضهم إلى أن الصوفية نسبة إلى رجل يقال له صوفة واسمه الغوث بن المر ظهر في العصر الجاهلي وينسب هذا القول إلى ابن الجوزي البغدادي.
- ذهب البيروني قديما - وهامر حديثا إلى أن الصوفية إنما هي اشتقاق من سوفيا اليونانية وتعني الحكمة.

- وهناك قول آخر: إنها سميت بهذا الاسم لاشتغالهم بالصوف.
- وقيل: من الصفاء كما قال أبو بكر الكتاني: التصوف صفاء ومشاهدة. وقد ذكر الإمام القشيري في الرسالة القشيرية أن اشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة.

### \* معنى الصوفية عند علماء الصوفية ومن نسب إليهم:

- قال الإمام الجنيد: (التصوف أن تكون مع الله - تعالى - بلا علاقة).
- وقال أبو بكر الشبلي: (التصوف بذوه معرفة الله، ونهايته توحيده). وهو الذي قال: إن التصوف هو الجلوس مع الله بلا هم، والصوفية هم أطفال في حجر الحق.
- ويقول أبو الحسن الشاذلي: (هو تدريب النفس على العبودية وردها على أحكام الربوبية)<sup>(٢)</sup>.

### أهم شخصياتهم:

#### أولا: أول من سمي أسم الصوفي أبو هاشم الكوفي (١٥٠ هـ)<sup>(٣)</sup>

- وقد نسب إلى الصوفية كثير من العلماء كأمثال أبي سعيد الحسن البصري والجنيد وغيرهم وهؤلاء لا نستطيع أن نزج بهم إلى الصوفية بمعناه الذي ألت إليه، فهم علماء لهم قدم راسخ في الفقه، وباع طويل في العبادة. أفبقارن هؤلاء بمن اشتهرت عنهم الشطحات المشينة والنزهات العجيبة، ولكن إن صح التعبير فهم من المعتدلين وليسوا من الغلاة، ولا بأس أن نقدم تراجم بسيطة لأشهرهم:
- ١- رابعة العدوية: ولدت بين ٩٥ هـ و ١٠٠ هـ وتوفيت بين ١٨٠ إلى ١٨٥ هـ. وفي بداية حياتها كان تمارس الغناء والعزف على الناي، ومن ثم تابت وتزهدت، ويذكر الذهبي أن كثيرا من العلماء أخذ عنها الحكمة. وكانت مشتهرة بالحب الإلهي. ومن شعرها:

١- الصوفية في نظر الإسلام. سميح عاطف الزين ص ١٤.

٢- الأنب في التراث الصوفي. د. محمد عبد المنعم خفاجي ص ٣٣

٣- الأنب في التراث الصوفي. د. محمد عبد المنعم خفاجي ص ٣٢

أحبك حبيبين حب الهوى      وحباً لآنك أهل لذك  
فأما الذي هو حب الهوى      فحب شغلت به عن سواك  
وأما الذي أنت أهل له      فكشفك لي الحجب حتى أراك  
فما الحدف في ذا ولا ذاك لي      ولكن لك الحمد في ذا وذاك<sup>(١)</sup>

ومن كلامها في الرياء (اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم).

٢- إبراهيم بن أدهم: جاء في الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية أن أصل إبراهيم من بلخ، فخرج لتصيد فهتف به هاتف من تريبوس سرجه وما لهذا خلقت ولا به أمرت... فتزهد. ومن أقواله: لولا علم الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور ولذة العيش وقلة التعب لجالدونا عليه بالسيوف، طلبوا الراحة والنعيم فأخطأوا الطريق المستقيم.

وقال: كل سلطان لا يكون عادلاً فهو واللص بمنزلة واحدة، وكل عالم لا يكون ورعاً فهو والذئب بمنزلة واحدة.. وله أقوال بليغة مشهورة، مات بالجزيرة سنة ١٦٢ هـ، وحمل فدفن بصور، وقبره بها مشهور، وقال ابن عساكر غزا في البحر فمات فيه فدفن في بعض جزائر البحر في بلاد الروم.<sup>(٢)</sup>

٣- الجنيد: أصله من نهاوند، ولد ونشأ بالعراق وهو تلميذ للحارث المحاسبي.<sup>(٣)</sup>

٤- الفضيل بن عياض التميمي الخراساني: ولد بسمرقند؛ ونشأ بامورد؛ ومات بمكة؛ ومن أقواله: (لو قيل لي أمير المؤمنين داخل عليك، فسويت لحيتي، خفت أن أكتب في جريدة المنافقين).

وقال: (من طلب صاحباً بلا عيب صار بلا أخ. مات سنة ١٨٧ هـ عن عمر يقارب ٨٠ عاماً، ودفن بباب المصلى، وكان من أعظم أئمة المحدثين؛ خرج له الجماعة إلا ابن ماجة، وعنه أخذ الشافعي وابن المبارك، وسند الستة إليه.<sup>(٤)</sup>)

وكثير ممن ينسبون إلى الصوفية كأمثال الأئمة الأربعة، والإمام الغزالي وغيرهم، بل إن صاحب الكواكب الدرية، نسب الإمام جابر بن زيد الأزدي- رضي الله عنه. منهم: وهذا غريب؛ وذكر كذلك أئمة المذاهب الأربعة، والخليفة عمر بن عبدالعزيز وكثيراً من الصحابة- رضوان الله عليهم.. وذلك لا يصح فانتنا نقول: إنهم من العلماء العاملين، وليسوا من الصوفية ولا سيما بعدما شطحوا، وبعدوا عن السيرة الحسنة الصالحة.

أما بالنسبة لغلاة الصوفية، فقد اشتهر منهم الكثير ومن أشهر من ينسب إليه الشطح والغلو.

٥- الحلاج: وهو أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج، ولد بفارس حفيداً لرجل (٢٤٤ هـ - ٣٠٩ هـ) زرادشتي، ونشأ في واسط بالعراق، هو أشهر الحلويين والاتحاديين، رمي بالكفر وقتل مصلوباً.

٦- ابن عربي وهو محي الدين الحاتمي الطائفي.. ولد بالأندلس، ورحل إلى مصر، وحج وزار بغداد، واستقر في دمشق حتى مات ودفن بها. له كتب كثيرة تصل إلى ٤٠٠ كتاب منها (روح القدس، فصوص الحکم، الفتوحات المملكية.. وغيرها).<sup>(٥)</sup> يعتبر رئيس مدرسة الوجود.

١- رابعة العدوية بين الغناء والبكاء/ سعاد عبدالرزاق

٢- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية. الشيخ المنادي ج ١ ص ٧٦، ٧٨ يتصرف

٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. - المصدر السابق.

الدعوة العالمية للشباب الإسلامي ص ٣٤٢

٤- الكواكب الدرية. الإمام المناوي ص ١٤٩، ١٥٠ يتصرف.

٥- المصدر السابق.

وهو القائل:

السرب حق، والسعبد حق      يا ليت شعري من المكلف  
إن قلت عبس، فذاك رب      أو قلت رب انسى يكلف

وهو القائل كذلك:

لقد صار قلبي قابلا كل صورة      فمرعى لغزلان ودير لرهبان  
وبست لاوثان وكعبة طائف      وألواح تورا ومصحف قرآن  
ادين بدين الحب أنى توجهت      ركائبه فالحب ديني وإيماني

وهذا هو ما تعنتيه نظرية وحدة الأديان، فكيف يكون القلب حاويا ديرة الرهبان وأوثان الكفار، وكعبة المسلمين وقرآنهم وألواح تورا اليهود، وكل ذلك في قلب واحد؟! وأعجب ممن يدافعون عنه فيقول أحدهم وهو الدكتور حسن الشيخ الفاتح شيخ الطريقة السمانية القريبية.. (مرعى لغزلان): أي إذا وصفناه بالمرعى كتنينا عن السارحين فيه بالغزلان دون غيرهم من الحيوانات لأن كلانا بلسان الهوى، وبالغزلان يقع التشبيه بالاحبة للمحبين في هذا اللسان.

وقوله: (دير لرهبان) يقول: إذا جعلناهم رهبانا من الرهبانية جعلنا القلب ديرا للمناسبة لأنه منزل الرهبان، وموضع إقامتهم.

وقوله: (صورة بيت أوثان، لما كانت الحقائق المطلوبة للبشر قائمة به التي يعبدون الله من أجلها، فسمى ذلك أوثانا)، ولما كانت الأرواح العلوية حافين بقلبه سُمي قلبه كعبة.

وأما البيت الأخير سماه دين الحب ودان به نظرا للآية الكريمة<sup>(١)</sup> ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. وهذا الكلام نقله عن صاحب الأبيات وهو ابن عربي بنفسه، وقد اطلعت على ذلك في كتابه الحب والمحبة الإلهية الذي جمعه محمود محمود الغراب. ولكن أقول: إن هذا لا يقبل ولا سيما من العلماء، فلماذا هذا التعقيد وهذا الاستغراق في الوصف، والرسول - صلى الله عليه وسلم - نهى عن التكلم بكلام يكون فتنة للناس وذلك لأن العقول تتفاوت. هذا إذا سلّمنا بسلامة المنطق في الابيات السابقة. فما معنى أن قلبه قابل كل صورة، فهل يصح للمسلم أن يقبل دين النصارى أو اليهودية أو غيرها من الأديان؟!.

ولكن صدق أبو مسلم البهلاني. رحمه الله:

وكم حامل علما وفي الجهل لو درى      سلامته مما إليه يصير  
كأي رأينا عالما ضل سعيه      وضل به جم هنالك غفير  
معارفه بحر، ويصرف وجهه      إلى الباطل الخذلان وهو بصير

١- المنهج الصوفي في التربية والدعوة إلى الله. د. حسن الشيخ الفاتح قريب الله. ص ٢٣

وكما يقول محمد الغزالي: إن الفتوحات المكية لابن عربي، كان أجدر أن تسمى بالفتوحات الرومية، فالنصارى لا يريدون منا أكثر مما جاء به ابن عربي من عقيدة التثليث، ومن رد نصوص صريحة في القرآن الكريم.

٣- أبو بكر الشبلي: اسمه دلف ويقال: ابن جدر؛ ويقال: جعفر بن يونس (٢٤٧هـ - ٣٣٤هـ) خراساني الأصل بغدادي المنشأ والمولد، ورواية أخرى أنه من أهل اشروسنة بها قرية يقال لها شبليه. صاحب الجنييد وهو على مذهب مالك، دفن في مقبرة الخيزران. والشبلي من الفقهاء؛ وله مناظرات كثيرة. وله شطحات كثيرة لا تقل عما جاء بها الحلاج، ويقول بنفسه (أنا والحلاج في شيء واحد، فخلصني جنوني، وأهلكه عقله). وقد دافع السراج الطوسي كثيرا عن الشبلي وأول شطحاته<sup>(١)</sup>. ومنهم كذلك ابن سبعين وأبو سعيد الخراز وهو أول من تكلم في علم الفناء والبقاء وابن الفارض وغيرهم. فهؤلاء غرقوا في متاهات ما يسمونه بالحب الإلهي، فهاموا على وجوههم، وانقلب الحب الإلهي عند الحلاج ومن شايه إلى مذهب الحلول يقول في ذلك:

**أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدننا**  
**فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا**  
وهو القائل في كتابه الطواسين: رأيت ربي بعين قلب؛ فقلت: من أنت؟ قال أنت: أي إن الاتحاد قد

تم، فهل بعد هذا من كلام يؤول أو فسحة للدفاع. تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.  
ولا بأس الآن، أن أذكر بعضا من المعتقدات والأفكار التي ظهرت عند غلاة الصوفية:  
١- الحقيقة المحمدية: تدور حول أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أول موجود، وأول مخلوق، وهو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله وآخره، وهو الذي انشقت الأسرار منه، وهو عين الإيمان، والسبب في وجود كل إنسان<sup>(٢)</sup>.

وأول من وضع هذه الفكرة ابن الحلاج، وقام بعده ابن عربي، ويقول الأخير في فتوحاته المكية: إنه لما خلق الله الأرواح المحصورة المدبرة للأجسام بالزمان عند وجود حركة الفلك لتعيين المدة المعلومة عند الله، وكان عند أول خلق الزمان بحركته خلق الروح المدبرة روح محمد - صلى الله عليه وسلم - ثم صدرت الأرواح عند الحركات، فكان لها وجود في عالم الغيب، دون عالم الشهادة وأعلمه الله بنبوته<sup>(٣)</sup>.

٢- وحدة الأديان: وتتلخص في أنه لا يوجد فرق بين المسلم والنصراني واليهودي. ووحدة الوجود بين من يعبد الله، ومن يعبد البقر ووحدة الأديان ناتجة عن وحدة الوجود. حيث إن نظرية وحدة الوجود تقول: إن كل من في الأرض صحيح، أي مصيب فلا تقل إن الحق عند المسلم؛ وليس عند أي أحد سواه، وفي الحقيقة أن هذه النظرية دعوة خبيثة، تلتفتها بل ونادت بها الماسونية في عالم اليوم. والأبيات التي ذكرتها لابن عربي: تدل على إيمانه بوحدة الأديان، وهي:

**لقد صار قلبي قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان**

١- أعلام التصوف في الإسلام. د. محمد جلال شرف بتصريف.

٢- الصوفية نشأتها وتطورها - محمد العبد - طارق عبد الحليم ص ٥٦.

٣- الفتوحات المكية ج ١ - ابن عربي ص ١٤٢.

٢- اتحاد الوجود مع الذات الالهية: وهي كما يقول الإمام أبو زهرة: نبتت من أفكار هندية ومن نظرية حلول الاكوهية في بعض النفوس وبعض الأشياء، ونتج من هذا نظرية وحدة الوجود.. فكان المتصوف الذين يقولون إن الوجود واحد، وما التعدد الواقع إلا تعدد في الشكل لا في ذات الوجود وعلى ذلك يكون الوجود كله بما فيه من أرض وسما ونجوم سابعة في الكون هي صورة الله - سبحانه وتعالى -<sup>(١)</sup> ويقول بعضهم وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا:

**وما الكلب والخنزير إلا الهنا وما الله إلا راهب في كنيسة**  
فانظر إلى أي درجة، وصل بهم الطيش الصوفي، والنزعة اللاحادية في أنهم يقولون إن الله في كل شيء، وهو كل شيء.

٣- المصطلحات والغموض: ولا بأس أن نورد معاني لبعض الاصطلاحات الصوفية من كتاب الأدب في التراث الصوفي.

القطب: الغوث أي الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان.

النقباء: الذين استخرجوا خبايا النفوس وهم ثلاثمائة.

النجباء: المشغولون بحمل أثقال الخلق وهم أربعون.

المقام: استيفاء حقوق المراسم على التمام.

الوجود: وجدان الحق في الوجد.

البقاء: رؤية العبد قيام الله على كل شيء.

الفناء: عدم رؤية العبد لفعله بقيام الله على ذلك.

المريد: المتجرد عن إرادته.

الصحو: رجوع إلى الاحساس بعد الغيبة.

السكر: غيبة بوارد قوى.

المحو: رفع أوصاف العادة.

المحق: فناؤك في عينه.<sup>(٢)</sup>

إلى غيرها من المصطلحات. وإنما اخترت هذه المصطلحات لشهرتها، وانتشارها بصورة كبيرة ونلاحظ أن معانيها تضعج بالابهام وتحس أن هناك افراطا وغلوا في مدلولاتها. فما هذا التعقيد وما هذه الحضرات والمناسبات؟ هل نحن الآن في دور يهود، أو كنيسة نصارى؟.. الاسلام دين واضح، تستطيع أن ترقى إلى أعلى الدرجات. إذا ما اتجهت إلى المصدين العظيمين وهما القرآن والسنة، وتابعت أقوال الأئمة المجتهدين لبصيرتهم في أمور الدنيا والدين، وليسوا واسطة بين العبد والله. فلا واسطة في الإسلام في أمور العبادة.

٤- الجهاد والتوكل: وسبب هذا المزلق، تبديل وتحريف بعض المعاني، ويقول الإمام الغزالي في هذا الشأن.. إن تبديل الألفاظ، حرام، وضرره عظيم، فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها

١- تاريخ المذاهب الإسلامية، السياسة والعقائد، الإمام أبو زهرة ص ٢٤٤

٢- الأدب في التراث الصوفي، د. محمد عبد المنعم خفاجي ص ٢٦١

بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع، ومن غير ضرورة تدعو إليه اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله ورسوله.<sup>(١)</sup> من هذا التحريف ما روي عن داود بن صالح أنه قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن: يا ابن أخي، هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ الآية آل عمران. قلت: لا، قال: يا ابن أخي، لم يكن في زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - عز يربط له الخيل ولكنه انتظر الصلاة بعد الصلاة، فالرباط جهاد النفس.<sup>(٢)</sup> وفي قوله - تعالى -: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ قال بعض من الصوفية: إنه جهاد النفس<sup>(٣)</sup> فشتان بين علماء السلوك، الذين جعلوا كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - نصب أعينهم وبين هؤلاء.

وقد يتساءل الكثير عن هدف الصوفية في لي بعض الآيات وصرفها عن مقصودها. والجواب واضح، حيث إنهم لا يريدون أن يقيموا أنفسهم في عناء الجهاد، وعناء الخروج. أما علماء الأمة العاملون فانهم ينتظرون الجهاد بفارغ الصبر، ولتنظر إلى تخميس شاعر المسلمين لقصيدة العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي:

متى تتجلى بالفتوحات ساعة      متى لعباد الله تلقى استطاعة  
متى ينصر القرآن سمع وطاعة      ومن لي بهذا في زمان مضاعة  
به سنن الإسلام بين قروء

## ٥- للكرامات والأولياء:

اولا: قبل أن أدخل في موضوع الأولياء، لا بأس أن أشير إلى قضية التوسل والاستغاثة بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وبصحابته. فالبعض يرى عدم جواز الاستغاثة والتوسل بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وذهب إلى هذا القول الألباني، بل وكفروا من يفعل ذلك. وذهب إلى القول بالجواز كثير من محققي الأمة، منهم الإمام المحقق سعيد بن خلفان الخليلي، بل إن جمهور الأمة على الجواز؛ وقد كتب العلامة حسن القاف رسالة بعنوان الاغاثة بادلة الاستغاثة. وتروى أيضا قصة عمر بن الخطاب عندما ذهب إلى ابن العباس عم النبي - صلى الله عليه وسلم - في فترة خلافة عمر ليستسقي لهم. فعمهم الله بالخصب.

وما ذكرت ذلك إلا لأسباب خطيرة، حيث إن بعض المسلمين أخذ من هذه الأحداث مدعاة للتوصل بالصالحين. بل الأمر وصل إلى درجة كبيرة من التقديس والتعظيم. فأتخذوا من قبورهم قربات إلى الله. فكثيرا ما نسمع بمقام السيدة زينب، ومقام يدوي. والبعض الآخر اتخذ من طينة خرساء، قدسية، بل قالوا: إن الصلاة لا تتم إلا فيها، واحتجوا في ذلك بحجج واهية. فكرامات الأولياء أمر نؤمن به جميعا، إلا أن إيماننا بذلك لا يوصلنا إلى أن نرفعهم إلى مقام النبوة.

وقد ذكر الإمام القشيري: أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء العصمة من المعاصي والمخالفات. فما أدري من أين استند على هذه المقولة. وقد ذهب ابن عربي إلى أبعد من ذلك فقال: إن الأولياء أفضل من الأنبياء نظرا لما هم عليه من ذوق ادركوا به علم الوجود، ووقفوا به على سر

١- أحياء علوم الدين. الإمام أبو حامد الغزالي ج ١ ص ٤٩

٢- الصوفية في نظر الإسلام. سميع عاطف الزين ص ٢٨

٣- الصوفية في نظر الإسلام. سميع عاطف الزين ص ٢٨

القدر<sup>(١)</sup> وذهبت طائفة من الصوفية إلى أن التكاليف ترتفع عن الولي، لأنه وصل إلى مقام لا يحتاج معه إلى القيام بذلك، ولأنه انشغل بوظائف الشرع وظواهره، انقطع عن حفظ الباطن<sup>(٢)</sup>.  
هذا فإن الصوفية وأفكارهم لا يزالون في كثير من ديار الإسلام. لك الله أيها الإسلام، تتناوشك الحراب من كل جانب، وأنت صامد صمود الجبال. ولا عجب في ذلك فالله هو المتكفل بحراسته.  
وهناك عدد من المناطق ينتشر فيها الصوفيون، في مصر وبلاد الشام والمغرب العربي. وانتشرت في تلك الأصقاع مدارسهم وطرائقهم كالطريقة القادرية والرافعية والأحمدية والدسوقية والشاذلية وغيرها.  
نسأل الله العليّ القدير، أن يعيد المسلمين إلى النهج الراشد، وأن يكونوا صفاً واحداً، أمام الدخيل من الفكر الوارد، وأن يوفقنا وليسد خطانا إلى الصالحات من الأعمال ويبعدنا عن كل سوء، والله الموفق.

## الفصل الرابع

### مقارنة بين المدرسة السلوكية والمدرسة الصوفية:

مما سبق يتبين لكل ذي عينين - بما لا شك فيه - أن بين المدرستين السابقتين بونا شاسعاً، وإليك بعض النقاط المختصرة لنستجلي الصورة ونعيد ترتيب ما سبق البيان بصورة موجزة:

١- إن الإسلام دين وسط، اهتم بكل جزئيات وكمالات الحياة، في المنشط والمكروه، في العسر واليسر إلى غيرها، واهتم كذلك بالمطالب الروحية عند الإنسان، ولكنه لم ينس المطالب الجسدية فدعوى تغليب جانب على الآخر دعوى باطلة، ليست من الشريعة الغراء في شيء.

٢- هناك طائفة كبيرة من علماء الأمة، ينسبهم الصوفيون إليهم، ولكننا لا نتجرأ بالقول في ذلك، ولا سيما بعدما شطح الصوفيون، وهاموا في مآهات المصطلحات والعشق والفناء وغيرها. وممن تسببهم الصوفية إليها الأئمة الأربعة وعدد غير قليل من الصحابة والتابعين كالحسن وجابر - رضي الله عنه - ليوهمو الناس أن التصوف هو المسلك الوحيد للاستقامة، وهي الفرقة الناجية.

٣- يزعم بعض من الصوفية أن الاشتغال بريضة النفس وتهذيبها وذلك بالمحافظة على الأوراد والأدعية الخاصة، تفتح لهم أبواب العلم؛ وينكشف لهم الحجاب، وقد ذكر العلامة سعيد بن خلفان الخليلي - رضوان الله عليه عنهم - قولهم إن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يتعلم لكن صار فقيهاً بالوحي والإلهام بغير تكرار أو تعليم. فلذلك يقولون أنهم يستطيعون أن يصلوا إلى هذه المرتبة بالألهام. بينما نجد أن علماء أهل السلوك، لا يلتفتون إلى مثل هذه المقولات، بل يأخذون بالأسباب،

- 
- ١- الصوفية نشأتها وتطورها - محمد العبد - وطارق عبدالحليم ص ٦٤.
  - ٢- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٣٤٩.
  - \* من كتاب الذروة العالمية للشباب الإسلامي ص ٣٤٧ - ٣٤٩.
  - \* الطريقة القادرية: تنسب إلى عبدالقادر الجيلاني ٤٧٠ هـ. ٥٦١ هـ.
  - \* الطريقة الرافعية: تنسب إلى أحمد الرافعي (ت ٥٨٠ هـ) انتشرت طريقته في غرب آسيا).
  - \* الطريقة الأحمدية: تنسب إلى أحمد بدوي في مصر (ت ٦٣٤ هـ) ولد بفاس ورحل إلى العراق، واستقر بطنطا في مصر.
  - \* الطريقة الدسوقية: تنسب إلى إبراهيم الدسوقي.
  - \* الطريقة الشاذلية: إلى أبي الحسن الشاذلي (٥٩٣ - ٦٥٦ هـ) ولد بقرية قرب مرسية، وطريقته تنتشر في مصر واليمن.

فتجد الواحد منهم يتعلم ويسهر ويتعب في تعلم العلم النافع مبتغيا في ذلك المثوبة عند الله والله در الإمام السالمي حين قال:

لا يورث العلم من الأعمام ولا يرى بالليل في المنام  
لكنه يحصل بالتكرار والدرس في الليل وفي النهار  
مثاله كشجرة في النفس وسقيها بالدرس بعد الغرس  
يدركه من كد فيه نفسه حياتته ثم أطال درسه

٤- قال كثير من رؤوس الصوفية كابن عربي والحلاج وابن سبعين وغيرهم بأقوال تخالف العقيدة الصافية، وهذا يعتبر خروجا عن دائرة الإسلام، كفكرة الاتحاد، ووحدة الوجود، ووحدة الاديان. بل أن بعضهم رد أقوالا ثابتة بنص القرآن مثل هلاك فرعون في الآخرة وغيرها.

٥- أهل السلوك يرون أن العلماء لهم منازل، ولهم احترامهم الكبير. وهذا هو شأن جميع المسلمين، ولكن لم يحملهم ذلك على القول بعصمتهم، أو عدم امكانية حدوث زلل منهم. فالرسول - صلى الله عليه وسلم - قال في حديث له: (وخير الخطائين التوابون) لمعرفته - عليه أفضل الصلاة والسلام - بأحوال الناس والخطأ ممكن الحدوث للعالم والجاهل. فكم من عالم ضل! وكم من جاهل أحس بجهله فتعلم.

ففكرة أن الأولياء معصومون فكرة بخيلة، والتقرب إلى قبورهم شرك بالله ولا شافع عند الله مهما علت منزلته عند حد، فالله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿ادعوني استجب لكم﴾ وقال ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ﴾ فلم يقل انهبوا أولا إلى قبر عبدي فلان حتى استجيب لكم. وكذلك قضية التوبة على يد رجل صالح فكرة بخيلة على الإسلام فنسمع الكثير يقولون سنذهب إلى الشيخ الفلاني لنتوب على يديه، فيا للعجب يقول الله لهم (ادعوني) ويقولون بل ندعو عبدك الفلاني فليحذر المسلمون من مثل هذه الأفكار البخيلة والمعتقدات الخاطئة.

٦- يلتقي الصوفية، ومذهب السلوك والكشف، في الإهتمام بتربية النفس، وترقيق القلب بالأدعية والذكر. ولكن يختلف الجانبان في تحقيق ذلك فبعض من طوائف الصوفية كالرافعية مثلا تكون أنكارهم مصاحبة لكل النار، وابتلاع الأفاعي وتمزيق الأجسام كما ذكر ذلك الدكتور صابر طعيمه في كتابه (الصوفية معتقدا وسلوكا). وهناك أيضا من يحرم على نفسه الزواج، حتى لا يشغله ذلك عن الذكر وعلوم الباطن، ومنهم من يهيم في الفلوات. أما منهج الأصحاب من أهل السلوك فهو منهج مستقيم، منهج مبني على حديث رسول الله - ﷺ - «إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأنزج النساء»، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

٧- يعتقد الكثير من المتصوفة - كما ذكرت - أنه بالرياضة وبالتهذيب، ترتقي النفس البشرية إلى مرحلة الانكشاف والمجاهدة، فيعتقدون أنه بسبب الأدران اللاصقة بالقلب، لا يستطيع الإنسان رؤية ربه، أما إذا أزيلت هذه العلائق، فتصفو نفسه، ويرق قلبه، فيكون قادرا بعد ذلك على رؤية ربه - تعالى -. وعلى تكميله. والله - سبحانه وتعالى - يقول في كتابه الحكيم: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾. ويا للأسف الشديد - فإن مثل هذه الأفكار تسربت إلى كثير من المذاهب الإسلامية، بل إن بعضهم يكفرون من يعتقد خلاف ذلك، ويحتجون بأحاديث واهية نسبت

إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد تكلم في هذا الموضوع سماحة الشيخ أحمد الخليلي - حفظه الله - فليراجع ذلك في كتابه القيم الحق الدامق ليقف معه وقفة التأمل المستفيد .  
ولا يذهب - كما هو معلوم - أهل السلوك إلى هذا المذهب - وهو مذهب الإنكشاف والمشاهدة بالمعنى الذي يوجد عند الصوفية . بل عندهم بمعنى انكشاف حقائق غائبة عن بال الناس ، ميزة من الله لهم ، وهي من باب الكرامات التي اختصها الله - سبحانه وتعالى - للعلماء المخلصين .  
وقد لخص هذا المنهج الإمام شاعر العرب والمسلمين ناصر بن سالم الرواحي في تخميسه للعلامة المحقق الخليلي - عليهم رحمة الله - وفي قصيدة طويلة جدا :

لقد كان تحت الختم من قبل بعضه      فصار ظهور البرق في وشك ومضه  
وما انفتح المختوم الا بفيضه      يضيق فضا الأكوان عن شرح بعضه  
وكل لسان كل بل ظل مفحما

علوم تجلى من (لدنا) ظهورها      ولم يتعلق باكتساب سفورها  
تجلت بأسرار الرجال بدورها      به صحف الأرواح أشرق نورها  
وحين عن الأنواح اذ كنّ أظلمنا

تجرد لها إن كنت في القرب ترغب      ولا تغلون فالشأن في ذاك أقرب  
فلست بقرع الباب بالصدق تحجب      لذلك فاطلب أن يكن لك مطلب  
ترى كل مطلوب سوى ذاك مغرما

٨- للصوفية المعتدلين كثير من الميزات والمحاسن . فقد اهتموا بالجوانب الأخلاقية عند الإنسان والجوانب الإيمانية ، ولكنهم كما يذكر عنهم الشيخ محمد الغزالي يعتمدون على خطرات القلوب ، فلو ضببطت محاولاتهم في تهذيب النفس بضابط شرعي ، وفق الكتاب والسنة لكان الأمر مختلفا . وقد جمع كثير من علماء الأمة بين الفقه ، والعلم الروحاني فهناك علماء تبجروا في علوم الشريعة ، وتفقهوا فيها . واهتموا في نفس الوقت بالتربية الروحية ، وصنفوا فيها مصنفات جلية ، نذكر منهم العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي والعلامة ناصر بن سالم الرواحي والإمام الغزالي وابن رجب الحنبلي وغيرهم . بل ظهرت طائفة من الصوفية ، اهتمت بالجانبين - الجانب الشرعي والتربية النفسية - كأمثال العلامة الحارث المحاسبي الذي يعتبر أول من ربط بين المعاني الدينية والمسائل الصوفية بعد معالجتها .

٩- فرّق بعض من علماء الصوفية بين الشريعة والحقيقة ، ويحكي عنهم قولهم : إنه من نظر إلى الخلق بعين الشريعة مقتهم ، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم .<sup>(١)</sup> وهذا كلام مردود إذ لو كان ذلك كذلك لعذرنا الكافر والعاصي . وقد أسهب ابن عجيبة وهو منهم الكلام في الشريعة والحقيقة . وهذا الكلام مخالف تماما عما هو عليه في المدرسة السلوكية في الإسلام . إذ المرء يوزن بميزان الدين ، فما وافق كتاب الله وسنة نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - كان حقا ، وما خالفهما كان على ضلال مبين . وعلى ذلك سار الصحابة والتابعون والسلف الصالح .

واما قضية فصل قضايا الدين هذا شريعة وذاك حقيقة وهذا امر ظاهر لا بأس في تركه والآخر باطن لا بد من أخذه إذ العبرة بما في القلوب . هذا الكلام كل لا أساس له من الصحة . والعبرة بما في القلوب

مصطلح حقيقي أريد به باطل. فلو كان القلب حيا وصالحا لأثر ذلك في سائر الجوارح وما انحط المسلمون إلا بعد انفصامهم عن عرى هذا الدين المتين والله المستعان.

تلك بعض من القضايا التي خالف فيها الصوفية أو بالأجدر غلاتهم حتى لا نظلمهم -- بقية المذاهب الإسلامية بصورة عامة والمدرسة السلوكية بصورة خاصة.

وفي حقيقة الأمر ان موضوع الفرق الإسلامية والاختلاف فيما بينها موضع جدير بالمناقشة الصريحة بأسلوب هادئ بعيد عن التكفير والتفسيق والتضليل حتى يجتمع شمل الأمة وتكون تحت مظلة واحدة تنعم بالأمن والأمان والخير ولا سيما في عصر تكالبت فيه علينا جميع القوى وما هدفهم إلا اطفاء نور الله ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأقواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾.

اللهم علمنا ما لم نعلم وفقهنا ما لم نفقه واهدنا الطريق الأقوم انك بنا ابر وارحم، اللهم اجمع شملنا ووحدنا على كتابك وسنة نبيك، اللهم من أراد بك وبالإسلام سوءا فاجعل الدائرة عليه برحمتك يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين.

## مراجع البحث

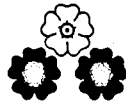
- ١- تيسير التفسير - الإمام محمد بن يوسف اطفيش - الجزء الخامس عشر.
- ٢- نثار الجوهر - العلامة ناصر بن سالم البهلاني الرواحي.
- ٣- تمهيد قواعد الإيمان - الإمام سعيد بن خلفان الخليلي - الجزء الأول - وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان - ١٤٠٧ هـ .
- ٤- قناطر الخيرات - الإمام أبو طاهر اسماعيل الجبالي النفوسي - الجزء الأول - الطبعة الثانية - وزارة التراث القومي والثقافة ١٤٠٩ هـ .
- ٥- تحفة الأعيان بسيرة اهل عمان - الإمام عبدالله السالمي - مكتبة الإستقامة - سلطنة عمان.
- ٦- احياء علوم الدين - الإمام أبو حامد الغزالي - الجزء الأول.
- ٧- نهضة الأعيان بحرية اهل عمان - أبو بشير محمد الشيبه بن نور الدين السالمي - مكتبة التراث.
- ٨- النواميس الرحمانية في العلوم الربانية - الإمام سعيد بن خلفان الخليلي.
- ٩- اغاثة المظلوم في كشف أسرار العلوم - عبدالفتاح الطوخي.
- ١٠- بهجة الأنوار - الإمام السالمي.
- ١١- ديوان أبي مسلم البهلاني - تحقيق عبدالرحمن الخزندار - دار المختار ١٤٠٦ هـ .
- ١٢- شقائق النعمان في ذكر شعراء اهل عمان - محمد بن راشد الخصيبي - الجزء الأول - وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان ١٩٨٤ م.
- ١٣- شقائق النعمان - محمد بن راشد الخصيبي - الجزء الثاني - وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٨٤ م.
- ١٤- جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار - سعيد بن علي المغيري - وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان - الطبعة الثالثة.
- ١٥- كشف الكرب - محمد بن يوسف اطفيش (قطب الأئمة) - ج ١ - وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٨٥ .

- ١٦- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة - - الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض.
- ١٧- خلاصة الوسائل في ترتيب المسائل - الشيخ عيسى بن صالح الحارثي - ج ١ - اشرف على طبعه عز الدين التنوخي - المطبعة العمومية - دمشق ١٣٥٦هـ .
- ١٨- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية - الإمام أبو زهرة - نشر دار الفكر العربي.
- ١٩- ركانز الإيمان - الشيخ محمد الغزالي.
- ٢٠- دقاق أعناق أهل النفاق - الإمام جاعد الخروصي - مخطوطة.
- ٢١- ديوان الغشيري - الناشر وزارة التراث القومي والثقافة.
- ٢٢- الصوفية في نظر الإسلام (دراسة وتحليل) - سميح عاطف الزين - دار الكتاب اللبناني - بيروت لبنان - ومكتبة المدرسة (بيروت - لبنان) الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ .
- ٢٣- الصوفية نشأتها وتطورها - محمد العبد - طارق عبد الحليم - دار الأرقم - الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
- ٢٤- الفتوحات المكية - ابن عربي.
- ٢٥- الأدب في التراث الصوفي - د. محمد عبد المنعم خفاجي - مكتبة غريب الفجالة.
- ٢٦- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية - المناوي - الجزء الأول.
- ٢٧- المنهج الصوفي في التربية والدعوة إلى الله - حسن الشيخ الفاتح قريب الله - دار الجيل (بيروت).
- ٢٨- أعلام التصوف في الإسلام - د. محمد جلال شرف.



## الفهرس

| م  | الموضوع                                                         | الصفحة |
|----|-----------------------------------------------------------------|--------|
| ١  | هذا الاصدار .....                                               | ٥      |
| ٢  | (السيرة الذاتية للشيخ ابي نبهان) .....                          | ٧      |
| ٣  | (العصر الذي عاش فيه الشيخ الرئيس) .....                         | ٢٠     |
| ٤  | (ابو نبهان (ثقافته؛ شيوخه؛ وتلاميذه) .....                      | ٣٤     |
| ٥  | (المصادر العلمية التي اعتمد عليها أبو نبهان في مؤلفاته) .....   | ٥١     |
| ٦  | (دراسة في مؤلفات ابي نبهان) .....                               | ٥٨     |
| ٧  | (اسلوب الطرح في مؤلفات ابي نبهان) .....                         | ٧٥     |
| ٨  | (العلامة أبو نبهان الخروصي ومنهجه الفقهي) .....                 | ٨٧     |
| ٩  | (محاضرة سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي عام السلطنة) ..... | ١٣١    |
|    | (الجانب الفقهي والاجتهادي في سيرة ابي نبهان)                    |        |
| ١٠ | (جاناب الإلهيات في فكر العلامة المحقق ابي نبهان الخروصي) .....  | ١٤٦    |
| ١١ | (مقارنة بين المدرسة السلوكية والمدرسة الصوفية) .....            | ١٦٦    |



ما ورد في هذا الكتاب لا يمثل بالضرورة  
رأي المنتدى الأدبي

حقوق الطبع محفوظة للمنتدى الأدبي  
وزارة التراث القومي والثقافة

رقم الإيداع : ٢٠٠٠/٣٢٧

